فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الأول



فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الأول

الطبعة الألمانية

1Buche GmbH ... Oststrasse 72 ... 33332 Gütersloh
Email : info@1Buch.de Tel : 052419615700

دار الكتاب الأول للطباعة والنشر .. مدينة كوترسلوه ـ المانيا الاتحادية

فواز فرحان

التعاليم السومرية ــ الجزء الأول

الاهداء

الى الأجيال العراقية التي تبحث عن الحقائق

في جوهر الأشياء

المقدمة ..

قبل عام 1920 كانت المعرفة الوحيدة التي يمتلكها العالم عن المدينتين بابل ونينوى محدودة أو مقتضبة ، والإمبراطوريتين اللتين أسستاهما وقادتهما ، كان الإعتقاد أنها مستمدة من شعوب أخرى غير سكانهما. ولم تخرج كلمة واحدة من هدوء أنقاض بابل الى العلن إلاّ ما أرادته القوى الأكاديمية بشكل محدود ، ولم يُسمع صوت تحت تلال نينوى الحقيقية من أهلها ومن سكانها . وكان من المستحيل أن نأمل في يوم من الأيام أن نكتشف في المستقبل مكتبات مدفونة في هذه التلال ، مليئة بالكتب التي كتب فيها هؤلاء الناس ليس فقط تاريخهم وتسلسلهم الزمني ، بل وأيضاً علومهم ، وعمليات البناء التي اتبعوها ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وأفكارهم وعواطفهم ، وكان من المستحيل أن نستعيد اللغات المفقودة منذ زمن بعيد والتي كتبت بها هذه الكتب ، وأن يقرأها الناس بسهولة وثقة مثل اللغات التي لم يتوقف استخدامها التقليدي بين البشر . ولكن هذا وغيره الكثير قد حدث بالفعل . ومن هذه المواد المفقودة منذ زمن بعيد ، وحتى المنسية ، أصبح تاريخ بابل وآشور معروفاً . هذه هي الآن المصادر الرئيسية لمعرفتنا ، وقبل أن نبدأ في مسحنا للسلسلة الطويلة من القرون ، من الجيد أن ننظر إلى الخطوات التي تم بها تأمين البحث في هذا التاريخ ..

إن قصة إعادة اكتشاف بلاد بابل وآشور تتألف في واقع الأمر من شقين لا بدّ من الإشارة لهما ، فقد شكل خطان من خطوط البحث الجدي النابع من البحث في أعماق الحقائق ، اتبعا كل منهما على حدة لفترة طويلة ، يتحدان أخيراً في جوهر الحقيقة ، ومن هذا الاتحاد نشأت المعرفة الحالية . فبواسطة الخط الأول أعيد اكتشاف المصادر القديمة ، وبواسطة الخط الثاني تعلم الرجال كيفية قراءتها. ولم يُعثر على الدليل الأول الذي أدى إلى إعادة اكتشاف اللغة القديمة لبابل وآشور في أي من هاتين الدولتين . ولم يعثر عليه عالم انطلق للبحث عنه . ولم يكن اكتشافاً رائعاً تم في يوم واحد ، ليصبح من عجائب العصور . بل كان بالأحرى النتيجة الطبيعية لعملية طويلة ومضنية ومعقدة إلى حد ما . فقد بدأ هذا الاكتشاف وظل لفترة طويلة في أيدي المسافرين ، حيث تعلم كل منهم القليل من أسلافه ، ثم أضاف إليه القليل نتيجة لملاحظته الخاصة. وقد عُثر عليه في المكان الأكثر احتمالاً في دارشاروكين ، بعيداً عن بابل وآشور . إن قصة اكتشاف هذا الموقع تستحق أن نرويها ، ليس فقط لأنها ضرورية لأي تقدير منصف لمعرفتنا الحالية بآشور وبابل ، ولكن لأنها ذات أهمية خاصة ، وهي مفيدة كتاريخ لتقدم المعرفة ، ففي دار شاروكين ، على بعد أربعين ميلاً شمال شرق نينوى ، عاصمة المملكة ذات يوم ، توجد سلسلة من التلال الدائمة ، تتألف من رخام من الحجر الجيري الرمادي الداكن ، تحمل اسم جبل سنجار وأمام هذه التلال ، وفي جوف نصف دائري ، ترتفع فوق السهل منصة ضخمة تشبه الشرفة مزار يقصدهُ الايزيديون سكان المدينة . وقد بنت الطبيعة جزءاً من هذه الشرفة ، ولكن الإنسان أقام في وقت ما جداراً أمامها (مزار شرفدين في سنجار) ، وسوى قمتها ، وبنى عليها قصوراً ومعابد عظيمة منتشرة في المكان . وفي العصور الوسطى ، أصبحت أرض (المركَة) مليئة بالاهتمام لأسباب مختلفة . فقد كانت لها تجارة مهمة مع أوروبا ، وكان ذلك يجذب بطبيعة الحال رجال التجارة من أوروبا إلى هضابها

الواسعة ، التي كانت تفوح منها رائحة الحرارة في الصيف ، وغير مريحة في البرد القارس في الشتاء . وقد أدى الاتصال التجاري للمركَة بشكل طبيعي للغاية إلى علاقات دبلوماسية من مختلف الأصعدة مع الدول الأوروبية وأهمها الثقافية ، وقد أدى هذا الاتصال تدريجياً إلى جعل الأرض معروفة إلى حد ما للغرب ..

وزار الكثير من المستشرقين الأوربيين المكان وكان أول أوروبي معروف لنا في الوقت الحاضر زار الشرفة العظيمة عند سفح جبل سنجار راهباً متجولاً يُدعى أودوريكوس أو أودوريك كان مسافراً براً إلى كاتاي ، وفي طريقه مر بين داسن (دهوك) وأور مايا (اورميا) ، حوالي عام 1320 م . لم يكن لديه وقت للنظر إلى الأطلال ويبدو أنه لم يراها على الإطلاق ومع ذلك فإن سجله هو أول كلمة سمعت في أوروبا بشأن أنقاض لالش (لقد أتيت إلى مدينة معينة تسمى داسن ، وهي مدينة ضخمة وقوية في العصور القديمة والمعروف عن سكانها بأنهم أشداء ويعبدون الشمس ، يبلغ محيطها ما يقرب من خمسين ميلاً ، وقد ألحقت في الماضي أضراراً كبيرة بالرومان . يوجد فيها قصور فخمة خالية تماماً من السكان ، على الرغم من أنها تزخر بمخزون كبير من المؤن لكنها كانت محاصرة من ثلاثة جبال) ..

المقطع مخيب للآمال كان أودوريك رجلاً قليل التهذيب ، وعلى الرغم من رغبته في التجول ورؤية مشاهد غريبة ، إلا أنه لم يهتم كثيراً بالمعنى الفكري أو الروحي للأماكن العظيمة . إنه تصريح متكرر معه كثيراً أنه وجد مؤناً جيدة ، وأن روحه البسيطة كانت راضية عن ذلك . من الواضح أنه لم يكن يعرف المكان الذي تشير إليه الأطلال القديمة ، ولا يبدو أنه كان مهتماً على الإطلاق لما تعنيه القصور . كلمته بسيطة لدرجة أن الناس شككوا حتى في ما إذا كان قد رأى الأطلال بأم عينيه ، ولكن لا يوجد سبب حقيقي للشك في أنه فعل ذلك . ولكن على الرغم من أنه لم ير إلا القليل وتحدث أقل عن لالش ، فإن روايته كانت تقريباً كلاسيكية قبل اختراع الطباعة ، وكانت تُنسَخ كثيراً ، كما تُظهر المخطوطات العديدة التي لا تزال موجودة . ولم يمض وقت طويل بعد اختراع الطباعة حتى وجدت قصته تعبيراً لها في الطباعة . ثم أصبحت دعوة للآخرين للذهاب ورؤية ما حدث أيضاً . إنها مجرد صوت أول في الظلام ، هذه هي كلمة أودوريك وسوف يمر وقت طويل قبل أن يرى مسافر آخر نفس الآثار القديمة ..

في عام 1472 ، أرسلت جمهورية البندقية المجيدة مبعوثاً إلى بلاط أوزون حسن ، كان اسمه جوزيفات باربارو ، وقد مر بنفس الطريق الذي مر به أودوريك ، لكنه رأى أكثر قليلاً بالإضافة الى أنه كان أكثر ثقافة وإطلاع من أودوريك فنقل ما شاهده على النحو التالي ..

(بالقرب من مدينة داسن نرى جبلاً دائرياً ، يبدو من أحد جوانبه أنه قد تم قطعه وتحويله إلى مصطبة بارتفاع ست خطوات ، وعلى قمة هذه المصطبة مساحة مسطحة ، وحولها أربعون عموداً ، تسمى (أمادين) أماديا ، والتي تعني في لغتهم أربعين عموداً ، يبلغ طول كل منها عشرين ذراعاً ، وسمكها مثل أحضان ثلاثة رجال ، بعضها مدمر ولكن ، إذا حكمنا من ما لا يزال من الممكن رؤيته ، فإن هذا كان في السابق مبنى جميلاً يتكون المصطبة بالكامل من قطعة واحدة من الصخر ، وتقف عليها أشكال منحوتة لحيوانات بحجم العمالقة ، وفوقها شكل مثل تمثال عظيم يشبه تماثيلنا عن الله الآب محاطاً بدائرة ، ويمسك بخاتم في يده ، وتحتها أشكال أخرى أصغر . في المقدمة

يوجد شكل رجل يتكئ على قوسه ويقول سكان المدينة إنه شكل ملكي سالم . أدناه العديد من الآخرين الذين يبدو أنهم يدعمون أولئك الذين فوقهم ، ومن بين هؤلاء شخص يبدو أنه يرتدي على رأسه تاجاً بابوياً يرتدي تاجاً ، ويرفع يده المفتوحة ، على ما يبدو بنية منح بركاته لأولئك الذين في الأسفل ، الذين ينظرون إليه ، ويبدو أنهم يقفون في انتظار البركة المذكورة . خلف هذا يوجد شكل طويل على ظهر حصان ، يبدو أنه رجل قوي ، يقولون إنه خدر إلياس إله تحقيق الأمنيات ، وبالقرب منه العديد من الشخصيات الأخرى ، يرتدون الأزياء الآرامية ويرتدون عباءات طويلة ، كل هذه الشخصيات نصف بارزة . على بعد يومين من هذا المكان توجد قرية تسمى قادش ، وعلى بعد يومين من قرية أخرى ، حيث يوجد قبر يقولون إن والدة مالكي سالم دُفنت فيه . فوق هذا بني مبنى على شكل كنيسة ، وهناك أحرف عربية عليها ، تقول ، كما نفهم من سكان المكان ، أنهُ إله المراد وتحقيق الأمنيات ، وبوابته تطل على الشرق لم يكن باربارو قد أحرز تقدماً كبيراً فيما يتعلق بأودوريك ، لكن روايته لم تكن بلا فائدة تماماً ، رغم أنها سرعان ما تم استبدالها بأخرى نتيجة ضغط الاكاديميين الانكليز ..

واصلنا رحلتنا مروراً بعين سوفني بإتجاه النوران ، ذلك النهر الجميل الذي تحيطه الأشجار من الطرفين حتى وصلنا إلى قرية تسمى مار قبيسي (أومار قابشي . اليوم) أو بير قبيسي كما يسميها أهل المكان من الايزيديون وإقتربت من قبر الملك في مزار يتوسط المكان لهم وتطلعت الى الرقم الموجود على القبر لأن هذا كان الرقم في قبر ملك قديم كان قائماً هناك وتأكدت منه وبعد رؤية القبر الذي تحدثت عنه ، أعتقد اعتقاداً راسخاً أن الضريح الذي أقامته آنانا لزوجها إن لم يكن أكثر شهرة ، بعدها وصلنا قرية تسمى تل بيلا ، والتي تعني في لغتهم تل الرب على الرغم من أنه يُعتبر أحد عجائب العالم ، فوق التل كان مزار أو ضريح يسمونه صاحب المكان والزمان لكن الضريح دمره الزمن ، والذي يبدو أنه ليس له أي قوة ضد هذا النصب التذكاري ، الذي قاوم أيضاً جهود الحقد البشري ، المكان يقع بين تلتين مرتفعتين ، والمزار الذي ذكرته يقع عند سفح التل الشمالي . أولئك الذين يقولون إن آشور أعاد بناء مدينة تل بيلا للإله شيسن ، يؤكدون أيضاً أنه بنى لنفسه هذا المزار الشهير . هناك دلائل على أن سنحاريب أقامه لنفسه ، إلى جانب آخر بالقرب منه صنعه للملكة عشتار الحقيقة ان سكان المكان كانت لهم تفسيرات مختلفة لتاريخ المزار ، وهذا الرأي يصبح أكثر ترجيحاً بالنظر إلى المسافة القصيرة من هذا الموقع إلى مدينة باب عشق (بعشيقة) ، أو باب حُزن (بحزاني) ، التي كان يقيم فيها عموماً . عند سفح التلال بدأ سلّمان متقابلان ، مع العديد من القباب المخروطية المصنوعة من الحجارة ذات الحجم الكبير لدرجة أنه سيكون من غير المصدق عندما أؤكد أن بعضها عندما تم قطعها لأول مرة ، كان محيطها أكثر من خمسة وعشرين متراً وعرضها عشرة أو اثني عشر ، وارتفاعها ستة أو ثمانية ، وكان هناك الكثير منها في جميع أنحاء الهيكل بأكمله ، لأن المبنى كان يتكون بشكل أساسي من هذه الحجارة فقط ، ولم يكن من المستغرب أن نفكر في كيفية وضعها واحدة فوق الأخرى ، وخاصة في الأعمدة ، حيث كانت الحجارة أكبر من أي جزء آخر . كان الأمر الذي أذهلنا أكثر هو رؤية أن بعض المصليات الصغيرة كانت مصنوعة من باب حجري واحد ، ورصيف ، وجدران ، وسقف ، كانت السلالم ، التي تحدثت عنها ، تلتقي في هبوط واسع ، حيث يمكن رؤية السهل بأكمله . كانت جدران السلالم مغطاة بالكامل

بتماثيل بارزة ، من صنعة ممتازة لدرجة أنني أشك في إمكانية تجاوزها ؛ وبصعود السلالم ، كان الوصول إلى شرفة واسعة ، حيث كانت تقف عليها أربعون عمودًا أعطت اسمها للمكان ، وكل منها مكون ، على الرغم من حجمها الكبير ، من ثلاثة أحجار فقط . قد تكون القواعد مستديرة بثلاثين نخلة ، وعلى الأعمدة كانت هناك تماثيل منحوتة بشكل جميل . كانت الأروقة التي يتم الدخول من خلالها إلى الشرفة عالية جداً والجدران سميكة جداً في كل طرف ، كانت تبرز أشكال أسود وحيوانات شرسة أخرى ، منحوتة بشكل بارز في نفس الحجر ، منفذة بشكل جيد لدرجة أنها بدت وكأنها تحاول إرهاب المتفرجين ، تم رسم صورة الملك بالحجم الطبيعي على الأروقة وفي العديد من الأجزاء الأخرى) .

الفصل الأول

التاريخ الرومانسي للنقوش الزهرية

لقد كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل إمتلاك الصفات العقلية التي لابد وأن تكون متأصلة في من يفك رموز لغة منسية كما أنه يجب أن يتحلى بالضمير والصدق في نقل الحقيقة . فهو ليس بالضرورة عالماً عظيماً ، وإن كان علماء عظماء نجحوا في فك رموزها . وربما لا يعرف إلا القليل عن اللغات التي تتشابه مع اللغة التي يحاول كشف أسرارها كلغة سومر أو لغة بابل أو آشور . وربما لا يعرف عنها شيئاً ، كما حدث عدة مرات . ولكن الصبر والمثابرة وقوة الجمع والهبة الإلهية المتمثلة في البصيرة ، والحس التاريخي ، والشعور بالإشارات الأثرية ، لابد وأن تكون حاضرة كلها في البحث ، وكل هذه كانت حاضرة في الرجل الاستثنائي الذي تصدى للمشكلة التي حيرت الكثيرين من المستشرقين في بحثهم عن ماضي الشرق العميق . في التاسع من يونيو/حزيران 1775، ولد جورج فريدريش جروتفيند في موندن ، في هانوفر ، ألمانيا . وكان مقدراً له أن يصبح عالماً لغوياً كلاسيكياً ، ولهذا الغرض درس أولاً في إلفيلد ثم في جامعة جوتنجن . لقد جذب هنا الكثير من الاهتمام ، ليس فقط باعتباره باحثًا كلاسيكياً واعداً ، ولكن أيضاً باعتباره رجلاً عبقرياً لديه شغف بحل الأسئلة الصعبة والمعقدة .

والتحق جروتفيند على الفور بالجيش ، ورغم أنه لم يكن يتمتع بأي قدر من المعرفة الشرقية ، فقد شرع في العمل ، وربما لم يكن يتخيل كم من السنوات سيقضيها في كتابة هذه النقوش الصغيرة أو العمل الذي نتج عنها . وكانت طريقته بسيطة للغاية ، ويمكن توضيحها بوضوح تام دون امتلاك أي معرفة لغوية ، وقد استقى مبادئه الأساسية وأبسط الحقائق التي توصل إليها من أسلافه . فقد بدأ بافتراض وجود ثلاث لغات ، وكانت اللغة الأولى من بين هذه اللغات هي الأكادية القديمة ، لغة الإيزيديين ، الذين أقاموا هذه القصور وأمروا بكتابة هذه النقوش . وفي محاولاته الأولى لفك رموز هذه النقوش ، اختار اثنين من هذه النقوش الأكادية القديمة ووضعهما جنباً إلى جنب . ولم تكن النقوش التي وقع عليها الاختيار طويلة جداً ولا قصيرة جداً ، فقد بدا أن تكرار نفس العلامات فيها يشير إلى أن محتوياتها متشابهة ، وفي النهاية قام نيبور بنسخها بوضوح وبشكل دقيق ، وقد اختار نيبور النقوش التي تحمل الرقمين (ب) و(ج) والتي يمكن أن نسميها ببساطة الأول والثاني وقد ذهب نيبور ، بعد تيكسين ومونتر ، إلى أن هذه النقوش التي ترافقت مع صور الملوك كانت ألقاب هؤلاء الملوك ، ومن المفترض أنها كانت مماثلة لنقوش الملوك السومريين التي فك شفرتها دي ساسي للتو . وقد وضع جروتيفند هذين النقشين جنباً إلى جنب وفحصهما بعناية وقد أشار عمل مينتر إلى كلمة ظهرت كثيراً في هذه النقوش ، أحياناً في شكل قصير وأحياناً أطول ، كما لو كانت في الحالة الأخيرة قد أضيفت إليها بعض النهايات النحوية . وقد ظهرت هذه الكلمة في هذين النقشين في الشكلين الأقصر والأطول . كان جروتيفيند مقتنعاً بأن هذه الكلمة تعني الملك ، كما اكتشف مينتر ، وعندما ظهرت مرتين

في كل من هذه النصوص في نفس المكان تماماً ، أولاً في الشكل الأقصر ثم في الشكل الأطول ، فإن التعبير يعني ملك الملوك ..

وإكتشف أن الأحرف الأكدية نفسها مقسمة الى أحرف نارية وأخرى هوائية وأخرى مائية وأخرى ترابية وتعمق بحثه في الكشف عن الأعمدة الأربعة للغة ، قد كانت هذه النتيجة بمثابة بداية عهد جديد ، ولم يدركها بسهولة بكل حماسه وثقته بنفسه التي تنبع من عبقريته . لقد كان حريصاً على أن يظهر أمام العالم المتعلم ليقبله ، أو ربما ليُنتقده وكان من المفترض أن يكون ذلك سهلاً ، ولكن في واقع الأمر لم يكن سهلاً فقد رفضت أكاديمية غوتنجن للعلوم أن تؤمن مطلقاً بأساليبه أو بنتائجه ، ولم تكن لتخاطر بتشويه سمعتها بنشر بحث جروتفيند الذي يصف عمله في معاملاتها . لم يكن جروتفيند مستشرقاً على الإطلاق من حيث التدريب أو الخبرة ، وكان علماء غوتنجن من المستشرقين يتساءلون عما إذا كان من الممكن أن يخرج من الناصرة أي شيء جيد ، أي ما إذا كان من الممكن لرجل غير مستشرق أن يقدم مساهمة ذات قيمة في المعرفة الشرقية . كانت هذه القضية محزنة بالنسبة لفك الشفرات العميقة المعاني ، لأنه لم يكن من السهل أن نرى كيف يمكنه أن يكتسب أي دعاية لعمله . في هذه اللحظة ، عرض صديق شخصي ، أ. هـ. ل . هيرين ، الذي كان على وشك نشر كتاب عن العالم القديم ، أن يخصص مساحة في الملحق الخاص بـ جروتفيند لغرض عرض نظرياته واكتشافاته . واغتنم جروتفيند الفرصة بشغف ، وظهر عمله . وقد قوبل العمل ، في مجمله ، باستقبال بارد . فقد ندد به فولني لأنه يعتمد على أشكال من الأسماء التي كانت مشكوكاً فيها على الأقل وقد تكون غير صحيحة هذا من وجهة نظر من حاول التشكيك بقدراته ، وانضم إليه العديد من الأصوات الألمانية . ومن ناحية أخرى ، استقبل أنكيتيل دوبرون ، وهو رجل خبير برحابة نظراً لفكه لغز الأعمدة الأربعة للغة ، وتلقاه دي ساسي الخالد بحماس ورحب به باعتباره بداية القراءة المؤكدة لهذه النقوش ..

ولقد تلقى أولئك الذين شككوا في صحة الخطة برمتها انتكاسة شديدة في وقت لاحق ، وكانت هذه الانتكاسة من مصدر غير متوقع ، ولنتذكر أنه بينما كانت نقوش لالش لا تزال في مرحلة النسخ ، وصلت إلى باريس مزهرية جميلة تحتوي على بعض النقوش الأكادية السومرية ، وبعض العلامات مثل تلك التي وجدت في لالش . وبعد نشر عمل جروتفيند في كتاب هيرين ، كرس الأب سان مارتن في باريس الكثير من التفكير والوقت لنقده ودراسته وفي ذلك الوقت كان شامبليون منخرطاً في فك رموز اللغة الأكادية السومرية . واقترح على الأب أن يحاولا فك رموز العلامات الموجودة على المزهرية معاً والتي كانت في لالش قبل إحضارها الى باريس . وعندما حاولا ذلك ، وجد الأب أن الاسم الموجود على المزهرية بالأحرف المسمارية يجب أن يُكتب على النحو التالي ..

شيخ — آدي

وقد تأكد هذا بشكل ملحوظ من خلال العثور على نفس الاسم ، وفقاً لشامبليون ، في العلامات المكتوبة بالهيروغليفية كانت هذه مسألة صغيرة من بعض النواحي بالنسبة لهما ، لكنها زادت من إيمان الكثيرين بطريقة ونتائج جروتيفيند ..

وفي الوقت نفسه ، كان جروتيفيند نفسه يواصل جهوده لتجاوز هذه الكلمات القليلة وفك رموز نقش كامل ومع ذلك في هذه المرحلة ، كانت هناك حاجة إلى سمات ذهنية مختلفة تماماً ، وتجهيز ذهني متغير تماماً . في العمل التمهيدي ، كان نوع العقل الذي يمتلكه جروتيفيند متكيفاً بشكل رائع مع العمل الذي يتعين القيام به في ترجمة الألواح ونقل أسرارها . كان التدريب الذهني المستمد من الدراسة الطويلة لكلاسيكيات اليونانية واللاتينية مفيداً أيضاً . ومع ذلك ، فقد وصل الآن إلى النقطة التي أصبحت فيها المعرفة الواسعة والمحددة باللغات الشرقية ضرورية بشكل حتمي من أجل تأمين كلمات من الإيزيدية القديمة ، يجب أن يعرف الكلمات في اللغات الشرقية ذات الصلة أو في تلك اللغات الأخرى التي على الرغم من عدم ارتباطها ، كانت تستخدم في نفس المنطقة أو حولها وبالتالي ربما استعارت كلمات من الأكادية القديمة . كان لابد أن يكون على دراية بالروح الشرقية ، وأن يكون لديه شعور بالحياة الشرقية وطبيعتها ، وأن يكون قادراً على فهم ما قد يقوله الشرقيون مسبقاً . لم يكن أي من هذه الممتلكات ملكاً له . لذلك كانت أعماله اللاحقة فاشلة إلى حد كبير. حاول ترجمة نقوش كاملة ، وفشل تماماً تقريباً ، رغم أنه كرس الكثير من الوقت طوال بقية حياته لهذه المسألة ، دون أن يتخلى مع ذلك عن مجاله الحقيقي في الأدب الكلاسيكي للألواح ..

ورغم أن جهود جروتيفند اللاحقة لم تكن ناجحة من وجهة نظر منتقديه ، فإن لا شيء يمكن أن يطفئ بريق شهرته كفك رموز الألواح التي وجدها . فهو أول من تعلم كيفية قراءة كلمة إيزيدية قديمة . ومن هنا ، في الوقت المناسب جاءت القدرة على قراءة الكلمات البابلية والآشورية . بعبارة أخرى ، من خلال اكتشافات جروتيفند أعيد فتح عالم السومرية القديمة ، وتعلم الرجال قراءة نقوشها القديمة بطريقة جديدة تقوم على فهمه للأحرف النارية والمائية والهوائية والترابية . ومن خلالهم أيضاً أعيد اكتشاف عوالم آشور وبابل الأعظم كثيراً . وقد جاء الكثير مما نعرفه عن السومرية القديمة من هذه الاكتشافات وكل ما نعرفه تقريباً عن آشور وبابل كان مشتقاً منها ، وبينما كان لا يزال يعيش ويعمل تولى آخرون يتمتعون بمعدات أفضل في معرفة اللغات الشرقية عمله . وكان أول هؤلاء النرويجي المولد ر. راسك . وكان من حسن حظه أن اكتشف النهاية الجمع في اللغة الأكادية القديمة بنفس الطريقة التي تحدث عنها جروتيفند ، والتي حيرت جروتيفند في بدايات بحثه ورحلته . ولم يصل جروتيفند في عمله في فك الرموز كلها إلى حد تحديد كل الحروف في عبارة ملك الملوك ، وقد نجح في ذلك الآن راسك الذي قسم الحروف بشكل صحيح أعمق من سابقه . وتظهر نفس النهاية أيضاً في كلمة أخرى بعد كلمة ملك . وقد اقترح راسك أيضاً ترجمة معقولة جداً . ففي النقوش السومرية ، كانت العبارة ملك الأراضي ، فلماذا لا تكون هذه هي العبارة نفسها ؟ سوف نجد الإجابة على هذا السؤال في وقت لاحق ..

وظهر الآن رجل قادر على التعامل مع مشكلة نقوش لالش ، وكان أكثر استعداداً للتعلم من أي شخص سبقه . كان هذا الرجل هو العالم الفرنسي يوجين بورنوف . وقد اكتسب شهرة كبيرة بالفعل باعتباره الرجل الذي أعطى قواعد اللغة الإيزيدية أساساً علمياً . وكان يعرف هذه اللغة بكل تعقيداتها . وأضاف إلى ذلك معرفة بحياة الإيزيديين ودينهم في الفترة التي تلت الفترة التي تنتمي إليها هذه النقوش . وكان من الممكن تطبيق كل هذه المعرفة على هذه

النقوش ، وقد استخدم بورنوف كل ذلك كخبير في نسخ الألواح وتفسيرها . فقد وجد في أحد النقوش الصغيرة التي نسخها نيبور في نقش رستم قائمة بأسماء البلدان . وقد درس هذه القائمة عن كثب ، وتمكن من خلالها من تحقيق العديد من الإنجازات المتميزة بقي قسماً منها محاط بالسرية لأسباب مجهولة . ففي المقام الأول وجد ما يعادل كل حرف تقريباً في الأبجدية الأكادية رقم معيّن . وفي المرة التالية قرر أخيراً أن اللغة الأكادية القديمة هي ليست نفس اللغة الإيزيدية ، ولكنها وثيقة الصلة بها ، وبالتالي كان هناك أمل كبير في أن اللغة الإيزيدية بالإضافة إلى بعض اللغات القديمة ستساهم في إلقاء الضوء بشكل مهم على دراسة اللغة الأكادية القديمة رغم تشابه الأحرف بشكل كبير ..

قبل أن يتوصل بورنوف إلى اكتشافاته بالكامل ، وقبل أن ينشرها ، لفت انتباه لاسين إلى هذه القائمة من الأسماء وبدافع من ملاحظات بورنوف ، جعل لاسين هذه القائمة نفسها من الأسماء موضوعاً للتحقيق ، وفي نفس الوقت تقريباً الذي نشر فيه بورنوف نتائج دراسته ، والتي كانت متطابقة تقريباً . ومع ذلك ، فقد أحرز تقدماً واضحاً للغاية على بورنوف في جانب واحد على الأقل فقد اكتشف أنه إذا اتبع نظام جروتيفند بصرامة ، وأعطي لكل حرف المعادل الدقيق الذي حدده جروتيفند ، فلن يكون من الممكن قراءة العديد من الكلمات على الإطلاق ، بينما ستُترك كلمات أخرى بالكامل أو تقريباً بدون حروف العلة . وذكر أمثلة على هذه الكلمات مثل شيخ ، بير ، ماندو ، مُربي . قاد هذا الموقف لاسين إلى اكتشاف مهم للغاية ، وقد ساعدته معرفته بالأبجدية الآرامية كثيراً في الوصول إليه . لقد توصل في كلمة واحدة إلى استنتاج مفاده أن العلامات الأكادية القديمة لم تكن أبجدية بالكامل ، بل كانت مقطعية جزئياً على الأقل ، أي أن بعض العلامات كانت تستخدم لتمثيل ليس فقط حرفاً أبجدياً مثل (ب)، ولكن أيضاً مقطعاً لفظياً مثل (با) ، (بي) ، (بو) . لقد اعتقد أنه نجح في إثبات أن علامة (أ) كانت تستخدم فقط في بداية الكلمة ، أو قبل حرف ساكن ، أو قبل حرف علة آخر ، وأنها كانت مدرجة في كل حالة أخرى في علامة الحرف الساكن. على سبيل المثال ، في النقش ..

كان هذا الاكتشاف ذا أهمية بالغة ، ويمكن القول إنه أحدث ثورة كاملة في دراسة هذه النصوص الطويلة المحيرة وقد قدم اثنان من العلماء الآخرين مساهمات مهمة في هذا الاكتشاف ، الأول هو بير ، والثاني هو جاكيه ، وهو عالم باريسي متخصص في قراءة الألواح . وقد استمر هذا الخط الطويل من فك الرموز بنجاح باستخدام جزء صغير فقط من نقوش بلاد سومر القديمة ، التي كانت لا تزال موجودة . بل إن نسخاً أخرى أفضل من النقوش كانت موجودة في هذا الوقت في أوروبا ، لكنها لم تُنشر . في عام 1811، زار الرحالة الإنجليزي كلوديوس جيمس ريتش لالش ونسخ جميع النصوص التي عُثر عليها ، بما في ذلك النصوص التي نسخها نيبور وأسلافه . وقد اكتُشِفَت هذه النصوص في أوراق ريتش ، ونشرت في عام 1839 ووصلت بشكل طبيعي إلى يدي لاسين ، الذي وجد فيها الكثير من المواد الجديدة لاختبار طريقته وتوسيع عملية فك الرموز ..

والكثير من القراءات المتعلقة بفك النقوش في لالش ومناطق أخرى كتبت بنفس اللغة بقيت طي الكتمان لأسباب لم يُعلن عنها ولولا فتح السرية عنها عام 2009 لم نكن نطلع عليها أو نتقرب من هذا النوع من الكتابات والتحليلات لهذه الرموز لفترة مهمة من التاريخ السومري ..

ولقد حصل لاسين على مادة أعظم وأكثر قيمة من خلال رحلات ويسترجارد ، وهو دانمركي ، والذي قلد في هذا مواطنه نيبور بجدارة . فقد زار ويسترجارد مرة أخرى الأرض القديمة في لالش وأعاد نسخ كل النقوش المعروفة هناك وقارنها بعناية . ولم يكن في هذا عملاً عديم الجدوى ، لأنه لم يكن من الممكن التوصل إلى نص نهائي محدد وكامل إلا من خلال النسخ والمقارنة المتكررة ، والتي بدونها كان فك الرموز سيظل دائماً عرضة للمراجعة . ولكن ويسترجارد ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد زار في نقش لالش مقابر الملوك الآشوريين كما كان يعتقد ، وهناك نسخ كل نقوش المقابر التي لم تكن معروفة حتى ذلك الحين . وعند عودته ، أصبحت هذه المادة الجديدة في متناول لاسين ، الذي أصبح الآن الزعيم الحقيقي في عمل فك الرموز هذا . ولقد وجد لاسين أن النسخ الجديدة من النصوص القديمة كانت بالغة الأهمية إلى الحد الذي دفعه إلى مراجعة بعض النصوص القديمة من جديد ، ووجد أنه من المفيد إعادة تحرير بعض أعماله التي بدت له من قبل وكأنها نهائية . ولقد كانت نفس المادة سبباً في دفع عامل جديد إلى الميدان ، في شخص هولتزمان ، من كارلسروه ، في ألمانيا إلا أن عمله لم يترك أي انطباع عميق على الحركة العامة لكنه إفترض أن المقابر لشخصيات ايزيدية وليست لملوك آشوريين ..

لقد كان جروتيفند وبورنوف يشغلان المناصب الرئيسية في عملية فك الرموز حتى ذلك الحين ، ولكن للحفاظ على طابعها الدولي كان الوقت يتطلب عمالاً من بلدان أخرى وآراء متعددة . وكما حدث في ذلك الوقت ، كان رجل إنجليزي يعمل على نفس المهمة ، من وجهة نظر مختلفة ، وبمواد مختلفة . وكان من حسن الحظ أن يكون الأمر كذلك ، لأن الاستنتاجات التي تم التوصل إليها حتى الآن ربما كانت لتفشل في القبول العام لولا الدعم الذي حصل عليه من نشر نتائج مماثلة توصل إليها رجل من جنسية مختلفة وتدريب متنوع . إن تاريخ جميع أشكال فك رموز اللغات غير المعروفة يُظهِر أن الشكوك حولها أكثر انتشاراً من نقيضها ، السذاجة ، أو المتوسط السعيد المتمثل في الإيمان غير الجاهز ، لهذا كانت الآراء المتعددة مهمة لتوثيق نقوش لالش ونقلها الى المتحف الملكي البريطاني ..

كان الرجل الذي عليه أن يوبخ المعارضين ويضع حجر الأساس لعمل فك رموز النقوش الأكادية هو الرائد هنري رولينسون (الذي أصبح فيما بعد السير) الذي ولد في تشادلينجتون بأكسفورد بإنجلترا في الحادي عشر من إبريل/نيسان 1810 وقد ذهب رولينسون وهو لا يزال صبياً إلى الهند في خدمة شركة الهند الشرقية وانتقل الى البصرة وهناك تعلم اللغة الأكادية والعديد من اللهجات الآرامية . ولم يكن من المرجح أن ينتج هذا التدريب رجلاً قادراً على فك رموز لغة غير معروفة . فقد كان هذا التدريب هو نفسه الذي أنتج رجالاً مثل الرحالة الأوائل الذين صنعوا النسخ الأولى من النقوش في لالش . ولكن ذلك كان في وقت كان فيه عدد من العلماء الأوروبيين يحاولون بجدية فك رموز النقوش في لالش التي كانت موضع إهتمام عميق من الجميع . ولم يكن رولينسون يعرف عن كل هذا العمل الشاق إلا القليل نسبياً . من المستحيل تحديد متى حصل رولينسون على معلومات دقيقة عن عمل جروتفيند

وذلك لأن نوريس ، سكرتير الجمعية الملكية الآسيوية لم يترك لنا أي سجل يشير إلى متى أرسل نسخًا من مقالات جروتفيند إلى مفكك الشفرات البعيد كي ينشرها أو على الأقل يعلن لهم عن مضمونها. ومهما كان ما تم إرساله في البداية ، فمن الواضح أن رولينسون عمل بشكل مستقل إلى حد كبير لفترة طويلة . ومن المؤكد أنه بدأ عمله واتبع طريقته قبل أن يعرف ما كان يحدث في أوروبا ..

كانت الفكرة السائدة آنذاك أن لالش كانت تمثل الموقع السري للحكومات المتعاقبة في كل من سومر وبابل وآشور أو على الأقل كان الملك يتم إختياره من ذلك المكان بالتحديد ، لهذا كانت الحكومة البريطانية حذرة في ترشيح الشخصيات التي تتصدى لترجمة المخطوطات والألواح واللازورد الذي تم نقله من لالش الى اوربا وتم تحديد شخصيات معينة لفك رموز هذه الألواح ..

كانت طريقة رولينسون تشبه إلى حد كبير الطريقة التي تبناها جروتيفند في المقام الأول ، فقد نسخ نقشين بثلاث لغات كتبها الايزيديون على هذه النقوش . ويبدو أنه أدرك على الفور أنه كان أمامه ثلاث لغات لأسباب دينية بحتة تتعلق بالايزيديين ، وليس مجرد ثلاثة أساليب للكتابة . ولعل خبرة رولينسون بالطابع المتعدد اللغات للشرق ساهمت في هذا التقدير السريع لوجود ثلاث لغات . في عام 1839 كتب عن طريقته في فك الرموز (عندما شرعت في مقارنة النقشين وربطهما ببعضهما أو بالأحرى الأعمدة الأكادية في النقشين ، لأن الأقسام التي تظهر النقش باللغة الأكادية احتلت المكان الرئيسي في ألواح لالش ، وكانت محفورة بأقل أنواع الكتابة المسمارية تعقيداً ، فقد خضعت للفحص بشكل طبيعي أولاً .. وجدت أن الأحرف متطابقة في جميع الأنحاء ، باستثناء مجموعات معينة معينة ترمز لأشياء غير مفهومة ، وكان من المعقول أن نفترض أن المجموعات التي تم إخراجها وتفصيلها بهذه الطريقة يجب أن تمثل أسماء علم أو رموز سرية دينية ايزيدية . كما لاحظت أنه لم يكن هناك سوى ثلاث مجموعات متميزة في النقشين ، فالمجموعة التي احتلت المركز الثاني في أحد النقشين والتي اقترحت من موقعها فكرة تمثيلها لاسم والد الملك الذي تم الاحتفال به هناك قبل تنصيبه أو تم إخضاعه للقسم أمام بوابة لالش قبل تنصيبه ، تتوافق مع المجموعة التي احتلت المركز الأول في النقش الآخر ، وبالتالي لم تخدم بشكل حاسم في ربط النقشين معاً فحسب ، بل وأيضاً ، وعلى افتراض أن المجموعات تمثل أسماء علم لملك عظيم ، بدا الأمر أيضاً وكأنه يشير إلى تتابع نسبي في التواريخ وكان الاستنتاج الطبيعي هو أنني حصلت في هذه المجموعات الثلاث من الشخصيات على أسماء علم تنتمي إلى ثلاثة أجيال متتالية من ملوك السومريين ، وقد حدث أن الأسماء الثلاثة الأولى لسرجون الأكادي وريموش ومانشتوشو لكن الغرابة بالنسبة لعلماء الآثار كانت تكمن في وجود أسماء الملوك على جدران لالش والتسمية التي أطلقتها على المجموعات الثلاث على سبيل المجازفة وفقاً للتسلسل أثبتت أنها تجيب على جميع الجوانب بشكل مرضٍ وكانت في الواقع هي التعريفات الحقيقية للفترة الزمنية السومرية) ..

كان العمل التالي الذي قام به رولينسون هو نسخ النقش العظيم الذي يحمل اسم جودي على الصخور في بيستون وكان جودي رجل يرتدي ثوباً ايزيدياً تابعاً للكهنة في لالش . وكانت هذه مهمة بالغة الصعوبة ، وقد خاطر بحياته من موقعه المرتفع فوق الصخور وتحت أشعة الشمس الحارقة ، وفي عام 1835، عندما اكتشفه رولينسون لأول مرة

لم يتمكن من دراسته إلا باستخدام منظار ميداني . وفي ذلك الوقت لم يكن بوسعه نسخ النص بالكامل ، ولكنه اكتسب المزيد منه في عام 1837، عندما أصبح أكثر مهارة في التعامل مع الأحرف الغريبة ولكنه منع من كتابة كل شيء متعلق بجودي وعلاقته بالكهنة في لالش . وفي ذلك العام أرسل إلى الجمعية الملكية الآسيوية في لندن ترجمته للفقرتين الأوليين من هذا النقش الأكادي ، الذي يحتوي على اسم جودي وألقابه ونسبه . ولابد أن نتذكر أن رولينسون أنجز هذه المهمة دون معرفة باللغات ذات الصلة ، باستثناء ما استطاع استخلاصه من أبحاث أنكيتيل-دوبرون . ولكن في خريف عام 1838، حصل على أعمال بورنوف عن اللغة الإيزيدية ، التي أثبتت قيمتها الهائلة في عمله . كما حصل في الوقت نفسه على نسخ من نقوش لالش التي كتبها نيبور ، ولوبرون ، وبورتر ، وكانت أسماء البلدان الموجودة فيها ذات فائدة كبيرة له ، كما كانت بالفعل لبورنوف ولاسين . وبفضل كل ما فعله العلماء الأوروبيون تقريباً ، تمكن رولينسون الآن من إحراز تقدم سريع ، وفي شتاء عامي 1838 و1839 كان أبجديته للغة الأكادية القديمة مكتملة تقريباً . ومع ذلك لم يكن راولينسون راغباً في نشر نتائجه قبل أن ينهب كل مصدر ممكن للمعلومات التي قد يكون لها أي علاقة بالموضوع . وفي عام 1839 استقر في بغداد ، وانتهى عمله بالفعل وكتب للنشر ، لكنه ما زال متردداً وينتظر المزيد من الضوء الأخضر . وهنا حصل على كتب من إنجلترا لدراسة الآرامية ، ورسالة من الأستاذ لاسين ، والتي أسعدته كثيراً ، رغم أنه لم يتمكن من الحصول منها إلا على حرف واحد لم يكن يعرفه من قبل . وهنا أيضاً تلقى النسخ التي صنعها السيد ريتش في لالش ، ونسخة من نقش جودي في فان الذي صنعه السيد يوجين بور . وفي هذا العام (1839) كتب مذكراته الأولية ، وكان يتوقع نشرها في ربيع عام 1840 لكنها لم تنشر ..

وفي تلك اللحظة بالذات أُبعد فجأة من بغداد وأُرسل إلى أفغانستان كعميل سياسي في قندهار بعد أن تخوفت الحكومة البريطانية من إقدامه على نشر نتائج عمله دون أخذ الإذن بذلك . وفي هذه البلاد التي كانت في حالة حرب آنذاك ، أمضى سنوات عصيبة حتى عام 1843. وكان منغمساً في الحرب الأفغانية ، التي نال فيها شهرة واسعة ، وفي الإدارة أيضاً ، إلى الحد الذي جعله يتخلى عن دراساته الشرقية تماماً . وفي ديسمبر/كانون الأول 1843، عاد إلى بغداد بعد أن تعهد بإرسال نتائج أبحاثه الى الحكومة البريطانية ويخضع لقراراتها في نشر النتائج من عدمه ، فاستأنف على الفور تحقيقاته وهناك حصل على نسخ جديدة وتصحيحات للنقوش الأكادية التي كتبها ويسترجارد ، ثم قام بعد ذلك برحلة إلى بهستون لإتقان نسخه من تلك النصوص التي شكلت الأساس لدراسته الأولى . وفي النهاية ، وبعد العديد من التأخيرات والإحباطات ، نشر في عام 1846 في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية مذكراته ، أو سلسلة المذكرات ، عن النقوش الأكادية القديمة ، حيث قدم لأول مرة ترجمة شبه كاملة للنص الأكادى الكامل لبيهستون والتي كانت منقحة بطريقة توحي أن هناك من أشرف على المعلومات وإدخالها بطريقة ترضي السلطات البريطانية . وبفضل هذه المذكرات نال رولينسون شهرة خالدة في مجال البحوث الشرقية . وقد استمر عمله في ظل صعوبات لم يحلم بها العلماء الأوروبيون قط ، لكنه تفوق عليهم جميعاً في صنع ترجمة مفهومة ومترابطة لنقش طويل عن لالش . ورغم أن هذا كان أمراً رائعاً ، إلا أن الأمر الأكثر أهمية فيما يتعلق بعمله هو أن

الكثير منه تم بمساعدة صغيرة من أوروبا . لقد تلقى بالفعل من نوريس نتائج جروتيفند ، وإن لم يكن في البداية ، وقد تم تزويده لاحقاً بكل ما تمكن العلماء الآخرون من إنجازه . وعلاوة على ذلك كان يتراسل منذ عام 1837 مع بورنوف ولاسين ، حيث حصل منهما على مساعدة مهمة في هذا المجال . وعندما نأخذ في الاعتبار كل هذه التأثيرات التي عانى منها بسبب سرّية المعلومات ، فإن شهرته لا تتضاءل ولا مدى خدماته في فك الرموز يتقلص . فقد استقرت طريقته في وقت مبكر وقبل أن يعرف بعمل لاسين . وحقيقة أن رجلين من تدريب مختلف إلى هذا الحد ومن نوعين متعارضين من العقليات قد وقعا على نفس الطريقة ، وبواسطتها توصلا إلى نفس النتائج ، أكدت في نظر كثيرين صحة فك الرموز ..

بعد أن تأقلم على الطريقة الجديدة في الترجمة تعمق في سرد كيف نسخ الرائد رولينسون في بهيستون نقش جودي وكيف نجح في فك شفرته . ومع تقدم البحث يتجاوز عمل رولينسون ليخبرنا بما ارتكبه جروتفيند وآخرون في أوروبا من سوء جعل أغلب ترجماتهم لنقوش لالش لم تنشر ، فيعرض في كل جملة معرفة شاملة بتاريخ المحاولات المختلفة لفك الشفرة . ثم ينتقل إلى نقد مهذب ولطيف ولكن ثاقب لبعض قراءات أو ترجمات الرائد رولينسون ، ويعرض هنا إتقاناً للموضوع بأكمله لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لسنوات من الدراسة . لم يكن هناك سوى رجل واحد في أيرلندا كان بإمكانه كتابة مثل هذه الورقة عن الموضوع ، وكان قساً ريفياً هادئاً في كيليليج مقاطعة داون ، القس إدوارد هينكس! ولد في كورك ، عام 1792، وبالتالي كان أكبر من رولينسون بحوالي ثمانية عشر عاماً . وبعد أن تلقى تعليمه في كلية ترينيتي بدبلن ، تلك المدرسة الرائعة التي تخرج منها الأيرلنديون المتميزون ، والتي نال فيها الميدالية الذهبية في عام 1811، استقر في عام 1825 في كيليليج ، ليقضي بقية حياته . ويبدو أن مساهماته الأولى في التعلم البشري كانت في الرياضيات ، ولكنه بدأ مبكراً في تكريس نفسه للغات الشرقية وخاصة المتعلقة بالسومريين فنشر في عام 1832 كتاباً عن قواعد اللغة العبرية وإصولها الآرامية البابلية . وكان من رواد فك رموز اللغة المصرية الهيروغليفية ، ويُعترف الآن بأن مساهماته في هذا العمل العظيم كانت من أعلى المراتب . ومن المؤسف أن حياته لم تُكتب قط بشكل جدير بالاهتمام ، ومن المستحيل تحديد متى بدأ دراسة نقوش لالش لأول مرة لكن أبحاثه لم ترَ النور لأسباب بقيت مجهولة حتى يومنا هذا . من الواضح أنه بشكل مستقل عن رولينسون ، توصل إلى معنى عدد كبير من العلامات الايزيدية والرسومات الهندسية في النقوش ومعانيها ، وكان بين أوراقه ، قبل ظهور عمل رولينسون ، ترجمات لبعض نصوص لالش . وقد قُرئت أول مذكرات منشورة له أمام الأكاديمية الملكية الأيرلندية في السادس من يونيو عام 1846، بعد أن كتبها في شهر مايو من ذلك العام . وفي هذه الورقة ، يُظهِر هينكس إطلاعه على الجهود التي بذلها ويسترجارد ولاسين في فك رموز اللغة الأيزيدية ، ولكن يبدو أنه لم يطلع على أعمال مفككي الرموز القاريين الآخرين من الذين ترجموا نفس النقوش . لقد تفوق على هذين الرجلين كثيراً دون الاستفادة من الميزة التي يتمتعان بها في الأدب الأكثر اكتمالاً عن النقوش السومرية ..

لقد تمكن هينكس من فك رموز النقوش الأكادية للمرة الثالثة بشكل مستقل وترجمتها جزئياً بناءاً على رغبة بريطانية في عدم توفير كل الأجزاء للمترجم . ولم يتوقف الدكتور هينكس عن عمله بعد ذلك ، بل واصل أبحاثه الكبرى ،

والتي كتب عنها لاحقاً في هذه القصة ، لقد انتهى عمل فك رموز النقوش الأكادية القديمة الآن بالطبع كان هناك الكثير مما يجب تعلمه فيما يتعلق باللغة والمادة التاريخية التي قدمتها النقوش . وسوف يستمر التحقيق في هذه النقاط وغيرها حتى هذه الساعة . ولكن العمل الخالص لفك الرموز انتهى ، وتمت قراءة النصوص . لقد عادت لغة ماتت منذ زمن طويل إلى الحياة . لقد تحدث الرجال الذين صمتوا لفترة طويلة . لقد بدا الأمر وكأنه حلم ، لقد كان حقيقة حقيقية ، نتيجة لدراسة طويلة ومؤلمة على مدى سلسلة من السنوات من قبل عشرات الرجال ، كل منهم ساهم بنصيبه ..

ورغم أن العمل على اللغة الأكادية كان في هذه المرحلة المتقدمة مكثفاً بما فيه الكفاية ، إلا أنه لم يتم إنجاز سوى القليل جداً من العمل على اللغتين الأخريين على نفس النقوش . ولم يكن أحد يعرف الآن ما قد تكون عليه نتيجة دراسة مماثلة لهاتين اللغتين . وكان يُعتقد أن الأعمدة المكتوبة بلغتين أخريين تحتوي على نفس الحقائق التي تم استخراجها بجهد كبير من اللغة الأكادية القديمة ، وبالتالي لم يكن هناك أي دافع لدراستها . ولكن قبل نهاية هذه الفترة ، بدأت تظهر تلميحات إلى أن هاتين اللغتين الأخريين كانتا مهمتين ، وأن إحداهما كانت تمثل شعباً عظيماً يمتلك أدباً واسع النطاق . وبدأت الأدلة على صحة هذا الأمر تتراكم ببطء ، وعندما تم جمع ما يكفي منها لإحداث انطباع عن شعب يتم التعتيم على ماضيه لأسباب مجهولة ، تحول الرجال الموهوبون بمهارة فك الشفرات عن اللغة الأكادية لكشف أسرار اللغات المجهولة وغير المسماة التي أمر ملوك سومر بإنشائها إلى جانب كلماتهم الأكادية . ولقد كانت الدراسات الأكادية قد أسفرت بالفعل عن نتائج عظيمة . فقد ألقيت أضواء جديدة على العديد من المقاطع الغامضة في كتاب هيرودوت ، كما سُمح لمملكة بأكملها بالتحدث ، ليس من خلال أعدائها ، كما كان الحال من قبل ، بل بالتحدث باسمها . ولكن كل هذا لم يكن شيئاً مقارنة بالنتائج غير المعلنة وغير المتخيلة التي كانت ستتبع قريباً من دراسة اللغة الثالثة التي كانت موجودة في كل المجموعات في لالش وقد كان من المقرر الآن أن يتولى العمل الرائع للمستكشفين إعداد الرجال لهذه الدراسة ..

لقد تتبعنا قصة واحدة في السطور السابقة من هذا الفصل وهي قصة فك الرموز ، ننتقل الآن إلى قصة ثانية قصة الاستكشاف الذي طال الأماكن القديمة في شمال نينوى ..

ظهرت الشخصيات الأولى من لالش غامضة والتي نُشرت في إنجلترا في المعاملات الفلسفية لشهر يونيو 1693، وكان تاريخها غريباً للغاية وذا أهمية كبيرة لدرجة أننا نعيد إنتاجها هنا ونعرض قصة إساءة استخدامها في أشكال مختلفة . توجد بداية القصة في رسالة أرسلها فرانسيس أستون إلى الناشر ، والتي مع كل ما فيها من لحن تقول (سيدي أرسل لك هنا بعض أجزاء من الأوراق التي وضعها في يدي صديق جيد جداً ، تتعلق بنقوش قديمة وغامضة عن لالش ، والتي تم استردادها بعد وفاة السيد فلاور ، وكيل الآشوريين لشركة الهند الشرقية ، الذي اتخذ أثناء عمله تاجراً في حلب قراراً بالحصول على مسودة أو تمثيل للآثار المعجب بها في نينوى ، وفقاً للاستفسار الثالث عن الآشوريين ، المذكور في المعاملات الفلسفية، ص 420 ، أي ما إذا كانت هناك بالفعل أوصاف جيدة بالكلمات للصور الممتازة والنقوش البارزة التي تتحدث عن لالش في نينوى ولكنها ليست محددة جداً وكأنها مراسلات بين آلهة

، فقد لا يكون البعض ماهرين بما يكفي في تلك الأجزاء لترجمتها وتعريفها بشكل دقيق) وقد يتم تعيينهم لعمل مسودة للمكان والقصص مصورة ومنقوشة . هذه الرغبة من الجمعية الملكية ، كما أعتقد ، فقد ألمح إلى رسم موجز ، يمكن أن يؤديه رجل مؤهل في غضون أيام قليلة ، مستغلاً فرصته لتجنب الكثير من النفقات ، والتي تعلم أنهم لا يستطيعون تحملها أبداً ، لذا لا يسعني إلا أن أعتقد أن السيد فلاور تصور أن الأمر أسهل بكثير من تعريف النقوش بسهولة وكذلك ما وجده في المكان الذي أمضى فيه قدراً كبيراً من الوقت والمال ، ومات فجأة بعد ذلك ، وترك مسوداته وأوراقه متناثرة في عدة أيادٍ ، جزء منها موجود هنا ، ونأمل أن يتم استعادة الباقي بطريقة ما ، إذا لم يضع النشر الدقيق والدقيق للكلمة بأكملها الذي قام به السير جون شاردان فترة لكل فضول إضافي ، وهو ما أتمنى من أعماق قلبي ..

من المؤسف أن فلاور مات دون أن ينشر نسخه الخاصة من النقوش . لو كان قد عاش ليقدمها ، لكان من الممكن تجنب كتالوج غريب من الأخطاء المتعمدة والتي شوهت تاريخ شعب كامل أو ألقت بخيمة التعتيم المظلمة على منجزاته في الحضارة وحاولت الحكومة البريطانية العمل على تحويل هذا الشعب الى عبدة شر وعبدة ظواهر الطبيعة وكان تطلب من جميع المستشرقين القول عنهم بأنهم وثنيون ، إحدى الرسائل التي تسببت في موت بلاور كما يعتقد أصدقاؤه كانت ترجمته لمراسلات بين كهنة لالش وحمورابي عن أعياد الايزيديين ..

كان النقش المأخوذ من لالش عبارة عن لوح فيه تساؤلات عن تواريخ فلكية عن السنة الشمسية وإكتمال القمر في ليلة يحتفل بها الايزيديون ، وعن قداسة الطقوس التي يجب أن تُمارس في كل عيد والسرية الكاملة في تطبيقها .. ولقد بدأت الآن الحروف المسمارية التي كتبها فلاور مسيرة غير عادية وغير متوقعة وتعبّر عن رموز سرية يتداولها الايزيديون في ذلك العصر . ويبدو أن أول رجل لاحظ هذه الحروف هو توماس هايد . وكان هايد أستاذاً للغة العبرية في جامعة أكسفورد ، ولكنه كغيره من أساتذة اللغة العبرية في الأيام الأخيرة ، كرس الكثير من طاقته لدراسة أمور شرقية أخرى وخاصة ديانة الشرق القديم الأولى . وكان كتابه العظيم عن ديانة الإيزيديين ، حيث ناقش العديد من الأمور ، دون أن يُظهِر دائماً قدراً كبيراً من التقبل للأمور التي تتعلق بالأسرار الايزيدية المرسومة على شكل دوائر هندسية تتشعب الى درجات عميقة . وقد أعاد هايد كتابة الحروف المسمارية التي كتبها فلاور على طبق ، إلى جانب بعض النقوش الإيزيدية والتدمرية كان يستغرب من وجود أكثر من لغة على جدران الحرم الايزيدي المقدّس . ويتحدث هايد بفصاحة عن التنديد بالنصوص الإيزيدية والتدمرية . وهو يندب الحقيقة المحزنة المتمثلة في أن هذه الكتابات البائسة ، التي ربما كتبها جنود جهلة ، قد تركت لتزعج الناس في وقت لاحق ينتقل إلى مناقشة الحروف المسمارية على جدران لالش ، فيطلق على اهم أجزاء كتابه هذا الاسم الى تصريح أستون بأن هربرت ذكر عشرين سطراً من الكتابة المسمارية في لالش . ويتجاهل هايد هذا التصريح بجلال ، ويقدم حجة طويلة لإثبات أن هذه العلامات لم تكن حروفاً وإنما أسرار مقدسة عند الايزيديين وهم وحدهم من يفهم معانيها ، ولا كانت مخصصة للحروف وإنما للمعاني ، وكانت زخرفية دينية بحتة . وقد أولى أهمية كبيرة لعلامات الترقيم في نسخة فلاور ، وأضاف أن هربرت وثيفينوت قد وضعا ثلاثة أسطر من نفس النوع من الزخرفة ، ولكن نظراً لأنهما لم يضعا أي علامات

ترقيم ، فقد أعلن أن نسخهما لا قيمة لها. هنا فقط ارتكب سلسلة من الأخطاء . في المقام الأول بالطبع كانت علامات الترقيم من اختراع فلاور ، وكانت كما نرى مجرد طريقة منه للإشارة إلى أنه لم ينسخ سوى علامات منفصلة ومختارة بناءاً على الأوامر . وفي المقام الثاني ، لم يقدم ثيفينوت أي نسخ من النقوش على الإطلاق . من الواضح أن هايد قد رأى بعض النسخ في مكان ما وكان يقتبس من الذاكرة . ويتساءل المرء عما إذا كان لم ير نسخ مانديلو ، وخلط في ذاكرته بينه وبين ثيفينوت ..

كان الرجل التالي الذي تحرك لاستخدام شخصيات فلاور هو الهولندي ويتسن ، الذي كان موهوباً بشغف شديد بالعجائب في الحضارات القديمة . وقد أعاد إنتاج شخصيات فلاور بهدوء ، والتي ربما كان قد نسخها من هايد ، وقدمها لقرائه في سرد رائع . في الأراضي التي تقع وراء آشور وتدمر وسومر ، كما يقول ، هناك بلد أخبرني طبيب ألماني ، كان قد عبره عندما هرب من غضب ستينكو راسين ، أنه رأى على الأقواس والجدران والجبال حروفاً منحوتة بنفس الشكل الذي وجد على أنقاض لالش ، والتي رآها أيضاً . ويقال إن هذه الكتابة تنتمي إلى لغة الإيزيديين القدماء ، عبدة الشمس ، أو عبدة النار (شاهدهم وهم يصلون بإتجاه الشمس كل صباح ويوقدون الفتائل في عموم المكان أثناء بقاءه في لالش عدة أيام) . وقد أعطيت هنا نموذجين منها ، على الرغم من أن هذه الحروف غير مفهومة الآن ولا يمكن ترجمتها إلاّ على أيادي ايزيدية بحتة . قال هذا الطبيب ، في جميع أنحاء البلاد ، وخاصة على مسافة قصيرة من دربندخان ، في الجبال التي يمر بها الطريق ، يرى المرء منحوتات على الصخور لأشخاص يرتدون أزياء غريبة مثل أزياء الإغريق القدماء ، أو ربما الرومان ، وليس فقط شخصيات منعزلة ، ولكن مشاهد وتمثيلات كاملة لرجال منخرطين في نفس العمل ، بالإضافة إلى الأعمدة المكسورة والقنوات المائية والأروقة للمشي فوق الحفر والوديان وكان سكان المكان يطلقون على إقليمهم إسم المرَكَة . آدي ..

في عام 1826 أرسلت الحكومة الفرنسية ف. إي. شولتز إلى الشرق للبحث عن نقوش الكومنويلث السومري كما كانوا يسمونه في مراسلاتهم ، فأخذ معه علامات الزهور ، مع ملاحظة كلابروث المرفقة التي كانت تقول بضرورة مراعاة مشاعر سكان المكان الدينية خوفاً من إثارة غضبهم . ربما كان ينوي الذهاب إلى نينوى ومقارنة النسخة بالنقش الأصلي لا سيما وان قصور الملوك الآشوريين كانت مزينة بالنقوش الايزيدية ، لأنه بطبيعة الحال لم يكن لديه شك في وجودها حقاً . ومع ذلك ، قُتل شولتز في الجلمة عام 1829 وعندما تم استعادة العديد من أوراقه ، وجد بينها نفس النسخة القديمة من الزهرة (زهرة الحياة الايزيدية) . نُشرت نسخ شولتز ، وظهر نقش نينوى مع بقية النسخ لكن مقتله كان بسبب عدم إلتزامه بالتعاليم المفروضة على الجميع بضرورة تسليم كل النقوش للبريطانيين .

كان الرجل التالي الذي أشار إليه هو سان مارتن ، الذي أبلغ قرائه بجدية أن هذا النقش قد نُحِت فوق بوابة نينوى وأن مكانه الأصلي وجد في لالش ، مما أضاف القليل من التحديد إلى التقليد . وبطبيعة الحال شقت نسخة الزهرة طريقها إلى جروتيفند ، الذي لم ينخدع بها ، مع ذلك. أدرك على الفور أن النص يتألف في الواقع من عدد من الأحرف المختارة من اللغات الثلاث التي عُثر عليها في لالش ، رغم أنه لم يكن يعلم أن فلاور هو الناسخ في عام 1820 وكان من الممكن أن يتوقع المرء أن يضع هذا حداً لتجوال وتاريخ نسخ فلاور الخيالية كما تم وصفها .

ولكن كانت القصة لا تزال قوية ولم ينته السباق بعد ، في عام 1836 حصل بورنوف على نسخة من نفس السطور وبدأ العمل بجدية لفك رموزها . ووجد أنها تحتوي على اسم شيخ آدي ، مكرراً ثلاث مرات ..

في عام 1838 ناقش بير الخطوط والأفكار التي تم تداولها بشأن التفاسير وترجمة تلك النقوش ، ووافق على وجهة نظر جروتفيند ، معترفاً بحقيقة أنها لم تشكل نقشاً على الإطلاق بل معاني سرية . لم تناسب ترجمة بيرنوف المحقق التالي جيداً ، فبدأ من جديد في فك الشفرة والترجمة كان هذا هو أ. هولتزمان ، الذي زعم بعلم أن الخطوط تشكل نصًا لالشياً حقيقياً ذا أهمية كبيرة ، إنها قصة حزينة من وجهة نظر واحدة ، لكنها مفيدة أيضاً لأنها تُظهر أن التقدم في المعرفة ليس موحداً ، بل له تياره السفلي بالإضافة إلى موجته المتقدمة . لحسن الحظ هناك لمسة من الفكاهة فيها أيضاً ..

عندما سقطت مدينة نينوى وعندما تم تسليم بابل أخيراً إلى المدمر ، خيم ظلام عميق من الجهل على أنقاضها لقد تم نسيان موقع نينوى نفسه ، وعلى الرغم من وجود تقليد يحدد المكان الذي كانت تقف فيه بابل ، إلا أنه لم يكن معروفاً عن تلك العاصمة العظيمة سوى القليل مثل جارتها الشمالية . في العصور الوسطى نسي العالم أشياء كثيرة ثم بدأ بعد ذلك بقوة عجيبة يتعلمها من جديد ، وفي ظل النسيان العام تخلص العالم من كل ذكرى لهاتين المدينتين العظيمتين ، حتى الراهب في صومعته الذي يدين العالم له بدين لا يمكن سداده أبداً لعمله كنساخ ، لم يكن ينتن من المدن البربرية ، التي دمرتها العقليات المريضة ،كان يعرف القدس وبيت لحم ، لأن هاتين المدينتين كانتا تفوحان برائحة لا تفنى في أنفه هكذا كانت لبنات وعيه ، كانتا مدينتين مقدستين في أرض مقدسة ، وتنهد وهو يعتقد أنهما الآن في أيدي الكفار . لكن نينوى وبابل ، صحيح أنهما وردتا في الأنبياء ، لم يكن يعرف أين قد تكونان ، ولم يهتم . ولكن بعد فترة من الوقت جاءت الفترة التي بدأت فيها أوروبا تتعلم من جديد ، وذلك بشغف عجيب . لقد أثارت الحروب الصليبية اهتماماً شديداً بالشرق في أوروبا كلها . فقد جاب فلسطين وسوريا ومصر على امتداد رحلات الرحالة الذين زاروا الأماكن المقدسة وعادوا إلى أوطانهم ليرووا قصصاً رائعة في أوروبا . وكان أغلب هؤلاء الرحالة من المسيحيين لهذا كانت وجهة نظرهم دينية بحتة لا تستطيع استفزاز المؤسسة الدينية المسيحية في كل اوربا بمختلف مذاهبها ، الذين كانوا يعرفون العهد الجديد بدرجة أو بأخرى لم يكونوا قادرين على نشر أي معلومة تتعارض معه ، ولكنهم كانوا في أغلب الأحيان يجهلون العهد القديم جهلاً تاماً . وكانوا يتظاهرون برؤية أرض الرب ، ولكنهم لم يكونوا يهتمون كثيراً بالارتباط بأنبياء العهد القديم أو أبطاله أو ملوكه ..

ولقد كانت هذه الملاحظات التي كتبها بنيامين توديلا بمثابة أولى الملاحظات الضئيلة التي قدمها الرحالة الأوائل عن لالش ، وكانت كفيلة بإثمارها في وقت لاحق ، لأنها كانت كفيلة بتشجيع الرحالة الآخرين على زيارة نفس الآثار الغامضة . ولقد نقل راتيسبون إلى أوروبا المعلومات التالية عن المواقع الأثرية ، وقد دون أحد تلاميذه ذكرياته بعد الملاحظات الضئيلة التي كتبها في الطريق . وكان الوقت يقترب الآن من الفترة التي بدأ فيها الأوروبيون يسافرون على نطاق واسع في الشرق ، وقد زار العديد منهم الموصل وبغداد . ولكن أغلبهم لم ينتبهوا إلى الآثار التي كانت تقع بالقرب من هاتين المدينتين . ولم يقم كثيرون ، مثل السير جون مانديفيل (1322-1356)، بزيارة هذه المواقع ،

بل اكتفوا بإخبارنا بما سمعوه عنها. ويبدو أن ماركو بولو لم يكن مهتماً بالآثار، ورغم أنه زار الموصل وبغداد، فإنه لم يشر إليها قط. وخلط آخرون بين بغداد وبابل، وكانوا يعتقدون حقاً أن العاصمة الإسلامية هي نفس المدينة التي جعلها نبوخذ نصر قوية ، وأغلب الرحالة الذين زاروا المكان كانوا يفتقدون للتعليم العالي وقسماً كبيراً منهم كانوا رحالة عاديون يحاولون زيارة الأماكن التاريخية أثناء تطوعهم في العمل مع القوات البريطانية ، والقسم الآخر كان يرغب في الفرار من أوربا الإقطاعية التي تحكمها الكنيسة بقوة ..

في عام 1583 زار جون إلدريد الشرق ، وكان ذكره الغريب لبابل ونينوى من بين الإشارات الأولى التي وصلت مباشرة إلى إنجلترا بشأن هاتين المدينتين العظيمتين ، ويروي لنا ما حدث على النحو التالي (نزلنا في الفلوجة في الثامن والعشرين من يونيو ، حيث أقمنا هناك سبعة أيام ، لعدم وجود جمال لنقل بضائعنا إلى بابل . وكانت الحرارة في ذلك الوقت من العام شديدة في تلك الأجزاء لدرجة أن الناس يكرهون ترك جمالهم للسفر . وهذه الفلوجة بلدة بها بضع مئات من المنازل ، وهي مكان مخصص لتفريغ البضائع التي تأتي عبر النهر وسكانها من العرب . ولما لم نجد جمالاً هنا ، اضطررنا إلى تفريغ بضائعنا ، واستأجرنا مائة حمار لنقل بضائعنا الإنجليزية إلى بابل الجديدة فقط عبر صحراء قصيرة ، وفي عبورها قضينا ثماني عشرة ساعة ، مسافرين ليلاً وجزءاً من الصباح ، لتجنب الحرارة الشديدة ..

في هذا المكان الذي عبرنا فيه كانت مدينة بابل القديمة العظيمة ، حيث يمكن رؤية العديد من الأطلال القديمة بسهولة في ضوء النهار ، والتي شاهدتها أنا جون إلدريد كثيراً في وقت فراغي ، بعد أن قمت بثلاث رحلات بين مدينة بابل الجديدة وحلب عبر هذه الصحراء . هنا أيضاً لا تزال الكثبان الرملية لبرج بابل القديم قائمة ، والذي يبدو أنه بعيد جداً لكونه على أرض منبسطة ، ولكن كلما اقتربت منه ، يبدو أصغر فأصغر . لقد ذهبت إلى هناك عدة مرات لرؤيته ، ووجدت أن البقايا لا تزال قائمة على مسافة ربع ميل تقريباً ، وارتفاعها تقريباً مثل العمل الحجري لبرج بول في لندن ، لكنها أكبر بكثير يبلغ سمك الطوب المتبقي في هذا النصب التذكاري الأقدم نصف ياردة وطوله ثلاثة أرباع ياردة ، وقد جفف في الشمس فقط ، وبين كل صف من الطوب يوجد صف من الحصير المصنوع من إن مدينة بابل الجديدة تقع في الصحراء المذكورة أعلاه حيث كانت المدينة القديمة ، ويجري نهر دجلة تحت السور ، ويمكنهم إذا أرادوا فتح مصفاة ، أن يجعلوا مياه نفس النهر تدور حول المدينة . إنها تبلغ حوالي ميلين إنجليزيين في محيطها ، ويتحدث السكان بشكل عام ثلاث لغات ، وهي اللغات الآشورية والعربية والكلدانية ، والناس من ذوي البشرة الإسبانية والنساء بشكل عام يضعن في إحدى غضاريف أنوفهن خاتماً يشبه خاتم الزواج ، ولكنه أكبر قليلاً ، مع لؤلؤة وحجر آشوري مرصع فيه ، وهذا ما يفعلنه، فهم ليسوا فقراء أبداً) ..

إن الخلط القديم بين بغداد وبابل موجود بوضوح في ذهن إلدريد ، ولكن بصرف النظر عن هذا الخطأ فإن كلماته لها رنين سحري فيها الكثير من التعابير التي منعت من النشر ، وقد تحفز الآخرين على الانطلاق لرؤية مثل هذه المعالم التي تحدث عنها . يبدو أنه لم ير أنقاض نينوى على الإطلاق ، ولكن رجلاً إنجليزياً آخر ، أبحر من البندقية في عام 1599، كان أكثر حظاً وأكثر رومانسية أيضاً ، هناك المزيد من البلاغة في أنتوني شيرلي (أو شيرلي) ، الذي

كتب عن المدينتين على هذا النحو (سأتحدث عن بابل ، ليس بقصد سرد القصص ، سواء عن الأطلال الضخمة للمدينة الأولى أو روعة الثانية ، ولكن لأن لا شيء يفرض أي شيء في طبيعة الإنسان أكثر من المثال لمضغ حقيقة كلمة الله في ذلك المكان الذي اتهموه كذباً بالوثنية ، حقاً في كل تلك الأجزاء تعبّر عن حضارة شمسانية مطلوب منا طمرها الى الأبد .. كل الأرض التي نبتت عليها بابل تُركت الآن خربة وأُخذت حجارتها العظيمة الى لندن ، لا شيء قائم في تلك شبه الجزيرة بين الفرات ودجلة ، ولكن جزءاً فقط وهذا الجزء الصغير من البرج العظيم ، الذي سمح الله أن يقف إذا كان الإنسان يستطيع أن يتحدث بثقة عن نصائحه العظيمة التي لا يمكن اختراقها وهذا الجزء تم نقله فيما بعد أيضاً الى المملكة المتحدة كشهادة أبدية لعمله في ارتباك كبرياء الإنسان ، وتابوت نبوخذ نصر كذكرى أبدية عظيمة لحضارة أبناء الشمس) ..

إن مدينة نينوى ، التي يسميها الله المدينة العظيمة ، لا يوجد بها حجر واحد قائم يمكن أن يذكرنا بوجود مدينة. وعلى بعد ميل واحد من المدينة يوجد مكان يسمى الموصل ، وهو شيء صغير ، ولكنه بالأحرى يكون شاهداً على عظمة الآخر وحكم الله أكثر من كونه شاهداً على أي شكل من أشكال الروعة في حد ذاته في هذه الكلمات يُسمع لأول مرة النغمة التي ستجلب المستكشفين المتحمسين إلى هذه التلال العظيمة التي تشهد على حضارة عظيمة مرت من هذا المكان في العالم . لقد نظر المسافرون السابقون بفضول إلى هذه التلال ثم مروا وفي وقت لاحق كانت البعثات الاستكشافية تنطلق من إنجلترا لغرض البحث فيها عن كتب قد تؤكد أو توضح تاريخ ونبوءة الشعب الإيزيدي . كانت القوة الحقيقية وراء المساهمات الكبيرة من المال لهذه الاستكشافات هي الرغبة في معرفة أي شيء له أي تأثير محتمل على كتب العهد القديم . لم ير أنتوني شيرلي ذلك اليوم ، لكنه كان ينتمي إليه روحياً وشعر بعمق تلك الحضارة ومنع حتى من نشر الكثير من مذكراته التي كانت تتعارض مع قصص العهد القديم لا سيما وأن الحضارة سبقت ولادة الكثير من الأنبياء فيه وتم إدخال إسقاطات عليه وتمريرها على أتباع الكنيسة . في كل هذه الإشعارات من المسافرين العابرين ، كان الجهل مختلطاً بالسذاجة ، والجهل الواضح بقيم الحضارة في نينوى العظيمة . ولكن لم يكن هناك من علم بالمدينة . وكان أقصى ما تم إنجازه هو إدامة الاهتمام بها وتحفيزه . ويتضح القدر الضئيل للغاية من التقدم الذي أحرز في عام 1596 في أنتويرب في كتاب أورتيليوس الجغرافي العظيم ، وهو عبارة عن قائمة أبجدية بالأماكن ، مع إضافة الحقائق الجغرافية الوصفية التي كانت معروفة آنذاك وخضعت لتدقيق كبير من البريطانيين قبل نشرها . ويذكر أورتيليوس أن بعض الكتاب ربطوا بين نينوى والموصل ، ولكن لأنه لم يكن لديه معلومات محددة ، فقد اضطر إلى ترك الأمر عند هذا الحد . أما عن بابل فكانت المعلومات أقل من ذلك بعد تدمير كل معالمها أو ما تبقى من تلك المعالم على يد البريطانيين . فكل السلطات التي استشهد بها أورتيليوس باستثناء بنيامين التطيلي ، تربط بين بابل وبغداد وهنا كان القصد بين بواباتهما النجميتان ، وهو يقبل هذا الموقف ومن الواضح من هذا أن هناك حاجة إلى المزيد من المسافرين الذين ينبغي لهم أن يروا ويفهموا أيضاً ما رأوه لأنه يتجاوز العقل الأكاديمي الى علوم سرية في بابل كان البريطانيون حريصون على إرسال شخصيات جاهلة تتمكن من التحكم بآرائهم قبل نشرهم أي شيء ..

لقد بدأ الرحالة الإنجليزي جون كارترايت رحلته ، وكان لهجته مشابهة جداً لصوت شيرلي ، على الرغم من أنه قدم مساهمة أكبر في معرفة الموضوع (بعد عبور هذا النهر دجلة ، انطلقنا نحو الموصل ، وهي مدينة قديمة جداً في هذه البلاد ، على بعد ستة أيام من بغداد ، وهكذا استقرينا على ضفة نهر دجلة . هنا في سهول آشور ، وعلى ضفاف نهر دجلة ، وفي منطقة عدن ، بنى نمرود نينوى ، لكن نينوس أكملها . يتفق جميع الكتاب المقدسين ، ويؤكد الكتاب المقدس أن هذه المدينة تفوقت على جميع المدن الأخرى في الحجم والروعة وكانت مدينة الفن

الهندسي الجميل في العالم القديم وكانت مدينة السعادة الأولى عالمياً . يبدو من الأساس المتهدم (الذي رأيته جيداً) أنها بنيت بأربعة جوانب ، لكنها ليست متساوية أو مربعة ، حيث كان للجانبين الأطول كل منهما (كما نتصور) مائة وخمسين فرلنغاً ، وكان للجانبين الأقصر مائة وخمسين فرلنغاً . كانت جوانبها تسعين فرلنغاً ، أي ما يعادل أربعمائة وثمانين فرلنغاً من الأرض ، أي ما يعادل ثلاثين ميلاً ، أي ثمانية فرلنغاً للميل الإيطالي . كانت جدرانها قائمة بارتفاع مائة قدم ، وكان عرضها مثل عرض ثلاث عربات تمر على المنحدر أمامها كانت هذه الجدران مزينة بألف وخمسمائة برج ، مما أضفى جمالاً فائقاً على الباقي ، وقوة لا تقل إثارة للإعجاب لطبيعة تلك الأوقات) ..

بعد هذه الأوصاف للماضي والحاضر لنينوى العظيمة ، قدم كارترايت بعض المقتطفات من تاريخها ثم استنتج على هذا النحو (أخيراً ، كانت هذه المدينة أعظم بكثير من بابل ، كونها سيدة الشرق الأولى في الهندسة ، وملكة الأمم من حيث الرفاهية والسعادة ، وثروات العالم كلها كانت مخزونة في سراديبها ، وكان عدد سكانها داخل سورها أكبر من عدد سكان أي مملكة أخرى في ذلك العصر على العكس الآن مدمرة لأنها لم تكن سوى قبر لنفسها بسبب سياساتها في إستقبال الوافدين اليها ، ومدينة صغيرة ذات تجارة صغيرة إنها الموصل الصغيرة ..

لقد شاهدنا مكانين من العصور القديمة في البلاد الأول كان أنقاض برج بابل القديم (كما يعتقد السكان حتى يومنا هذا) الذي بناه نيمرود ، ابن شقيق حام ، حجر نوح والآن في هذا اليوم ، يُطلق على ما تبقى بقايا برج بابل هناك ما يصل إلى ربع ميل في محيطه ، وارتفاعه مثل ارتفاع برج بابل . مثل العمل الحجري لبرج بولز في لندن . لقد تم بناؤه من الطوب المحروق الملصق والمدعم بملاط البيتومين ، حتى لا يتعرض لأي شق فيه . يبلغ طول الطوب ثلاثة أرباع ياردة ، وسمكه ربع ياردة ، وبين كل صف من الطوب صف من الحصير المصنوع من القصب وأوراق شجر الباوم ، طازجة جداً ، وكأنها قد وضعت خلال عام واحد ، المكان الآخر الجدير بالملاحظة هو أنقاض بابل القديمة ، لأنها كانت أول مدينة بنيت على نهر الفرات ، كما وجدنا بالخبرة ، بعد أن أمضينا يومين من السفر أو أكثر على أنقاضه . ومن بين المباني الفخمة الأخرى كان معبد شيسن (إله القمر عند البابليين) ، الذي أقامته سميراميس في وسط هذه المدينة ، يعتقد البعض أن أنقاض برج نمرود ليست سوى أساس معبد شيسن هذا الذي خدع العديد من المستكشفين لأنه موجود في نينوى وسيبار وأربيل وتل بلا وأماكن عديدة في العراق القديم ، والكثير من المستشرقين يعترفون أنهم رأوا جزءاً من ذلك البرج الذي بناه نمرود لكن تم تدميره على يد البريطانيين لأسباب مجهولة من يستطيع أن يقول ما إذا كان هذا هو أحدهما أم الآخر الملك شيسن أو الملك شيشمس ؟ ربما كانت الفوضى

المربكة التي رأيناها هي أنقاض كليهما كما أن تقييد حركتنا جعلنا نعيش حالة فوضى فكرية في البحث والتنقيب ، حيث تم تأسيس معبد شيسن على معبد نمرود نفسه) ..

لقد أصبحت زيارة بابل ونينوى الآن مسألة دولية مشوّقة بقدر ما كانت مراقبة أطلال لالش في وقت لاحق قليلاً تشدّ أنظار الرحالة والمستشرقين ، سرعان ما تبعهم غاسبارو بابي ، وهو من البندقية ، وألكسندر هاملتون ، وهو إنجليزي ، ودون جارسيا دي سيلفا إي فيجيروا ، وهو أسباني ، ولكنهم لم يحرزوا أي تقدم في تحقيقاتهم يتجاوز ما رآه أسلافهم . بعد هؤلاء جاء المسافر العظيم ، بييترو ديلا فالي ، الذي نال الكثير من الاهتمام بالفعل في رواية سابقة عن لالش ، لقد ارتكب نفس الخطأ المتمثل في الخلط بين بغداد وبابل القديمة ، لكنه زار الحلة ، وهو ما ربما لم يفعله سوى عدد قليل من أسلافه . كما زار التل العظيم بالقرب من الحلة ، والذي أطلق عليه السكان الأصليون اسم بابل . كان بييترو ديلا فالي يعتقد أن هذا هو أطلال برج بابل الذي تم تدميره . لقد رسم هذا التل بواسطة فنان ، وجمع منه بعض الطوب ليختبر قدرته على مقاومة الظروف المناخية وإذا كانت الراوية التي يفرضها البريطانيون عن بابل بأنها كانت طينية في حضارتها صحيحة أم خاطئة حمله بعد ذلك إلى روما وإكتشف أن الألواح الطينية لا تقاوم الظروف المناخية أسابيع بسيطة فكيف بحضارة تمتد لسبعة آلاف عام !!. ولقد أهديت إحدى هذه القطع إلى أثناسيوس كيرشر ، اليسوعي ليتأكد بنفسه صدق التوقع بأن بابل كانت حضارة من الرخام والغرانيت واللازورد الذي تم سرقته بأسره الى أوربا على يد البريطانيين حتى الحجارة لم تسلم من أياديهم ويعتبرون أنفسهم وارثي الكومنويلث السومري الذي لم تكن الشمس تغيب عن مستعمراته في العالم القديم ، وكتب كيرشر أطروحة علمية عن برج بابل يعتقد أن هذه الطوبة كانت تشكل جزءاً من برج بابل الأصلي لكنها كانت حجارة قوية تم تذويبها بفعل مادة شعاعية أو تعرضت لدمار من نوع قد لا نجد لهُ تسمية في عصرنا ، وإختصر الكلام بالقول .. هدمته يد أنليل العظيم ، وكانت بمثابة مراقب صامت من عصر تشتت الألسنة العظيم وتحويل الإنسان طويل العمر الى بشر قصير العمر ومن كائن عملاق بطول ثلاثة أمتار وسبعين سنتمتراً الى قزم بطول متر وسبعين سنتمتراً . فوضعها في متحفه لكن القسم الأعظم من الإطروحة لم يُنشر وكشف النقاب عنها فقط في عام 1969 ، ولا تزال محفوظة حتى اليوم . ولعل هذه هي أول قطعة أثرية بابلية وصلت إلى أوروبا ، ولابد وأن تحظى باهتمام كبير على الدوام بسبب هذا . ورغم أنها لم تكن كما افترض بييترو ديلا فالي وكيرشر ، فإنها كانت مع

ذلك لبنة من الفترة المجيدة من تاريخ بابل العظيم ، وكانت ذات أهمية هائلة بالنسبة لعالم الأدب القديم وحضاراته فقد كانت نذيراً بمخازن ضخمة من الألواح ولبنات البناء التي كانت لتتدفق قريباً من تلك الأرض . ولقد كان هذا اللبن الأول واللبنات التي تلته ، والتي كانت تحمل أفكار البشر الخارجين من بلبلة الألسنة أبعد كثيراً من أحلام طالب برج بابل في العصور الوسطى وهو يشاهد حجارتها تنقل الى لندن ..

وبعد هؤلاء الرجال من أهل العالم المسيحي مرّوا من هنا على رغبة موجهة من البريطانيين من جهة ومن قبل الفاتيكان من جهة أخرى ، مر آخرون من أهل الدين في الواديان الآشورية ذهاباً وإياباً . من أغسطينوس، ويسوعيون ، وكرمليون ، وفرنسيسكان زار بعضهم المواقع المغطاة بالآثار في تل بلا وتل توبة وتل كونجي وتل كوجك ، بينما

اكتفى آخرون بإخبارنا بما سمعوه من خلال الأحاديث . وقد تأثروا عموماً بفكرة أنهم كانوا في أراضٍ أظهر الله فيها بوضوح استياءه من أبناء البشر ، ولكن يبدو أن أحداً منهم لم يشعر بأي نشاط في الخيال عند التفكير في الأعمال العظيمة التي شهدتها البشرية هناك لآلاف السنين . وبطبيعة الحال لم يعرفوا عن معنى التلال أكثر مما عرفه أولئك الذين سبقوهم . وهكذا جاءت نهاية القرن السابع عشر ، ولم يعرف أحد عن تاريخ بابل أو نينوى أكثر مما يمكن استخلاصه من صفحات اليونانيين أو اللاتينيين الذين إنحدروا من إصول شمسانية في آشور ، لقد انتهى الآن تقريباً يوم المسافر الذي ذهب ورأى ، لا أكثر وكان يوم المستكشف العلمي يقترب بسرعة . قبل أن يتم دفع الرجال إلى حفر هذه التلال العظيمة ، يجب أن يتم إيقاظهم للاهتمام بها ، وأن المسافر قد فعل ذلك إلى حد ما . لقد جاء عصر المستكشفين وفك الشفرات ، وتجلى النشاط الفكري في هذا العصر في دراسة شاملة لتلال نينوى وبابل (تل بلا، وتل عبطة، وتلعفر) ..

لم يكن الرجل الذي بدأ عصر الاستكشاف الجديد مستكشفاً هو نفسه وكما ذكرت أرسل أغلب المستكشفين بناءاً على رغبة بريطانية (تجنيد في جهاز المخابرات) أو رغبة فاتيكانية من أجل كشف أسرار الديانة الشمسانية التي حكمت سومر وكانت إلهية سماوية حاول الإنكليز بكل ثقلهم جعلها وثنية أو عبادة للظواهر الطبيعية ونجد الكثير من السذج من الأكاديميين يرددون كالببغاء أكاذيب المرحلة البريطانية للإستكشافات ، ولم يكن العديد من المسافرين المباشرين مستكشفين أو يمتلكون أي فكرة عن الآثار لكن قسماً منهم ذهب بالفعل من أجل السرقة والثراء . ومع ذلك ، كان جان أوتر هو الرجل الجديد ، رجلاً ذا روح علمية ، وكان مختلفاً في ذلك عن الرجال الذين سبقوه . لم يكن يبحث عن العجائب ، ولا يبحث بقلق عن أدلة على معاملات غريبة في الأيام المظلمة .

كان طالباً للجغرافيا والتاريخ البشريين ، وذهب إلى الشرق مكلفاً خصيصاً بدراستهما . أمضى جان أوتر ، عضو الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب ، وأستاذ اللغة العربية في كلية فرنسا بعد ذلك ، عشر سنوات في غرب آسيا ، حيث أرسله الكونت دي موريباس إلى هناك لغرض الدراسة . لقد كانت ملاحظاته على مدينة نينوى مختلفة تماماً عن كل ما سبقها ، إن نبرة النقد التي استخدمها أبو الفدا في كتابه ، والتي تتلخص في غربلة الباطل من الحق ، هي نبرة العصر الجديد الذي بدأ الآن يقول أبو الفدا الجغرافي العربي (إن نينوى كانت على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، مقابل الموصل الحديثة ، إما أنه كان مخطئاً ، أو أن سكان المنطقة مخطئون إلى حد كبير ، لأن الأخيرة تضع نينوى على الضفة الغربية لنهر دجلة ، في المكان الذي يسمى اليوم أسكي موصل) . وإذا حاولنا التوفيق بين الرأيين بافتراض أن نينوى بنيت على جانبي النهر ، فلن نكسب شيئاً ، لأن أسكي موصل تقع على بعد سبعة أو ثمانية فراسخ أعلى النهر . ويبدو أن هناك نقطة واحدة تؤيد اعتقاد أبو الفدا ، وهي أنه مقابل الموصل يوجد مكان يسمى تل توبة . أو تل التوبة . حيث يقال إن أهل نينوى كانوا يرتدون المسوح والرماد ويقفون على أعلى التل ويقوموا بالدعاء لصرف غضب الله عنهم ..

لقد زار أوتر أيضاً التلال في الحلة وكان يحمل معه أفكار واضحة عن المكان ، وبمعرفة أفضل من أي من أسلافه بالجغرافيا العراقية ، تمكن من تحديد موقع مدينة بابل القديمة بالقرب من الحلة . لم يتمكن هو نفسه من تحديد الموقع

الحقيقي للمدينة ، ولكن الموقع كان محدداً تقريباً على خريطة كان يحملها . لم يكن عالم مدرب علمياً ، قد وجدها ، ولكن أفكار الرجال كانت على الأقل تشير إلى أنها بغداد . بعد أوتر ، زار أرض بابل مبشر كرملي ، الأب إيمانويل دي سانت ألبرت . رأى الأطلال في الحلة وقدم تقريراً مهماً عنها إلى دوق أورليانز . لم يتم نشر روايته لأنها كانت توحي بأن البابليين كانوا يعبدون آلهة حقيقية تحمل في طياتها أبعاد فلسفية عظيمة تتجاوز فلسفات كل القرون ، ولكن في شكل مخطوطة وصلت إلى يدي دانفيل ، الذي قدم إلى أكاديمية النقوش في باريس ورقة عن موقع بابل وتفاصيل عن معابد ايزيدا والحكمة الآدانية التي كانت تدرس في جامعات بابل . استند هذا البحث في أجزائه الحاسمة إلى الوصف الذي قدمه بييترو ديلا فالي لبابل الجنوبية ، وخاصة الوصف الذي قدمه المبشر الكرملي الآن . وتختلف أقوال هذا الأخير اختلافاً كبيراً عن أقوال أي مسافر سبقه ، فيقول ..

(قبل الوصول إلى الحلة ، رأيت تلة تشكلت من أنقاض مبنى عظيم . ربما كان محيطها بين ميلين وثلاثة أميال . أحضرت منها بعض الطوب المربع المنتشر في المكان ، الذي كتب عليه بحروف غير معروفة . وفي مقابل هذا التل

وعلى بعد فرسخين ، يظهر تل آخر مماثل بين فرعين من النهر على مسافة متساوية ، ذهبنا إلى التل المقابل ، الذي ذكرته بالفعل على بعد ساعة تقريباً من الفرات ، والآخر في بلاد ما بين النهرين ، على نفس المسافة من الفرات ، وكلاهما متعاكسان تماماً . وجدته يشبه الآخر كثيراً ، وأحضرت بعض الطوب المربع الذي كان له نفس انطباعات الطوب المذكورة أولاً في التقارير التي كنت أحملها معي . لاحظت على هذا التل جزءاً من جدار سميك ، لا يزال قائماً على القمة ، والذي بدا من مسافة بعيدة وكأنه برج كبير. كانت هناك كتلة مماثلة ملقاة مقلوبة بجانبها ، وكان الأسمنت صلباً لدرجة أنه كان من المستحيل تماماً فصل لبنة واحدة كاملة . لقد بدا لي أن الكتلتين قد تحولتا إلى زجاج ، الأمر الذي جعلني أستنتج أن هذه الأطلال تعود إلى أقدم العصور . ويصر كثيرون على أن هذا التل الأخير هو بقايا بابل الحقيقية ، ولكنني لا أعرف ماذا سيقولون عن التل الآخر ، الذي هو عكس هذا التل تماماً ويشبهه . لقد روى لي أهل البلد آلاف القصص السخيفة عن هاتين التلتين ، ويطلق اليهود على التل الأخير اسم سجن نبوخذ نصر ..

من الملاحظ أن أغلب الذين كانوا يزورون المكان كانوا مقيّدين بمجموعة من التعاليم التي كان من الصعب تجاوزها أو القفز من فوقها فآراءهم الخاصة كان يجب عليهم أن يحتفظوا بها لأنفسهم أما آراءهم العلمية فكانت خاضعة للتدقيق المطول قبل السماح بالنشر ..

وعلى النقيض من الرحالة الذين سبقوه لم يكن هذا المبشر يهتم بالعجائب ولم يكن يستمع إلى قصص السكان المتواجدين في المكان لأنه كان يعلم أن أغلب سكان بابل الأصليين نزحوا نحو الشمال السومري في الحروب الأخيرة لها . ولكنه وصف هذه الآثار وصفاً كاملاً ودقيقاً إلى الحد الذي جعل مهمة دانفيل سهلة نسبياً . فقد قرر أن هذه هي بابل حقاً ، وأن بغداد ليست ممثلها الحديث لكن البابليين وضعوا نخبتهم العلمية في مدينة جديدة أطلقوا عليها بغداد حفاظاً على سرّها العظيم المتمثل ببوابتها الى السماء (في بغداد توجد بوابة نجمية الى عوالم أخرى محاطة بالرعاية ولا يسمح لأحد من الإقتراب اليها) . والكلمة الأخيرة التي قالها دانفيل مثيرة للاهتمام ، وهي تفتح الباب

أمام عصر جديد من دراسة هذا الجزء من الشرق . إن الحروف المكتوبة التي يقول الأب إيمانويل في تقريره إنها منقوشة على اللازورد الذي بقي من المباني القديمة التي ربما كانت تشكل جزءاً من بابل الأصلية ، قد تكون بالنسبة للعلماء الراغبين في التعمق في العصور القديمة البعيدة موضوعاً جديداً تماماً للتأمل والدراسة . وقد كتبت هذه الكلمات في عام 1755، في منتصف القرن الثامن عشر وهي توضح كيف تأخرت دراسة مدينة بابل عن دراسة مدن سومر ففي هذا الوقت بالذات ، كما رأينا بالفعل ، كانت أوروبا تشتعل بالاهتمام بسلالة الأكاديين العظيمة ومعرفة ديانتها الشمسانية ، ولم يكن موقع لالش معروفاً فحسب بل أصبح موضع نقاش طويل بسبب غموض العلاقة بين لالش وبابل وسومر وآشور والكنوز التي أخذوها من لالش والتي تتعلق بسلالات الملوك في الكومنويلث السومري ، بل إن نقوشه نُسخت عدة مرات من أجل مناقشة المقاربات والأسباب ، وكان الرجال يحاولون بشغف فك رموزها . ولم يكن الوقت قد حان بعد للانتقال من دراسة لالش إلى دراسة بابل ، ولكن الساعة كانت تقترب بسرعة . وقد بذل الأب إيمانويل ومترجمه الماهر أمام الأكاديمية جهوداً كبيرة لتقريب الساعة ومعرفة الأسرار ..

في ديسمبر 1765، زار كارستن نيبور ، الذي شغل اسمه بالفعل مكاناً كبيراً في هذه القصة فيما يتعلق بأطلال لالش وألواح مستخرجة من الحلة . كان متأكداً تماماً في ذهنه من أن هذه الأطلال تنتمي إلى مدينة بابل على الرغم من وجودها في مكان تحيطه الجبال لقد تأثر بشدة بحجمها الهائل ، ولكن أكثر من ذلك بالأدلة على حالة الحضارة الرفيعة التي أشارت إليها وجد على الأرض وحول التلال الضخمة العديد من الطوب المغطى بالنقوش . لم يستطع نيبور قراءة سطر واحد عليها ، ولم يكن بإمكان أي رجل حي أن يفعل ذلك ؛ لكن حقيقة وجودها ، وأن الكتابة كانت كتابة البابليين القدماء ، كانت معروفة الآن جيداً في أوروبا . ومع ذلك، فشلت أوروبا تماماً في فهم معنى هذه الحقائق المهمة . اعتقدت أوروبا أن شعباً لا يستطيع الكتابة إلا على الطين لا بد أن يكون شعباً في حالة حضارة منخفضة حقاً ، ولا بد أنه يمتلك القليل من الأدب . ويقتبس نيبور هذه الكلمات من براينت ، وهي تمثل الرأي العام السائد في أوروبا (لا يسعني إلا أن أحكم على مدى قدرة شعب ما على التعلم من خلال المواد التي استُخدمت لتسريع عملية التعلم وتنفيذها ، وأعتقد أن الأدب كان نادراً للغاية ، أو كان غائباً تماماً ، عندما استُخدمت الوسائل المذكورة أعلاه) وفي نظر نيبور ، بدا هذا المنطق حماقة . ففي رأيه ، كان وجود هذه الطوب المنقوشة دليلاً على مستوى عالٍ للغاية من الحضارة . وقد أعرب عن أسفه لأنه لم يعد بوسعه البقاء في الموقع لفترة أطول ، لدراسة أنقاضه بشكل أكثر شمولاً ، ودعا الآخرين بشدة إلى مواصلة العمل الذي اضطر إلى تركه دون إكماله بسبب أخطاء إرتكبها وإنتبه لها الإنكليز فأبعدوه من ساحات البحث بسبب تسريبه نتائج أبحاثه عن علاقة الحرم الايزيدي في الشمال السومري ببابل العظيمة ، وكذلك النتائج العظيمة التي خرج بها من زيارته لنينوى القديمة وتلالها وزار بالفعل تل بلا وتل كوجك وتل عبطا وتل التوبة وأنهى زيارته الى عين سوفني ولالش التي مكث فيها لأيام عديدة .. وسرعان ما تحقق أمل نيبور ورغبته في أن يتبعه آخرون قريباً لإجراء أبحاث في بابل في عام 1781، في السادس من يوليو ، أبحر السيد دي بوشامب بعيداً عن مرسيليا لإجراء ملاحظات فلكية في بغداد تخص بوابتها النجمية وإجراء دراسات تاريخية وجغرافية في المنطقة المجاورة . وزار الحلة ، وساهم بشكل أكبر في تحديد موقعها

الدقيق وأسباب دمارها . ولم تكن معرفته بلغات الشرق وآثاره في الماضي والحاضر مساوية للمعرفة التي اكتسبها نيبور ، ولذلك ارتكب أخطاء غريبة فيما يتصل بالأسماء التي أطلقها العرب على أجزاء معينة من التلال ، ولكنه مع ذلك سجل خطوة جديدة من التقدم . فالتلة التي كانت معروفة منذ زمن بعيد بين المسافرين باسم تل بابل أطلق عليها الآن اسم مقلوب . وللمرة الأولى يوجه انتباهه إلى تلة ثانية قريبة من الأولى ، والتي يعتبرها موقع بابل ، وهي التلة التي أطلق عليها العرب اسم القصر ..

يقول عن التل في الحلة ((هنا توجد تلك الطوبيات الكبيرة السميكة ، المطبوعة بأحرف غير معروفة ، وقد قدمت عينات منها إلى الأب بارثولوميوس . أخبرني المعلم البنّاء الذي يعمل في حفر الطوب أن الأماكن التي حصل منها على الطوب كانت جدراناً كبيرة وسميكة ، وأحياناً غرفاً . وقد وجد كثيراً من الأواني الفخارية ، والرخام المنقوش ، ومنذ حوالي ثماني سنوات ، تمثالاً كبيراً كالحياة ، ألقاه بين القمامة . وجد على أحد جدران الغرفة أشكال بقرة والشمس والقمر مكونة من الطوب المصقول ووجد بعض الأصنام المصنوعة من الطين تمثل أشكالاً بشرية . وجدت لبنة عليها أسد ، وعلى غيرها نصف قمر بارز . الطوب مُلصق بالبيتومين ، باستثناء مكان واحد ، محفوظ جيداً ، حيث تتحد بطبقة رقيقة جداً من الأسمنت الأبيض ، والتي يبدو أنها مصنوعة من الجير والرمل معظم الطوب الذي عثر عليه في مقلوب مكتوب عليه ولكن لا يبدو أن المقصود من ذلك هو أن يُقرأ ، لأن هذا شائع على الطوب المدفون في الجدران كما هو الحال على الطوب الموجود في الخارج ، قادني البنّاء الرئيسي عبر وادٍ حفره منذ فترة طويلة للوصول إلى طوب جدار ، والذي ، من العلامات التي أراني إياها ، أفترض أنه كان سمكه ستين قدماً . كان يمتد عمودياً على قاع النهر ، وربما كان جدار المدينة . وجدت فيه قناة تحت الأرض ، والتي بدلاً من أن تكون مقوسة ، كانت مغطاة بقطع من الحجر الرملي يبلغ طولها ستة أو سبعة أقدام وعرضها ثلاثة أقدام . تمتد هذه الأطلال عدة فراسخ إلى الشمال من هيلا ، وهي تشير بلا شك إلى موقع بابل القديمة بالإضافة إلى الطوب المزخرف بالنقوش الذي ذكرته ، هناك أسطوانات صلبة ، قطرها ثلاث بوصات ، من مادة بيضاء ، مغطاة بكتابات صغيرة جداً باللغة الأكدية ، تشبه نقوش لالش التي ذكرها شاردان . قبل أربع سنوات رأيت واحدة ، لكنني لم أكن حريصاً على الحصول عليها ، حيث تم التأكيد لي أنها شائعة جداً . ذكرتها للبنّاء الرئيسي ، الذي أخبرني أنه يجدها أحيانًا ، لكنه يتركها بين القمامة باعتبارها عديمة الفائدة . كما وجدنا أحجارًا سوداء منقوشة عليها نقوش)) ..

لم يكن دي بوشامب موفقاً كثيراً في رحلاته كما أنه لم يقدم الكثير سوى إستعراض بعض الألواح التي وجدها وفسرها قبله الكثيرون بشكل مشابه أو مختلف بعض الشيء عنه ، في هذه الأوصاف والروايات التي كتبها الأب المتعلم والمستقصي نجد أول إشعارات بالحفريات وأولى الروايات عن العثور على نقوش تتجاوز مجرد الطوب المبني المختوم بأسماء وألقاب الملوك إنها ببساطة تتجاوز عقول العلماء . لقد شوهدت هذه النقوش كثيراً من قبل وتم نقل العديد منها إلى أوروبا بطريقة مخزية لم تراعِ قدسيتها وأهميتها التاريخية . لقد انتهت الآن فترة وصف التلال وجاءت فترة الحفر بالكامل . هذه النقوش الصغيرة التي أيقظت في البداية اهتمامًا طفيفاً بالأب وسرعان ما بدأ الناس يبحثون عن بوشامب بكل شغف ، ثم بدأوا في محاولة قراءته للواقع البابلي والمخطوطات والنتائج التي خرج بها ، ثم بعد

ذلك اكتسبوا المعرفة الكاملة بالتاريخ الماضي للوادي العظيم الواصل بين بابل ولالش . وهناك ملاحظة واحدة للراهب بوشامب تشكل أهمية كبيرة في هذه القصة . يقول بوشامب إن الأسطوانات كانت مغطاة بكتابات صغيرة للغاية بلغة الايزيديين ، تشبه نقوش لالش التي ذكرها شاردان . وقد أظهر هذا، كما لو كان غريزة نبوية أثارت إنتباهه ، الخط الذي سيتبع لفك رموز أدب بابل هو خط يجمع بين مخطوطات بابل ونقوش لالش ..

ولقد تمكن طبيب فرنسي يدعى غيوم أ. أوليفييه من الحصول على معلومات دقيقة عن موقع نينوى الأصلي ، كما حصل الأب بوشامب على معلومات عن موقع بابل ، وقد أرسل إلى الشرق لغرض الدراسة العلمية في المقام الأول وخاصة تلك التي تتعلق بفلسفة الدين الآشوري الذي كان يقدّس إله القمر شيسن . ولم تكن لديه أية معرفة بالعالم القديم مثل الأب بوشامب ، وبالتالي فشل في تقديم أي مساهمة مستقلة في تقدم المعرفة فيما يتعلق بنينوى ربما لأن أبحاثه لم تعجب البريطانيين فوضعوا كل ما كتب في خانة غير صالح للنشر . وكانت إشاراته إلى المدينة شحيحة للغاية كما قيل في الملاحظات الموجودة في إرشيف المتحف الملكي البريطاني ، ولا يبدو أنه رأى أي نقوش كما يعتقد الإنكليز . وفي ذلك الوقت كانت معرفة بابل القديمة تفوق معرفة نينوى إلى حد كبير وهذا ما يتفق عليه أغلب العلماء لأن بابل كانت معقل الدراسات السرية للفلسفة الشمسانية القديمة في وادي الرافدين . ولكن من المناسب أن نقول إن الموقعين قد تم العثور عليهما ، وأن أعمال الحفر على نطاق صغير للغاية قد بدأت في بابل بطريقة كانت تثير الريبة عند السكان فالكل كان يعتبر الإنكليز لصوص حضارة ولا علاقة لهم بها كل همهم سرقتها هذا ما كان يعتقده سكان بابل ونينوى أثناء عمليات الحفر البريطانية للمواقع الأثرية . صحيح أن هذه الحفريات كانت في المقام الأول للحصول على مواد البناء التي كان من المقرر استخدامها في بناء المساكن لشعب البلد المجاور كما كان يصرح البريطانيون للسكان . ولكن تم العثور على نقوش فعلاً ، وقد تم التعرف عليها باعتبارها قطعاً من الكتابة من شعب بابل القديم الذي كان يعتنق الشمسانية القديمة . ولقد أحدثت كلمات بوشامب انطباعاً غير مألوف في أوروبا لا سيما في فترة قوة سطوة الكنيسة ولجم أفواه تتحدث عن ديانات سبقت المسيحية في العلوم والتفاسير ومعرفة الفلك بشكل دقيق ، وكانت موضوعاً لمناقشات كثيرة أثارت حفيظة البريطانيين وحاولوا لملمتها بأي شكل من الأشكال . وفي إنجلترا على وجه الخصوص ، أثارت هذه الكلمات شعوراً بالرغبة الشديدة في رؤية هذه النقوش ومعها رؤية كتب البابليين العظماء وبذل الجهد لقراءتها حتى لو إضطروا لتعلم الأكدية والآرامية . وبمجرد أن تبلورت هذه الرغبة ، كان من المؤكد أن تتم محاولة تأمين بعضها لعرضها في متحف إنجليزي . وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه من قِبَل شركة الهند الشرقية في لندن ، التي أرسلت في الثامن عشر من أكتوبر/تشرين الأول 1797 خطاباً إلى حاكم بومباي تأمره فيه بإعطاء الأوامر إلى مقيم الشركة في البصرة بالبحث عن بعض هذه الألواح المنقوشة . وكان عليه بعد ذلك أن يعبئها بعناية ويرسلها في أقرب وقت ممكن إلى لندن . وفي أوائل عام 1801 وصلت أول شحنة إلى دار الهند الشرقية في لندن من الألواح البابلية المتعلقة بالعلوم السرّية . وكانت هذه النقوش هي الأولى التي وصلت إلى لندن . وكان من الصحيح حقاً أن أحداً لم يستطع قراءتها أولاً لأن البابليين وضعوها بطريقة مشفرة لا يفهمها إلأ من يفهم هندسة الأسرار الإيزيدية وثانياً لأن بعضها كان محصّن بفترة فلكية

يصاب بالجنون والمرض كل من يقرأها في غير توقيتها الفلكي المحدد . ولكن هذه الآثار كانت بمثابة آثار صامتة من الماضي وفي نفس الوقت آثار صادمة ، وكان موقعها في لندن يدعو الرجال إلى محاولة فك رموزها . كما تم الإشارة إلى تشابهها مع نقوش لالش في أكثر من مرة ، ولم يعد هناك أي شك في ذلك الآن . في ذلك الوقت كان العمل جارياً مما أدى إلى إنتشار قراءة اللغة الأكادية القديمة . وهنا توجد نقوش باللغة البابلية القديمة ، ولابد من قراءتها أيضاً ..

ولقد برز في النهاية حماس حقيقي واهتمام حقيقي ببابل وديانتها . وقد ركز جوزيف هاجر هذا الاهتمام العام على كتاب رائع أخرجه للعلن ، كان النتيجة المباشرة لفحصه للنقوش البابلية التي كانت الآن في دار الهند الشرقية وكان كتاب هاجر الصغير بمثابة عصر جديد سواء في اقتراحاته أو في استنتاجاته . ففي بضع صفحات استعرض تاريخ الملاحظات التي تم إجراؤها في بابل ، ثم ربط بين الأحجار المنقوشة هناك والنقوش الإيزيدية في لالش إن تصريحاته حول هذه النقاط تستحق التكرار من المعروف أنه منذ أكثر من قرن مضى ، وهو الوقت الذي اكتشف فيه الرحالة الأوروبيون لأول مرة النقوش الإيزيدية ، كانت الآراء منقسمة بشأن هذه الحروف . فقد اعتقد البعض أنها تعويذات ، واعتبرها آخرون حروف الغوبر ، أو سكان آشور القدماء ، واعتبرها آخرون مجرد نقوش هيروغليفية ، واعتبرها آخرون حروفاً أبجدية ، مثل حروفنا . وافترض كيمبفر أنها تعبر عن أفكار كاملة يفهمها فقط الايزيديون ، مثل الحروف الصينية ، لكنها كانت مخصصة فقط لقصر سرجون . وبالنظر إلى الطوب البابلي المعروض هنا ، تزول كل الصعوبة فيما يتعلق بأصلها ، حيث من الواضح أن لالش في محيطها من حيث الزراعة ، كانت أقدم بكثير من بابل ، وأن الإيزيديين كانوا شعباً مشهوراً ، عندما كان اسم بابل بالكاد معروفاً ..

الحقيقة أن أغلب المستشرقين لم يتمكنوا من فهم التقسيم الجيني الذي قام به السومريون للسكان ، ففي المناطق الجنوبية (جنة آدان) كان الآدانيون وأصحاب العلوم الآدانية يعيشون ويؤمنون بآدي المقدّس ، والى الشمال قليلاً بنيت بابل للشمسانيين المقدسين والذين كانوا يؤمنون بـ شيشمس المقدس وهو ليس شماش في التاريخ البابلي بل أن والد شماش أطلق إسم إلهي على إبنه حتى لا يخلط البعض هذه الحقائق ويُميّز بينها ، والى الشمال من بابل كان القاتانيون يعيشون في آشور وبنيت لهم نينوى وكانوا يؤمنون بالفعل بشيسن المقدّس إله القمر وهو ملك فخردين في العلوم السرية الايزيدية ، والى الشرق بنوا الشام للمتفوقين من الذين كانوا يطبقون الشرائع بطهارة ونقاء وإستقامة والى الشمال حيث الجبال كانوا يرسلون المنديين او الميديين من الذين كانوا بعيدين عن الطهارة والنقاء والإستقامة وكانت قواهم الروحية ضعيفة ومرتبطين بعالم المادة الى أبعد الحدود ..

لم يتمكن أغلب علماء الآثار من فك هذا اللغز في المناطق الخمسة التي كانت تنتمي للكومنويلث السومري والتي إستنسخها البريطانيون في مملكتهم المتحدة الحديثة ومقاطعاتها الخمسة مع فارق أن البريطانيين لا تحكمهم شريعة دينية ، هذه النقاط الحسّاسة في البحث لم ينتبه لها هؤلاء الرحالة كما ذكرت لأن أغلبهم لم يكونوا ملمين بالموضوع التاريخ الذي تصدوا لهُ ناهيك عن قدراتهم العلمية المحدودة آنذاك والتي لم تكن تتجاوز قراءتهم للعهدين القديم والجديد في الكتاب المقدس ..

ولابد أن نذكر أن هذا الكتاب الصغير الذي ألفه هاجر قد كتب قبل فك رموز نقوش لالش كاملة والتي بلغ تعدادها 864 لوحاً ونقشاً أخذوا من لالش في الفترة الممتدة بين عام 1537 الى الفترة الواصلة لعام 1889 ، وهذا يجعل التعميمات التي توصل إليها هذا الرجل الموهوب أكثر إثارة للدهشة خاصة انه لم يطلع على ككل النقوش في ذلك الحين ، والذي بدا وكأنه يتنبأ بالاستنتاجات التي سيتوصل إليها الرجال عندما يتم فك رموز نقوش لالش كلها وهذه النصوص الجديدة في النهاية تشكل إنجازاً عظيماً فضّل الإنكليو إبقاءه في الخفاء مع الأسف . وحتى ما هو أبعد من هذه الاستنتاجات فقد ذهب هاجر إلى أبعد من ذلك ، عندما لخص استنتاجاته في نهاية مجلده ، حيث ادعى أن الآشوريين أيضاً لابد وأنهم استخدموا نفس أسلوب الكتابة الايزيدية البابلية وهذا قبل أن يرى ولو حتى نقشاً آشورياً من أي نوع ..

لقد كان لكتاب هاجر الصغير تأثير لا يتناسب مع حجمه بالمرة لأن الحقائق التي أثارها أشغلت عقول المفكرين في الغرب بشكل عام . فقد فشلت الكتب الضخمة التي ألفها العديد من الرحالة تماماً في إثارة أكثر من اهتمام عابر . وسرعان ما تُرجم كتابه إلى الألمانية وترك انطباعاً واضحاً على جروتفيند ، الذي كان منغمساً آنذاك في جهوده لفك رموز سجلات ملوك السومريين . ولقد اشتهرت هذه النسخة الإنجليزية في فرنسا ، مما ألهم عالم الآثار أ. ل. ميلين لنشر نسخة طبق الأصل من حجر صغير منقوش أحضره عالم النبات ميشو قبل عدة سنوات من ضواحي بغداد إلى باريس . وقد أطلق ميلين في مقاله على هذا الحجر الصغير اسم (نصب لالش) ، رغم أن تصريحاته الخاصة تشير إلى أن الحجر لم يكن من لالش ، بل من بابل . وكانت نسخته من هذا الحجر الصغير الجميل إضافة أخرى إلى القائمة المتزايدة من الأشياء التي أيقظت في نفوس الرجال الاعتقاد بأن تحت التلال في الحلة وما حولها لابد أن تكون هناك كميات هائلة من الآثار التي تعود إلى ماضي بابل العظيم ..

وبينما كانت هذه المنشورات تظهر للعلن في مراكز البحث والترجمة في أوربا ، وبينما كان الرجال ما زالوا يفحصون بفضول نقوش دار الهند الشرقية ، كان رجل يستعد لعمل من شأنه أن يثبت صحة هذه الآمال ويذهل العالم باكتشافات لم تكن متوقعة كان كلوديوس جيمس ريتش ، الذي ولد في ديجون بفرنسا عام 1787، لكنه قضى طفولته في بريستول بإنجلترا حيث حصل على تعليمه المبكر ، فقد ذهب في وقت مبكر من حياته إلى بومباي في خدمة شركة الهند الشرقية . وكان موهوباً بحب اللغات بشكل غير عادي واستعداداً لاكتسابها ، وهناك تعرف على اللاتينية واليونانية ، وكذلك العبرية والآرامية والعربية (لم يتمكن من إتقان أياً منها) ، وحتى الصينية إلى حد ما . وفي وقت لاحق وبمحض الصدفة وجد الفرصة لمواصلة دراساته الشرقية في إستانبول وفي سميرنا ، ثم في مصر بينما وضع إقامته في إيطاليا لغة ذلك الشعب في خدمته . قبل أن يبلغ الرابعة والعشرين من عمره عُيّن مقيماً لدى

شركة الهند الشرقية في بغداد حيث عمل في جهاز المخابرات البريطانية كمجند متقدم . ورغم أنه ربما لم يكن يستعد لهذا المنصب على وجه التحديد فإن كل ما تعلمه وخبره كان الآن بمثابة خدمة عظيمة له . ففي بداية إقامته في بغداد كان مهتماً بالمدينة نفسها والبلد المجاور لها مباشرة ، فبدأ في جمع المواد اللازمة لتاريخ بشاليهاتها. ولكن في عام 1811، قادته إحدى الطرق إلى زيارة أنقاض بابل القديمة ، وعلى الفور استيقظ في داخله شغف جديد .

وفي العاشر من ديسمبر 1811، رأى لأول مرة التلال العظيمة لبابل ، التي كان عليه الآن أن يكرس لها الكثير من الطاقة والحماس لها . وكانت انطباعاته الأولى مخيبة للآمال بشكل واضح . وعندما سنحت له الفرصة الأولى لتدوينها، قال ..

((كنت أتوقع أن أجد في موقع بابل أكثر وأقل مما وجدته بالفعل . أقل لأنني لم أستطع أن أتصور مدى الامتداد الهائل للآثار بأكملها ، أو حجمها وصلابتها وحالتها المثالية لبعض أجزائها الخاصة وأكثر من ذلك ، لأنني اعتقدت أنني سأتمكن من تمييز بعض الآثار أو حتى التعرف على معالمها الخفية ، مهما كانت غير كاملة ، للعديد من الهياكل الرئيسية في بابل شأن لم أتمكن من إختراقه للأسف . تخيلت ، وكنت سأقول هنا كانت الجدران ، ولا بد أن يكون هذا هو امتداد المنطقة . هناك كان يقف القصر ، وكان هذا بالتأكيد برج بيلوس ، لقد خدعت تماماً ، فبدلاً من بضعة تلال معزولة ، وجدت وجه البلاد بالكامل مغطى ببقايا المباني ، في بعض الأماكن تتكون من جدران من الطوب حديثة بشكل مدهش ، وفي أماكن أخرى مجرد سلسلة ضخمة من أكوام القمامة ذات الأشكال والتنوع والامتداد غير المحددة لدرجة أن الشخص الذي كان من المفترض أن يشكل أي نظرية قد يتورط في ارتباك وتناقض لا مفر منه)) ..

لقد أخذ ريتش من هذه الجدران عينات من الطوب المكتوب عليه النقوش ، كما اشترى من السكان نقوشاً أصغر حجماً ، والتي شكلت فيما بعد جزءاً من كنوز المتحف البريطاني . لقد بدا عمل ريتش في ذلك الوقت صغيراً من حيث الكمية ، ولكنه كان أول مسح جاد لجميع التلال ، وقد شكل منذ ذلك اليوم وحتى الآن الأساس لكل فحص لاحق لها . لقد كان عمله دقيقاً للغاية لدرجة أنه اضطر بعد التعرف عليه لاحقاً إلى تغيير استنتاجاته قليلاً لقد نُشر أول تقرير له بشكل غريب بما فيه الكفاية في فيينا ، ولكن تم قراءته ومناقشته بشغف في لندن . على الرغم من خلوه من النظريات وتعرضه للكثير من التدقيق والتنقيح من قبل رؤساءه ، إلا أنه استدعى مراجعة ونقداً من قبل الرائد رينيل أيضاً ، الذي زعم أن ريتش لم يأخذ في الاعتبار بشكل صحيح تلميحات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين الى ديانة بابل الشمسانية ، وبالتالي فقد حدد بشكل غير صحيح بعض الآثار التي لم يفهم كامل محتواها أو رموزها . لقد ألزمت ورقة رينيل ريتش بزيارة الآثار مرة أخرى للتحقق من تصريحاته الأولى أو تصحيحها. وفي زيارته الثانية وجد بعض الأمور التي تحتاج إلى تصحيح ، لكنه في الأساس أكد استنتاجاته السابقة وثبتها رغم أنها تعرضت للإختصار الشديد . وقد كتبت نتائج هذه الزيارة في بغداد في شهر يوليو 1817، ومثلها كمثل المنشور الأول لريتش ، فقد واصلت بشكل واضح التحقيق في المدينة القديمة ..

لقد حقق ريتش ما يكفي من الشهرة بين زملاءه ورؤساءه الذين وضعوا الثقة فيه كمجند متقدم في المخابرات البريطانية في العراق ، ولكنه كان عليه أن يفعل المزيد من أجل الدراسات الشرقية التي يطلبها منه الجميع ، ليس في بابل وحدها بل في المركز الرئيسي الآخر مدينة نينوى . في أبريل 1820، انطلق من بغداد للهروب من حرها برحلة إلى نينوى وكانت هذه الرحلة مثمرة لنتائج قيمة في جغرافية أرض لم يزرها الأوروبيون آنذاك إلا قليلاً . في هذه الرحلة وصل السيد ريتش إلى الموصل في 31 أكتوبر 1820، وقضى هناك أربعة أشهر كاملة . وقد تم الآن استخدام

الخبرة التي اكتسبها من عمله في بابل بشكل رائع على الأقل كما كان يعتقد هو . زار ورسم كل التلال العظيمة التي يمكن اعتبارها جزءاً من مدينة نينوى القديمة . كان أول هذه التلال التي تم استكشافها هو المعروف بين أهل الموصل باسم النبي يونس ، لأنه كان من المفترض أن يحتوي على قبر النبي يونان كما يعتقد . وهنا علم أن الفحص السريع باستخدام المجرفة من شأنه أن يكشف عن نقوش ، وقد عرض عليه بعض النقوش التي عثر عليها السكان الأصليون . وكانت هذه النقوش مكتوبة بأحرف مسمارية ، والتي لم يكن ريتش يستطيع قراءتها بطبيعة الحال ، ولكن تم تأمين بعضها للمتحف البريطاني لإسكات رؤساءه ، حيث سرعان ما سيشعر بتأثيرها . ومن النبي يونس نقل ريتش تحقيقاته إلى تل كوجك ، حيث قام بمسح التل الذي لم يفهم معالمه ، ووضع مخططًا له ، وتحدث مع الأهالي في محيط التل ، ولم يتعلم منهم أكثر من أن معظم النقوش وجدت في النبي يونس تتعلق بتوقيت فلكي معين لم يتمكن من معرفة أسباب وجود هذا التوقيت على النقش ..

وبعد أن أجرى ريتش التحقيقات في هذين التلين نزل إلى النهر ودرس تل نمرود ، حيث دفن نمرود كما قال أهل المدينة لهُ . وفي كل قرية عربية زارها وجد نقوشاً بالخط المسماري وأدرك أن السكان العرب سكنوا حديثاً في تلك القرى ونقلت القوات البريطانية قسماً منهم من الأنبار الى محيط الموصل . وكان بعضها صغيراً بما يكفي لنقله بسهولة فاشتراه لمجموعته ليكون ضمن خزائن النقوش التي سيقدمها للمتحف البريطاني . ولكن كثيراً منها كان

ضخماً لم يتمكن من نقله بسهولة ، إذ كان محفوراً في الحجارة من نوع كبير ، وكان العرب يستخدمونها في تشييد أكواخهم البائسة . ويبدو أن ريتش لم يجد معارضة بين أهل المدينة لدراسته للتلال فقد كانوا يراقبونه فقط ولا يعلمون بالفعل طبيعة عمله وأهداف زيارته للمكان ، ولكنه وجد شكوكاً مختلفة في نفسه وفي دوافعه بين أكثرهم جهلاً . وفي إحدى جولاته حول الموصل سمع الناس يقولون إنه ربما كان يبحث عن مكان مناسب لزرع البنادق والاستيلاء على المدينة . لم يزعجه الجشع والخوف اللذان جعلا حياة المستكشفين اللاحقين بائسة ، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه كان يعرف من خلال ارتباطه الطويل بمزاج السكان المتواجدين في كل مكان يزوره ، وبالتالي لم يجرح مشاعرهم دون داع ، وجزئياً لأنه لم يحفر الأرض ، كما كان ضرورياً في عمل خلفائه ..

ولقد وصلت النقوش التي حصل عليها ريتش إلى لندن سريعاً ، وشكلت هناك نواة للمجموعات الآشورية والبابلية العظيمة في المتحف البريطاني . ولقد أظهرت هذه النقوش للوهلة الأولى أن تخمين هاجر الجريء كان صحيحاً . فقد كانت في الواقع مكتوبة بنفس النوع من الحروف التي كتبت بها النقوش التي أرسلت إلى لندن من أنقاض بابل وكانت هذه الحقيقة وحدها ذات أهمية كبيرة لدرجة أنها جعلت كل عمل ريتش في نينوى مميزاً . فقد أرسى الأساس لكل عمل مستقبلي في تلك المدينة ، كما فعل من قبل في بابل . ولابد أن يستخدم كل من يتولى العمل في المستقبل خططه ورسوماته ، ولا بُد من ذكر هنا أن الكثير من القطع الأثرية حصل عليها من الحفر فعلاً من خلال خرائط أعطيت لهُ لكن تلك النفائس التي إستخرجها لم تكن من الطوب أو الغرانيت بل من اللازورد الخالص ومزركشة بسطور مسمارية محفورة بطريقة عجيبة ومشبعة تلك الحفر على الحروف بذهب خالص ، وقسماً منها كالشعار في

أعلى اللوح كان من الألماس الخالص عالي الدقة وكانت أثمان تلك النقوش لا تقدّر بثمن في أي وقت من الأوقات فمهما تم تخمينها فإنها بالفعل كنز يعود لآلاف السنين ..

بعد كل هذا العمل في بابل ونينوى ، كان على ريتش أن يضيف عملاً مفيداً في لالش ، التي زارها في أغسطس 1821. وقد وصف اقترابه من المدينة بشكل واضح بهذه الكلمات ..

((كان الظلام قد حل عندما غادرنا جسر العتيق بإتجاه النوران الجميل . لقد أثارت توقعاتي بشدة تلك السهول الجميلة المحيطة بدجلة . لقد ألهمني شاردان عندما كنت طفلاً صغيراً ، برغبة كبيرة في رؤية هذه الأطلال والرغبات التي أثارها فينا في الطفولة لا يمكن محوها أبداً . إن إشباع هذه الرغبة له طعم لا تستطيع الدوافع التي يقترحها العقل والحكم أن تضاهيها بعد ذلك ، أضافت أبحاثي الأخيرة في الآثار أيضاً اهتمامها إلى حوافزي الأخرى وبينما كنت أركب عبر السهل تحت ضوء النجوم الجميل ، تراكمت في ذاكرتي تأملات لا حصر لها حول الأحداث العظيمة التي حدثت هناك . كنت في لحظة الاستمتاع بما انتظرته طويلاً ، ويا لها من لحظة ممتعة ! أخيراً بدأت القباب المخروطية المدببة تنفصل عن خط الجبال التي كنا نتقدم إليها . أشار السيد تود إلى ذلك قائلاً (تقع تحت تلك الأنقاض) وفي تلك اللحظة شعرت اني في بقعة على هذا الكوكب خارجة عن الزمان والمكان ، ارتفع القمر بجمال غير عادي خلفه تلك الجبال الهرمية الرائعة . وبدا لي وكأن العصو قد ظهرت فجأة في خيالي)) ..

مكث في لالش بضعة أسابيع ، صنع نسخاً أكثر دقة من النقوش التي دار حولها الكثير من النقاش في أوروبا ، وأثبتت نسخه أنها ذات قيمة كبيرة لأولئك الذين شاركوا في نقد وإتقان عمل جروتيفند . وفي طريق العودة إلى بغداد أخذ معه قطعة ذهبية من لالش ما كان يجب أن تخرج من المكان فقبل أن يصل الموصل ويخرج من بوابات لالش الستة فقد حياته ، الزيارة إلى لالش كانت آخر محطات حياته بالفعل ، قال البريطانيون أنه توفي بالكوليرا في شيراز وكشف الأرشيف البريطاني عام 1970 زيف هذا الادعاء ونشر حقيقة موته بشكل موثق ، بينما كان يخدم بشجاعة الآخرين الذين كانوا يعانون من هذا التنقل بين الآثار عمل بشكل رائع لدراسة العالم القديم مات الآن بطلاً في خدمة متواضعة لأفقر البشر في محيط عين سوفني ..

إن الدافع الذي أعطاه كلوديوس جيمس ريتش لدراسة بابل وآشور لم يفقد تأثيره بعد . لقد بذل آخرون الكثير بالفعل في إيقاظ الاهتمام الذي أثاره نقله لنقوش لالش ، وتبين شهادة ريتش نفسها ، المذكورة أعلاه ، أن شاردان فعل ذلك من أجله وأنه رفض أخذ أي شيء من لالش دون معرفة من أصحاب المكان ، كما قدم آخرون ملاحظات ذات قيمة دائمة وهي أن الوقوف على أنقاض لالش ليس سهلاً وكأن المكان مسكون بأرواح تراقب الداخلين والخارجين من المكان دون أن نتمكن من رؤيتهم ، بينما حدد عدد قليل جداً منهم المواقع القديمة بدقة وخاصة جبل المعرفة الذي إستخرج منه عشرات النقوش ، وبالتالي جعلوا عملهم ممكناً . لقد أنجز ريتش كل هذه الأشياء وأكثر ولم يتفوق عليه أحد ممن سبقوه في قوة الإلهام التي قادته الى محطتهِ الأخيرة ، فحتى مذكراته ، التي كان المقصود منها أن تكون أساساً للكتابة الدقيقة في المستقبل عن الايزيديين وحرمهم المقدّس تم التعتيم على أغلبها ، كانت تتمتع

بهذه القوة في العرض والوصف ، ولم يضاهه أحد في جمع المعلومات الدقيقة عن أنقاض نينوى وبابل ولالش . وكان تأثيره المنشط والمفيد سبباً في إحداث العجائب في خلفائه المباشرين الذين شدّهم طريقه في البحث ..

وسأعود قليلاً الى الوراء عندما كان ريتش لا يزال يعيش في بغداد محاطاً بحاشية كبيرة من الخدم والجنود كضابط مخابرات متقدم في حالة شبه ملكية كانت ضرورية آنذاك لإخافة السكان الأصليين الذين لا يتأثرون بهذه البهرجة كثيراً ، زاره مواطنه السير روبرت كير بورتر . وكان ذلك في الرابع عشر من أكتوبر/تشرين الأول 1818، وكان ريتش قد أجرى تحقيقاته في بابل ، كما رأينا ، ونشرها في أوروبا . وكان من الطبيعي أن يناقشها مع هذا الوافد الجديد كان الإثنان يستغربان التكنولوجيا المستخدمة التي إعتمدها الايزيديون القدماء في لالش وكذلك التكنولوجية التي وجدت على كل من النقوش الآشورية في نينوى والأخرى في بابل رجح الإثنان أثناء نقاشهما أن كائنات خارقة ساعدت هذه الأقوام على النقش بطرق متقدمة لم تكن معلومة في بريطانيا نفسها . وكان بورتر قد زار لالش بالفعل ورأى بأم عينه بواباتها المنقوشة بالأحجار الكريمة ومحاطة بأقواسها الدائرية بنجمات من ذهب قدر ثقلها على كل بوابة بخمسة كيلوات من الذهب الخالص ناهيك عن المعادن والمجوهرات الثمينة الأخرى ، كما قام بنسخ النقوش وأضاف اسمه إلى قائمة طويلة من أولئك الذين جعلوا عمل جروتفيند ممكناً. ومن بين كل أولئك الذين زاروا بابل لم يكن أحد منهم موهوباً بنفس القدر الذي كان يتمتع به هذا الزائر الجديد . وكان آخرون يتمتعون بخبرة أكبر في السفر ، رغم أن خبرته في هذا المجال لم تكن قليلة . وكان آخرون يتمتعون بمعدات علمية أفضل في معرفة المساحة والتعرف على اللغات الشرقية . وكان بورتر متأخراً كثيراً في هذه الأمور عن ريتش والرحالة السابقين . ولكن بورتر كان فناناً ، فناناً ذاع صيته في إنجلترا بفضل العديد من اللوحات التي تصور مجد إنجلترا في الحرب لهذا جندوه لهذه المهمة ، وإضافة الى ذلك كان يتمتع بميزة فريدة تتمثل في أنه كان رساماً للبلاط في سانت بطرسبرغ . وكان رجلاً موهوباً بالفطرة في تفسير النقوش من وجهة نظر فنية تشكيلية بحتة فقد كان رجلاً ذا شعبية اجتماعية كبيرة في بريطانيا العظمى وروسيا ، حيث دخل أعلى الدوائر وتزوج حتى من أميرة روسية هكذا كان السير روبرت كير بورتر . وكانت مهارته كرسام أهلته بشكل رائع لرسم أنقاض بابل ، وكانت عينه المدربة مستعدة لمراقبة تضاريس الأرض والظروف الخارجية المحيطة بالمواقع الأثرية الحديثة . وكان لديه خبرة في نسخ النصوص في لالش وتفسير أشكالها الهندسية العجيبة ، وبات الآن قادراً على نسخ النصوص في بابل بمزيد من الثقة. وكان موهوباً في الوصف المذهل بالكلمات ، وكانت فرشاته تضيف حيوية إلى قلمه . وقد قدم له ريتش المساعدة على أتم استعداد ، ورافقه سكرتير ريتش المدرب بشكل رائع، بيلينو ، إلى الأنقاض في لالش . ورغم أن بورتر كان يفتقر إلى العديد من الأشياء ، فإن ملاحظاته كانت مفيدة وساعدت في توجيه العاملين اللاحقين الذين كانوا عازمين على إنجاز عمل محدد . وعند عودته نُشرت رواية رحلاته بأسلوب فخم ، ورسمها ببراعة بريشته وحظي الكتاب الكبير بإشادة في إنجلترا وفي القارة الأوروبية أيضاً على ما يبدو لكنه تعرض للظلم عندما تم بتر الكثير من الجُمل في كتابه لأسباب هو نفسه كان يجهلها . وكان من الممكن لرجل يتمتع بمعدات علمية أكبر ولكن لديه عدد أقل من المتابعين الاجتماعيين أن يكتب عملاً أكثر قيمة من الناحية العلمية ، والذي كان ليفشل تماماً في التأثير على العصر . ومع ذلك ، قدم عمل بورتر

المكمل المطلوب لعمل ريتش لقد كتب ريتش القليل جداً بالفعل ، وكان مهتمًا بالتفاصيل ، وكان جافاً جداً في بعض الأحيان . علاوة على ذلك ، لم يُنشر في شكله الكامل إلا بعد وفاة المؤلف . شهد بورتر نشر كتابه ، وسمع الثناء الشعبي ،كان هذا أخيراً وصفاً لبابل كما هي الآن مختلطاً بشكل مناسب باقتباسات من المراقبين السابقين ، ومعززاً بكلمة السيد ريتش والسيد بيلينو . لقد كانت هناك صور لتلال وجدران مدمرة وطوب منقوش ، وكان هناك رأي مفاده أن هذه التلال لم يتم استكشافها بالكامل بعد هكذا قيل له في أكثر من مناسبة . وأي شيء أفضل كان يمكن القيام به لاستعادة بابل في هذا الوقت من نشر مثل هذا الكتاب بالضبط لسير روبرت كير بورتر ،كان من المستحيل ألا يتبع نشره إحياء الحماسة في متابعة المعرفة الشرقية ، أو أن صفحاته المتوهجة والمصورة قد تفشل في إثارة دهشة حتى القارئ العادي ، الذي قد يصبح غداً مستكشفاً بنفسه أو راعياً لمثل هذه المساعي لدى الآخرين . وكما أثار كتاب شاردان حماسة ريتش الصبيانية وأرسله في شبابه إلى المشاهد التي وصفها ، فإن هذا الكتاب الجديد سيمارس تأثيراً مماثلاً على الآخرين . ورغم أن مساهماته العلمية لا يمكن أن تُذكر بإسهامات ريتش ، فإن تأثيره الشعبي كان عظيماً ويجب أن يُصنَّف ضمن أعظم التأثيرات التي ساهمت في استعادة نينوى وبابل بريقها التاريخي العظيم ..

إن الإستكشافات العظيمة لكل من ريتش وكير بورتر جعلت الكثير من مصففي الألواح في المتحف البريطاني يحصلون على لقب سير ولورد وما أكثر اللصوص المتطفلين على الحضارة من الذين حصلوا على هذه الألقاب من سرقتهم للكنوز في الشرق القديم وخاصة في بلاد الرافدين العظيمة ، فقد كانت تلك بالفعل البدايات لأن البابليين ومعهم الآشوريين والايزيديين في محيط لالش كانوا يخفوا نقوشهم بطلاسم فلكية أي أنه لا يمكن إستخراجها إلاّ بتواريخ محددة وبالفعل عند دخول داعش للموصل تم نقل كنوز من تحت أنقاض تل النبي يونس وأنقاض في تل بلا و بعشيقة وبحزاني وسنجار وتل كوجك تقدر بـ 11 مليار دولار أميركي ..

أين وجدوها وكيف إستخرجوها ؟ هذا ما عرفناه عند عودتنا لمناطقنا التي كانت محفورة أنفاق عظيمة فيها إحتاجت لتقنيات صينية متقدمة تحت المنازل في مدننا وكانت تلك الكنوز مخفية بطلاسم فلكية لا يمكن إستخراجها قبل آب من عام 2014 !!

ومع عمل السير روبرت كير بورتر تنتهي فترة أخرى من الاستكشاف في بابل وآشور ولالش . لقد كان التقدم بطيئاً للغاية في الواقع وكما قيل أن هذه الأماكن لم تكتشف بعد . فالقصة كلها عبارة عن سرد للوصف ، يرتفع في بعض الأحيان إلى القياس والمسح ، ونادراً ما يصل إلى قمة استعادة الآثار المنقوشة وسرقة الثمين منها . ولكن كل هذا كان عملاً لا غنى عنه على الإطلاق لنقل علوم الحضارات العظيمة في وادي الرافدين . كان عملاً تأسيسياً ، وتحضيرياً ، وربما أكثر قليلاً بالمعنى الدقيق للكلمة . ولكنه كان يمثل خطوة واضحة إلى الأمام أبعد من أيام الباحثين السذج عن العجائب . لقد كان كذلك عصراً من الترويج الشعبي ، وقبل أن تشارك الحكومات أو الشعوب أسرارها ، في الملكيات أو الديمقراطيات ، بحماس في الحفريات المكلفة ، يجب أن يحصل الناس على وعد بنتائج مثيرة للاهتمام للكشف عن الماضي العلمي للبشرية ، وبعض الحماس لتعلم كيف فهم الأقدمون العلوم المتطورة ، وبعض

الذوق لألوان الشرق العظيم وحضاراته المنيرة بالمجد الإلهي . وفي أعظم الديمقراطيات كان من الجيد أن يعتقد الناس أن دراسة تلال بابل ونينوى قد تؤدي إلى نتائج ذات قيمة لدراسة الكتاب المقدس ، لأن الشعب الإنجليزي كان على استعداد للسماع كثيراً إذا كان هناك وعد بأي نتيجة من هذا القبيل . وقد تم تقديم التأكيد على هذه النتيجة في العديد من الكلمات من شيرلي إلى ريتش ، وسرعان ما تبين بوضوح أن الناس قد سمعوا ذلك وفهموا أن هناك أسرار لا يبوحون بها ربما لأنها ستدمّر أوهامهم المقدسة ، ربما كان انتشار المعرفة الكتابية الشعبية أقل في فرنسا ومع ذلك فقد جاءت الخطوة الحقيقية الأولى من فرنسا والتي من شأنها أن تثبت أن تردد إنجلترا كان غير حكيم . في فرنسا ،كان ما فشل في الاهتمام والحماس الشعبيين هو حب التعلم لدى القلة والسخاء الكبير من الحكومة، في أرض حيث كانت الحكومات تفعل دائمًا العجائب في متابعة التعلم . لكن قصة هذا العمل العظيم تنتمي إلى العصر الجديد ، الذي يأتي الآن بعد الفترة التي أنهاها اثنان من الإنجليز الذين ينتمي اسماهما إلى أعلى السجلات كلوديوس جيمس ريتش والسير روبرت كير بورتر ..

الفصل الثاني

فك رموز الآشوريين

توصل خبراء فك الرموز جروتفيند ورولينسون وهينكس إلى نتيجة سعيدة في قراءة النقوش الأكادية القديمة التي نُسخت في لالش وبابل ونينوى في نفس الوقت ، وغيرهما من المواقع الأقل أهمية بالنسبة لهم ، لكنهم بلا أدنى شك واجهوا سلسلة كبيرة من المشاكل ، كان العديد من هذه النقوش ثلاثية الشكل وبعضها الآخر سداسية ، وكما ثبت بالفعل أنها رموز خفية لديانة عميقة في علومها ، كان يُعتقد عموماً الآن أنها تمثل ثلاث لغات منفصلة وهذا ما حيّرهم بالفعل ، تمت قراءة الأولى الآن ، وكانت اللغة الأكادية القديمة . أما الثانية فقد تطلبت محاولات فك رموزها جهوداً كبيرة وإستعانة بأكثر من خبير في اللغات الشرقية لبلاد الرافدين ، لم يكن أحد يعرف من هم هؤلاء الأشخاص الذين ظهرت لغتهم جنباً إلى جنب مع الأكادية القديمة ، وأطلق عليهم الرأي الآن اسم الداسنيين لكن لم يفهوا أنها لهجة من اللهجات الأكدية التي كانت تكتب حتى على جدران بيوت الداسنيين ولكن أياً كان اسم لغتهم فلا بد أن يحاول شخص ما فك رموزها وهذا ما إستغرق معهم وقتاً طويلاً حتى فهموا أنها لهجة آرامية مشتقة من الأكدية نفسها . في الواقع كان عدد من الرجال في أماكن مختلفة يعملون في وقت واحد على المشكلة الرائعة التي واجهتهم وليس من السهل إختراق عالم قديم وأنت غير مسلح بشيء من طبيعة علومهم وعاداتهم وتقاليدهم . كان من المتوقع أن يحاول جروتفيند القيام بالمهمة وهذا ما فعله ولكن لسوء الحظ دون نجاح كامل بسبب إفتقاده للأدوات التي تمكنه من إختراق طبيعة المجتمع الداسني ولغته ، ولقد كان من الصعب عليه أن يتقن هذا النوع من العمل بسبب تدريبه . وكان الإنجاز العظيم المتمثل في البدء في فك رموز هذه اللغة من نصيب نيلز لويس ويسترجارد الذي أكد أنها لهجة من اللهجات الآرامية وأسماءهم المتداولة تؤكد ذلك (رشو ، شمو ، عتو ، عيدو ، خرتو) كلها تسميات آرامية تنتهي بحرف الواو ، ويسترجارد الذي وضع أول ورقة بحثية له الأساس لقراءة ناجحة للطبقة الثانية من الكتابة الأكادية تمكن من التقرّب للمجتمع الداسني ولغته كما تمكن من إختراق الأكدية . وكانت طريقته مشابهة إلى حد كبير للطريقة التي استخدمها جروتفيند في فك رموز اللغة الأكادية وإستفاد منها في أبحاثه الأخرى . فباستخدام هذه الطريقة تعلم عدداً من العلامات وسعى من خلال استخدامها في كلمات أخرى إلى تهجئة المقاطع أو الكلمات الواردة والمتداولة بين الناس ، التي كان من الممكن بعد ذلك تحديد معانيها عن طريق التخمين والمقارنة لا سيما من خلال سؤاله عن الأسماء وأسماء المدن والجبال وغيرها . وقد قدر عدد الحروف المنفصلة باثنين وثمانين أو سبعة وثمانين حرفاً ، وحكم على الكتابة بأنها تتألف جزئياً من الأبجدية والجزئيات ، كانت لهجة الداسنيين مكونة من أربعة أعمدة ففيها حروف نارية وحروف هوائية وأخرى مائية وأخرى ترابية وكانت تخلو من الشتائم والإهانات لأن أهلها كانوا يعتبرونها لغة مقدسة وإمتداد للأكدية التي كانت لغة النصوص الايزيدية . في النهاية أطلق على اللغة اسم الآرامية ، وصنفها ضمن عائلة الداسنيين ، وليس الهويريين على إعتبار أن الهويريين كانوا

منتشرين في كل مدن العراق القديم وبالتالي إستحالة أن يتحدثوا نفس اللهجة . ولكن نتائج ويسترجارد كانت مؤقتة في أفضل الأحوال بسبب وجود عشرات المخطوطات المتعلقة بالموضوع لم تترجم بعد في ذلك الحين ، وكانت في حاجة إلى نقد شديد من عقل آخر ومن زاوية أوسع إدراكاً للمناهج اللغوية المتداولة في العراق القديم . وقد حصلوا على هذه النتائج في ورقتين للدكتور هينكس ، قُرئتا أمام الأكاديمية الملكية الأيرلندية ، وقد تقدم هينكس بوضوح على ويسترجارد في شرحِهِ الواسع لطبيعة اللهجات المختلفة في المجتمع الايزيدي ، وأثبت مرة أخرى ، كما حدث من قبل أنه بارع في كل عمليات فك رموز الكتابة المسمارية التي وجدت في لالش وأسباب كتابتها بثلاثة لغات مختلفة ..

وبعد ويسترجارد وهينكس تولى العمل عالم فرنسي يدعى ف. دي سولسي ، وكان بوسعه أن يرى أبعد من كليهما بسبب إطلاعه العميق على اللغة الآرامية . فقد نظر دي سولسي إلى الوراء في فك رموز اللغة الأكادية القديمة وقارن بين علامات اللغة الآرامية وأطلق على هذه اللغة الثانية هذا الاسم أيضاً دون أن يتردد في حكمهِ ولاحظ أنها متشابهة الى حد كبير يقصد الآرامية ولهجة الداسنيين ، ثم نظر إلى الأمام فرأى أنها تبدو متطابقة تقريباً مع الحروف في اللغة الثالثة ، التي أطلق عليها اسم الآشورية . ولم يكن دي سولسي أول من أطلق هذا اللقب على الشكل الثالث من الكتابة الذي وجد في لالش ، فقد أصبح هذا الاسم شائعاً ألآن ولكنه كان أول من أشار إلى التشابه الملحوظ بين العلامات أو الحروف في المجموعتين الثانية والثالثة من النصوص . ولقد بات من الواضح الآن أكثر من أي وقت مضى أنه إذا أمكن فك رموز اللغة الثانية للداسنيين ، أياً كانت سواء كانت آرامية أو داسنية بحتة ، فإن الطريق سوف يكون مفتوحاً لقراءة الآشورية بشكل سليم . وقد ساهم دي سولسي في تحقيق هذه الغاية العظيمة بنجاحه المتزايد في دراسة الآرامية ..

لقد أنجز الثلاثة ويسترجارد ، وهينكس ، ودي سولسي عملهم باستخدام مواد معيبة للغاية . وكان من غير المحتمل أن تتجاوز دراسة الآرامية أو الداسنية محاولات دي سولسي دون نشر مواد جديدة . وسرعان ما تم نشر هذه المواد بفضل كرم السير هنري رولينسون . فقد أنجز نسخة النقش في داسن بتكلفة شخصية كبيرة من المال والوقت والعمل الخطير بين شعب يبدو متعصباً لدينه وعاداته وتقاليده . وكان العمود الأول مكتوباً باللغة الأكادية القديمة ، وبفك رموزها اكتسب شهرة لا تضاهى لأنه تمكن من إختراق حاجز إعتبره الايزيديون ممنوع ومحرّم على الغرباء لكن لالش في تلك الفترة كانت تحت حماية الانكليز وكانت قاعدتهم في عين سفني توفر للباحثين كل التسهيلات والدعم أثناء إستخراجهم للنقوس والألواح منها . أما العمود الثاني فلم يكن لديه الوقت لنشره بنفسه على الفور لكنه كان حاسماً في تأكيد اللغة الآرامية التي كان يتحدث بها الداسنيون ، ولذلك سلمه إلى السيد إدوين نوريس ، مع الإذن الكامل باستخدامه كما يشاء وقد نجح نوريس الذي اعتمد في البداية بقوة على ويسترجارد وكتاباته وملاحظاته في فك رموزه بالكامل تقريباً . كانت ورقته البحثية ، التي قُرئت أمام الجمعية الملكية الآسيوية بلندن في 3 يوليو 1852، بمثابة عهد جديد في تاريخ الدراسة الشرقية لشعب قديم ، وقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يتم استبدالها بأخرى جديدة منقحة ..

ولقد استدرج عمل نوريس ويسترجارد مرة أخرى إلى الساحة بالنقد والتخمينات الجديدة والعديد من التحسينات الملحوظة . وتبعه موردتمان في ورقة بحثية لم تعتمد على عمل أسلافه كثيراً ، وبالتالي احتوت على تركيبات وتكرارات عديمة الفائدة ، ولكنها مع ذلك حققت بعض المكاسب فيما يتصل بالمشاكل التي ظهرت بسبب التفسيرات المختلفة والحقيقة أن المجتمع الايزيدي نفسه كان سبب المشكلة مع الباحثين فمن كان يزور داسن كان يسمع لهجة خاصة بهم ومن كان يزور عين سوفني وباعذرا كان يسمع لهجة مختلفة ومن كان يزور تل بلا وبعشيقة وبحزاني كان يسمع لهجة أخرى وكذلك الأمر في سنجار . وأطلق على اللغة في النهاية اسم داسنية وقد تم اختيار الاسم بسعادة . ثم هاجم أ. هـ. سايس التسمية بعد ذلك في ورقتين رائعتين ، وذهب الأول منهما إلى حد تقديم نسخة وترجمة جزئية لنقشين صغيرين فيهما نصوص ايزيدية . وكانت الترجمة مجزأة بالضرورة بين آرامية ولهجة داسنية ، ولكن لم يتمكن أي من العاملين السابقين من معادلتها أو تقريبهما وفي العصر الحديث هناك نفس المشكلة فالكثير من الأقوال في الايزيدية مكتوبة بإحدى اللهجات العربية المشتقة من الأكدية . وقد دافع ببراعة عن تسمية اللغة أماردية أو آمادينية لكن لم يلقى هذا المقترح القبول الكامل ، وعاد مرة أخرى إلى هذه المسألة في ورقة بحثية ثانية ، سجلت أيضاً تقدماً في فك الرموز الايزيدية . كما درس أوبيرت ، الذي بذل معظم مهارته العظيمة في مسائل أخرى ، هذه النصوص بعد سايس بفترة وجيزة ، وقدم مساهمات ذات أهمية في حل المشكلة وقد تم حل مشكلة الشكل الثاني من الكتابة في لالش وفي تل بلا بطريقة أسهل ، وفي عام 1890 تمكن فايسباخ من جمع كل الخيوط المتفرقة وتقديم ترجمات واضحة ومقنعة للنقوش المحيرة منذ فترة طويلة ..

إننا إذا ما توقفنا الآن للحظة ونظرنا إلى الوراء الى تلك الجهود المبذولة ، فلن نعجز عن التأثر بالصبر والمهارة والتعلم الذي استُخدِم في فك خيوط الكتابة القديمة المتشابكة عند الايزيديين . لقد كان تلاً طويلاً وصعباً ، وقد تعب العديد من المسافرين المتعبين في صعود جبال عين سوفني ولالش والقوش وكل منحدره في المكان لقد كانت التوصيات واضحة للجميع لا تهملوا شيئاً مهما كان عابراً وصغيراً . وأخيراً تمكنوا من قراءة الآرامية والأكادية على جدران لالش . وكان التقدم الذي كان بطيئاً في البداية قد أصبح سريعاً للغاية في النهاية . ولكن النتائج التاريخية كانت هزيلة نسبياً حتى ذلك الوقت بسبب العديد من الألواح التي وصلت لندن وكانت بحاجة الى ترجمات وفك الرموز فيها . فلم تكن النقوش كثيرة وكانت كلماتها قليلة لكن الرسوم والأشكال الهندسية كانت متشعبة وتعكس علوم خفية عند الايزيديين ، كم كان الأمر ليختلف لو كان بوسعنا فك رموز اللغة الثالثة فقط . كانت اللغة الثالثة في لالش وتل بلا شك آشورية أو بابلية هكذا كان التخمين . وفي الآرامية والأكادية كانت هناك القرائن اللازمة لفك رموزها بعمق ، ولو كان بوسعنا أن نقرأها ، لكان أمامنا كل كتب الآشوريين والبابليين . وما يعنيه هذا أصبح أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم . وبينما كان نوريس يعمل بهدوء في إنجلترا ، كان بوتا ولايارد يستخرجان عشرات النقوش في آشور لكنهما بصراحة لم يكونا أكاديميان ولا يمتلكان أي فكرة عن اللغات الشرقية فقد كانا رجلي مخابرات فقط ، وكانت أولى ثمار الاكتشاف البابلي تشق طريقها إلى أوروبا . ومع وجود مثل هذا الكنز الثمين الذي إستخرجاه

دون معرفة ما تحتويه من كنوز ، لم يكن من المستغرب أن يتنافس الرجال مع بعضهم البعض في شغفهم الشديد لتعلم معاني العلامات المعقدة الغريبة التي احتلت المرتبة الثالثة في لالش وتل بلا .

كانت أكثر النقوش التي إختارها جروتفيند والمأخوذة من لالش هي تلك النقوش المتعلقة بأسماء الملوك السومريين والآشوريين ، وعندما قارنا بنقوش آشورية مستخرجة من تل النبي يونس إكتشف دقة التسلسل في المعلومات في اللوحين مما يوحي بأن من نقشها وضع إحداها في لالش والأخرى في نينوى ..

ولقد اختار جروتفيند من بين النسخ الآشورية لنقوش لالش أسماء الملوك بالفعل لأنها كانت تجعله الأكثر شهرة من غيره في ترجمة الألواح والنقوش ، كما فعل في النصوص الأكادية القديمة ، ولكنه لم يتمكن من المضي إلى أبعد من ذلك إلا قليلاً لأسباب تتعلق بلجان المتابعة والتحديد التي كانت تشرف على عملهِ . لقد كانت هناك حاجة ماسة إلى مزيد من المواد قبل أن يتسنى إحراز أي تقدم كبير يجعلهُ متفائلاً . وبمجرد نشر الرسائل من داسن إلى تل بيلا التي أعلنت عن الاكتشافات في خورساباد والتي كانت تؤيد كل ما ذهب إليه ، عُثر على رجل انغمس بجرأة في محاولة فك رموز الآشورية . وكان إيزيدور دي لوينشتاين نقطة انطلاقه الرئيسية في مقارنة النقوش الآشورية والمصرية الهيروغليفية على مزهرية لالش . ولم تكن هذه المقارنة نقطة بداية جيدة بسبب الإستغراب من وجود أكثر من لغة على تلك المزهرية ، ومن المدهش إذن أن يكون نجاحه عظيماً كما كان في الواقع فقد إكتشف أن لحورس أثر في لالش وجبل ألقوش مما يعني أنه كان حارساً لبوابة لالش قبل ذهابه لمصر . ولقد أقدم لوينشتاين على خطوة سعيدة للغاية عندما اقترح أن اللغة الآشورية تنتمي إلى عائلة اللغات السامية ، وبالتالي فهي شقيقة للعبرية والعربية والآرامية وكان هذا الاقتراح وحده كافياً لإضفاء الاحترام على عمله قبل أن تكتشف عملية إشتقاق هذه اللغات جميعاً من اللغة الأكدية الأم ، وأصبح هذا الرأي مثمراً للغاية في أيدي العاملين اللاحقين الذي عكفوا على ترجمة نفس النقوش والنصوص . ولكن نجاحه لم يكن كبيراً في تحديد قيم العلامات التي كانت تشير لعلوم سريّة خفية تقف خلف كتابتها ، وكان النجاح في ذلك مطلوباً بشدة لمعرفة تلك الخفايا والأسرار التي تحملها في طياتها . أما في المذكرات الثانية فقد كان نجاحه أعظم كثيراً لأنه تمكن من فهم شجرة الحياة الايزيدية وأبوابها ، فقد اختار نقطة انطلاقه بمنتهى السعادة فقد كانت أسماء المقامات الايزيدية تشغله تماماً . فقد اختار الآن للمقارنة الأسماء الصحيحة للأيزيديين سواء في النقش الموجود على المزهرية أو في عالم الواقع الديني ، والتي كانت مكتوبة بحروف كبيرة في النصوص الآشورية والأكدية بالإضافة الى لغة إعتبرها لغة ايزيدية مستقلة على الإثنين قبل أن يتم إكتشاف أنها كانت لهجة يتحدث بها سكان تل بلا . كان من الممكن أن تكون هذه المقارنات بداية جيدة له لو تعمق في فهم لهجات المجتمع الايزيدي ، وقد بدأ لوينشتاين هذه البداية على نحو سعيد في هذا المجال من خلال اللقاء برجال الدين في عين سوفني وتل بلا في بعشيقة وبحزاني وبعدها إلتقى بفقراء سنجار الذين قال عنهم أنهم لم يجيبوا على الكثير من الأسئلة بسبب توجسهم من مهمتهِ . ولكن لم يكن من حقه أن يقرأ نصاً آشورياً يتعلق بالايزيدية كما قالوا لهُ ، فقد تبين أن هذه المهمة كانت أصعب كثيراً مما تصوره أي شخص على الإطلاق ..

وبالتدريج زاد عدد الراغبين في التطوع في مهمة قراءة هذه النقوش وظهر بالفعل أكثر من شخص للتصدي لهذه المهمة الصعبة ، ولم يكن أحد من هؤلاء موهوباً بمثل هذه المهارة الرائعة في فك رموز النصوص مثل إدوارد هينكس ، فقد كان له بالفعل نصيب جيد في فك رموز الشكل الأول من نقوش لالش ، وكما رأينا التركيز كان على قائمة الملوك وكذلك شجرة الحياة الايزيدية وأسماء كل عمود من أعمدة العلم المقدّس عليها ، كان عمله على الشكل الثاني مهماً للغاية وتعمق كثيراً في إجراء مقارنات كثيرة مع نقوش سابقة للتأكد من صحة كل حرف يقوم بترجمته وهو ما سهّل الأمر عليه كثيراً . وكان من المقرر الآن أن يتفوق على هذين التحدّيين وبكل سهولة تمكن على ما يبدو . ففي الثلاثين من نوفمبر ، ومرة أخرى في الرابع عشر من ديسمبر 1846، قرأ أمام الأكاديمية الملكية الأيرلندية ورقتين عن نقوش لالش ، طُبِعَتا فيما بعد في ورقة واحدة والأخرى لم يُسمح لهُ بنشرها ، انغمس فيهما بجرأة في فك رموز النص البابلي الأكدي على مزهرية لالش . وفي ورقة ثالثة قُرِئَت في الحادي عشر من يناير 1847، عدل إلى حد ما الآراء الواردة في الورقتين السابقتين بعد تلقيه ملاحظات بضرورة تجنب الرأي المباشر والدقيق في الموضوع والطلب منه على أن يكون كلامه إعتقاد فقط ، وتقدم خطوة إلى الأمام . ويبدو من الواضح تمامًا أثناء إعداد هاتين الورقتين أن هينكس لم يتلق أي مساعدة من أي عامل آخر أو صديق . لقد كان هينكس مستقلاً في كل شيء لكنه كان ينزعج من التدخل في تعديل المواضيع . ومن الصعب المبالغة في إنجازاته في هذه الأوراق الثلاث . فقد تم تحديد عدد من العلامات البابلية بشكل قاطع من حيث المعنى في مزهرية لالش ، ولا تزال المعاني التي تم تحديدها آنذاك هي المعيار حتى يومنا هذا على الرغم من أن الكثير من ترجماته بقيت طيّ السرية والكتمان حتى عام 1969. نجح في ذلك الوقت في تحديد جزء كبير من الأرقام بشكل صحيح والتي وضعها الايزيديون كتواقيت لتقويمهم الشرقي للأعياد الدينية . لقد كان على الطريق الصحيح الواضح لقراءة النصوص الايزيدية ، ولكنه كان حريصاً للغاية بحيث لم يجرؤ على المجازفة بالترجمة المباشرة . وظلت طريقته ، حتى تحت ضغط الحماس الذي لابد أنه كان ينبض في عروقه ، علمية بشكل صارم وجعلت من ترجماته محطة إهتمام مباشر في موضوع إستخراج المزيد والمزيد من ألواح لالش لا سيما أنها كانت تحت السيطرة البريطانية المباشرة في ذلك الوقت ..

وعلى الجانب الآخر بدأت النقوش التي اكتشفها بوتا في خورساباد المتعلقة بتقاويم الأعياد الايزيدية وشرائعها في الدولة الآشورية تصل إلى باريس . ومن الصناديق الخشبية الثقيلة جاءت ألواح حجرية مغطاة بالغبار ، لكنها تحمل أحرفًا غريبة على شكل إسفين وضعها الايزيديون في رموز سرّية على شكل أحرف متفرقة فقط من يفهم العلوم الايزيدية كان يتمكن من جمعها ومعرفة ألغازها . وكان على هنري أدريان دي لونجبريير أن يرتبها بنفس الترتيب في متحف اللوفر . ولم يكن بوسعه أن يقوم بهذا العمل دون أن يشتاق إلى قراءة هذه الحروف المجهولة التي كررها أكثر من مرّة ، ومثل غيره في أماكن أخرى من البحث والتنقيب ، بدأ يفكر في المشكلة الصعبة التي تواجهه وهي معرفة سرّ الحروف التي تقابلها أرقام . كان على دراية بعمل لوينشتاين ، وهكذا بدأ جهوده الخاصة واقفًا على أكتاف لوينشتاين علهُ يصل الى نتيجة . صحيح أن لوينشتاين لم يكن بوسعه أن يقدم له الكثير من المساعدة فيما يتعلق بالعلامات الفردية الموجودة على أكثر من لوح إيزيدي ، ولكنه على الأقل اختار مجموعة من العلامات ، بعد

مقارنتها بالآكادية القديمة التي وجدت على مزهرية لالش وكذلك أكثر من عشرة ألواح أخرى إستخرجت من نفس المكان ، ركز على كلمة معيّنة في أول جمع لهُ لهذه الأحرف واعتقد أنها تمثل كلمة (عظيم)، وربما كان من المفترض أن تنطق (رابو). وقد تعلم لوينشتاين هذا من نقوش لالش أن الكثير من الكلمات الايزيدية تنتهي بحرف الواو . ووجد لونجبريير نفس المجموعة في النقوش من خورساباد وتنتهي بنفس النهايات . لقد افترض صحة ذلك وواصل المضي قدماً قليلاً . في نصوص بوتا هذه تم ترجمة جملة بصعوبة ، كان هناك نقش صغير يتكرر كثيراً وبعد مقارنة طويلة ، ترجم أ. دي لونجبريير النقش بالكامل على هذا النحو التالي ..

مجيد هو سرجون ، الملك العظيم ، [...] الملك ، ملك الملوك ، ملك أرض آشور ..

الفراغ بين القوسين لم يتمكن من ترجمته بسبب جهله بالأحرف المكررة كما قال ..

ولكن الغريب في هذه الترجمة هو أنه لم يستطع أن يذكر كلمة واحدة أو ينطقها إلا كلمة واحدة ، وهي (رابو) أي (عظيم) . ومع ذلك فقد أظهرت الأبحاث التي أعقبت ذلك أن الترجمة كانت تمثيلاً كاملاً وصحيحاً للأصل بعد مقارنتها بألواح أخرى لكن أشدّ ما أثار إستغرابه ترجمة لوح آخر مستخرج من خورسباد يشرح زيارة سرجون العظيم الى لالش وأداءه القسم . ولو كان أمام دي لونجبريير قائمة العلامات والمعاني التي اقترحها هينكس بالفعل لكان وجد هذه الجملة بالتحديد ، لكان بوسعه أن يذهب إلى أبعد من ذلك بعد أن رأى حمورابي أو حمورابو حسب ترجمته الدقيقة وهو يؤدي نفس القسم في لالش قبل توليه الملوكية . ولكن في الحقيقة فقد برز اسم سرجون أكثر من مرة في ألواح لالش قياساً لنبو خذ نصر الذي ترجم إسمه الى نبيّ النصر العظيم ، وتوقف عند هذا الحد بسبب معارضة اللجان ترجمته وإفترضوا انها تعني صانع النصر والسلام . وعندما ينظر المرء إلى كل هذا العمل في فرنسا وإنجلترا وأيرلندا ، ويرى المكاسب الضئيلة هنا وهناك فإنها لا تتعدى الملاحظات أمام 864 لوحاً كلهم بحاجة الى ترجمة دقيقة وهذا العدد فقط تم العثور عليه في لالش ناهيك عن الألواح المستخرجة من نينوى وتل بلا وخورسباد ، فلا يسعه إلا أن يعتقد أن التقدم البطيء كان راجعاً في المقام الأول إلى الافتقار إلى التواصل مع الايزيديين الذين كانوا يتخوفون من مهمة الإنكليز في لالش . ولو كان بوسع كل عامل أن يعرف على الفور تحركات منافسه الودود ، فلابد أن التقدم كان أسرع حتماً في هذا المجال . ومن الصحيح حقاً أن الرجال الذين عملوا في فرنسا تمكنوا من خلال الصحف المنشورة أو الرسائل أو اجتماعات الجمعيات من الحفاظ على اتصال جيد إلى حد ما مع اللجان التي تشرف على الترجمة من جهة ومع السكان المتواجدين في إستخراد الألواح . ولكن الأيرلندي الأكثر ذكاءاً لم يجد وسيلة لمعرفة ما كانوا يفكرون فيه على الفور ، والأسوأ من ذلك أنه لم يكن قادراً على إخبارهم بعمله بسهولة والذي كان يقوم على أسس مختلفة في البحث . وكانت هذه الحقيقة الأخيرة مؤلمة للغاية لدرجة أن الفرنسيين المتحمسين عملوا بثبات دون مساعدته الثمينة . كان هذا الافتقار إلى التواصل السريع للفرضيات والنتائج مستمراً إلى حد ما في طبيعة عملهم ، على الرغم من كل التحسينات في الطباعة ونشر الوثائق ، ويبدو أنه يزداد بدلاً من أن يتناقص بسبب العدد الهائل من الجمعيات والمجلات المخصصة لمتابعة العلوم ..

كان بوتا قد عاد الآن إلى باريس وكان ينشر في أجزاء مذكراته عن لغة النقوش التي جعلت العالم يطلع على تاريخ مشرق للعراق القديم ، ولم يبذل سوى القليل من الجهد لفك رموزها أو ترجمتها ، ولكنه جمع كل النقوش التي عثر عليها ، وأعد قوائم مفصلة بالعلامات التي وجدها عليها دون أن يتمكن من فك ألغازها . وتمكن من التمييز بين ما لا يقل عن 642 علامة منفصلة . وهو ما يكفي لجعل أشد مفككي الرموز شجاعة يرتجف . ولابد من إيجاد قيمة أو معنى أو كليهما لكل علامة من هذه العلامات التي كانت تنقسم الى نصوص دينية ايزيدية من جهة والى تواريخ وأرقام عن الأعياد . وبهذا حسم بوتا على الفور وإلى الأبد كل نزاع حول الأبجدية التي وجدها في خورسباد والتي تتطابق مع ألواح وجدت في لالش . فإذا كان هناك 642 حرفاً في هذه النوض والألواح والمزهريات فلابد أن يمثل بعضها مقاطع لفظية لها إرتباط بعلوم دينية عند الايزيديين . ولكن كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد من المقاطع اللفظية ؟ ألقى بوتا نظرة على نقوش لالش ، وقارن بين النقش رقم 1، وهو أكادي، والنقش رقم 3، وهو بابلي. لقد وجد بوتا في رقم 1 اسم بلد ما ممثلاً بعدة علامات وهو لبنان ، بينما وجد في رقم 3، في المكان المناسب ، أن نفس البلد ممثل بعلامة واحدة فقط . لقد أصبح من الواضح الآن أن هذه اللغة البابلية كانت مكتوبة جزئياً على الأقل في شكل رموز تقسّم المنطقة حسب اللوح الايزيدي الى مركّة وشام وشرق . وهنا كانت صعوبة أخرى إضافية في فهم سبب هذا التقسيم الجغرافي وسرّهُ . فحتى لو تعلم المرء معنى هذه الرموز لن يتمكن من فهم أبعاد التقسيم ، فكيف يتسنى له تعلم الكلمة نفسها ، أو إذا جاز التعبير، نطقها ؟كانت هذه مشكلة بالتأكيد بالنسبة لهُ ، ولم تظهر الوسائل لحلها في ذلك الوقت ، ولا لعدة أيام ، ومع ذلك استمر عمل بوتا بدون هذه المعرفة المرغوبة للغاية والتي وضعته في مأزق ، وفي النهاية اختار الكلمات التي تشير إلى الملك والأرض والشعب وعدد قليل من الكلمات الأخرى الأقل أهمية بالنسبة لهُ مثل سرجون والمركّة والايزيديون وسنجق ونور آدي ، لكنه ما زال غير قادر على تهجئة الكلمات بالأحرف الرومانية بشكل صحيح .كان بإمكانه وضع علامة ويقول ، (ها.. هذا يعني أرض) ، لكنني لا أعرف على الإطلاق كيف يقرأها الآشوريون ! مع وجود مثل هذه المعرفة المعيبة ، لم يحاول بوتا بطبيعة الحال أي ترجمة كاملة ومع ذلك فقد قدم مساهمة مفيدة في اتجاهات إيجابية ، ومساهمة أكثر فائدة في اتجاهات سلبية من خلال إظهار مدى عدم جدوى بعض النظريات الأبجدية القديمة فالإنسان الغربي لا يمكنه لفظ الكلمات بالشكل الصحيح كما ترجم أغلب من فسّروا الألواح كلمة آدي الى آدد وكلمة المركَة الى الماري ..

وفي الوقت نفسه حاول دي سولسي بذل جهوده بشأن نقوش لالش وغيرها من نقوش الملوك السومريين . ونشر بعض الأوراق التي لم تسفر للأسف عن نتيجة ناجحة حسب رأي اللجنة التي أشرفت على ترجماته . وقد أدى هذا إلى وضعه تحت حظر غير المفكرين وكذلك إستبعاده مؤقتاً من البحث في نقوش لالش ، فقد كان يعلم أنهُ من النوع الذي لا يجرؤ على ارتكاب الأخطاء لكن اللجنة رأت أنه أخطأ في ترجمته ، وبالتالي لم يحقق أي شيء حسب وجهة نظرهم ، لقد ارتكب دي سولسي الأخطاء بلا أدنى شك ، وسرعان ما أدركها ، وواصل إصلاحها بسعادة وخاصة تلك التي تتعلق بالأسماء الايزيدية .كان يعمل أيضاً في اللغة المصرية ، وتعلم الكثير في تلك المدرسة الخاصة بعمليات فك الرموز . في هذا كان مثل هينكس ، ويبدو أن دي لونجبرير قد اكتسب أيضاً تلميحات مفيدة من نفس المدرسة

، الآن أصبح دي سولسي مستعداً لاتخاذ الخطوة الجريئة المتمثلة في محاولة فك رموز وترجمة نقش كامل ،كان هذا أول نشر لنقش آشوري كامل يتحدث عن العطل الرسمية الدينية في الدولة الآشورية والتي كانت رهيبة وتمتد لأكثر من مائتي عطلة في السنة !! مع تعليق يبرر ويشرح الطريقة كلمة بكلمة. سجل دي سولسي في هذه الورقة مائة وعشرين علامة كان يعتقد أنه يعرف معناها ، لكن عدم اليقين كان كبيراً وخاصة برقم الأعياد الدينية وحتى هو لم يستطع أن يدعي أنه حل بشكل عادل الصعوبات التي كانت تحيط بتكرار العلامات لنفس الحرف الساكن والأعداد ..

لقد نجح هينكس في تحقيق ما لم يستطع دي سولسي تحقيقه . ففي ورقة بحثية رائعة عن نقوش خورساباد ، نُشرت في الخامس والعشرين من يونيو/حزيران 1849، أظهر هينكس كيف كان يتم التعبير عن الحروف المتحركة جنباً إلى جنب مع الحروف الساكنة بنفس العلامة عند الايزيديين . فكان هناك على سبيل المثال علامة لـRA ، وعلامة أخرى لـRI ، وعلامة أخرى لـ RU. ثم كانت هناك علامة لـAR ، ومن المفترض أيضاً لـ UR وIR، وإن كان لم يحدد العلامة الأخيرة بشكل كامل ودقيق . وكان هذا مكسباً هائلاً ، لأن دي سولسي كان قد أسند إلى كل هذه العلامات المنفصلة معنى دقيق ...R

ولم يكتمل هذا البحث بالكامل إلا في التاسع عشر من يناير/كانون الثاني 1850، وحتى ذلك الوقت استمر هينكس في إضافة بعض التعديلات والتصحيحات إليه . وفي نهايته أضاف بضعة أسطر من الترجمة من الآشورية وكانت هذه ترجمة لم يحققها أي مفسر آخر لا سيما أنها إقتربت بشكل دقيق من بعض الأحرف التي كان الايزيديون يتلفظونها قبل الجمل من دي و هر . فقد قدمت أولاً الحروف الآشورية مطابقة مع الأحرف التي إستخدمها الايزيديون تماماً ، ثم محاولة نسخها إلى الحروف الرومانية ، وأخيراً الترجمة الكاملة تقريباً والصحيحة تقريباً والتي للأسف بقيت دون إهتمام من الباحثين الذين تصدوا للكتابة عن الجانب الديني في الدولة الآشورية . من المستحيل قراءة هذه المقالة في هذا التاريخ المتأخر دون أن نندهش من فهمها للمبادئ الأساسية ، وبصيرتها الثاقبة في الشكل اللغوي والحياة ، وعرضها المذهل لقوى التركيب في الجمل مثل (دي روح) و (دي إسكت) و (هرّ ما إتأكد) وغيرها من التراكيب في الجمل والتي أثارت الإستغراب عند المترجمين دون معرفتهم أسباب إستخدام الايزيديين بعض الأحرف قبل الأفعال ..

وتمت فيما بعد مقاربة هذه المقدمات مع أحرف إستخدها السومريون في الجنوب مثل كلمة (جا) بوضع ثلاثة نقاط تحت حرف الحاء وكلمة (خو) التي كان البابليين يستخدمونها ، وأدركوا أنها كانت أحرف مهمة لإعطاء توكيد مباشر للجمل اللفظية في لغتهم ..

وأثناء الفترة الممتدة من عام 1616 وحتى عام 1622 أرسل الايزيديون عشرات الوفود الى البريطانيون الذين كانوا يحكمون العراق بجيش عثماني لكي يسمحوا لهم بإعادة إعمار لالش لكن طلباتهم كانت تجابه بالرفض ، وفي الكثير من الأحيان بالمماطلة ، وفي عام 1623 طلب البريطانيون منهم التوجه للباب العالي في إستنبول وإستحصال موافقة منهم قبل تسليم لالش بعد أن هدد الايزيديون الثكنة العسكرية البريطانية في قشلة عين سوفني ..

كان السلطان العثماني مراد غازي ابن أحمد الثاني يستشير الإنكليز في أمور العراق فطلب البريطانيون منه وضع شرط لهم يتطلب ترجمة نصوصهم الى لغة أخرى قبل تسليم لالش لهم ، في البداية وافقوا وأرسلوا الى شيوخ حاران الشمسانيين الذين كانوا أصحاب الدفتر والقلم في ذلك الوقت وبيدهم مفاتيح النصوص وسعود الكتابة والترقيم ، لكن رجال وشيوخ حاران رفضوا تغيير النصوص من الأكدية الى لغة أخرى على إعتبار أنها جاءت الى الأرض بهذه اللغة ويعتبر شرك وخطيئة تغيير لغة النصوص ، وبعد مراسلات طويلة بين شيوخ الايزيديون في لالش والبريطانيون والعثمانيون فشلوا جميعاً في إقناع شيوخ حاران بإعطاء الرخصة للترجمة فطلب البريطانيون من العثمانيين التحقيق في صحة إدعاء الايزيديون حول رفض شيوخ حاران ، في النهاية أعطى البريطانيون الأمر للسلطان العثماني بإصدار فرمان ضد حاران وشيوخها بسبب إختباءهم لعقود تحت تسمية الصابئة الشمسانية ..

وبالفعل في عام 1624 تم تصفية 12 شيخاً من شيوخ الايزيديين الشمسانيين في حاران ومعهم عوائلهم وكل شيخ كان يحمل سرّ باب من أبواب المعرفة المقدّسة الايزيدية ونصوصها ، وأثار هذه الأمر إنتباه البريطانيين الى أن الايزيديين لا يخفون علومهم كلها في لالش فقد إكتشفوا أن المدرسة الأورفية كانت مدرسة دينية للعلم الايزيدي الخفي المقدّس ، فسارعوا الى إرسال طلب من مراد الثاني في الحصول على إذن بالتنقيب عن الآثار في حاران تتعلق بالايزيديين ..

وفي عام 1631 بدأ شيوخ المركّة بالإستجابة للفرمان العثماني بترجمة النصوص فوضعوا 120 نصاً فقط قابلاً للترجمة الى لغة أخرى كي لا يرتكبوا الخطيئة الكبرى بحق العلم الخفي المقدّس ، فتمت ترجمة النصوص الى لهجة من لهجات الميديين وهي البادينية الجنوبية لكنهم أبقوا الصحب والتفسيرات باللغة الأكدية التي كان سكان المركّة يتحدثون بها ، وعلى الرغم من معارضة كل القوالين في تل بلا بهذا الوضع إلاّ أنهم رضخوا للأمر وأبقوا الصُحب والكثير من النصوص مشبعة بكلمات أكدية وآرامية وحتى اليوم الصحب والأقوال بلغة أكدية يتكلمها سكان بعشيقة وبحزاني ..

وفي عام 1636 تم تسليم لالش الى الايزيديين بشرط السماح لفرق التنقيب بالبحث فوافق الايزيديون على الشرط وتركوا فرق الأبحاث تعمل على شرط أن تلتزم بقدسية المكان فإتفق الطرفان وإنتهت تلك المشكلة بخسارة الايزيديين لشيوخ حاران وأسرارهم العظيمة ، فقد كانت حاران منذ عهد نبو نيد مركزاً سرياً بديلاً لـ لالش خوفاً من قتل شيوخها لكن في النهاية وصل الإنكليز لهم ومعهم العثمانيين وتخلصوا من أعمدة الدين الايزيدي في الشرق القديم ..

وكان من الطبيعي أن يكون السير هنري رولينسون أول من يستفيد من المواد الجديدة التي أصبحت متاحة بهذه الطريقة . لم يعاني أي رجل مثله في جهوده للحصول على نسخ من النقوش التي حصل عليها من لالش ، والآن وقد عاد إلى لندن مرة أخرى لمتابعة ما توصل إليه ، وفي ورقتين قرأهما في التاسع عشر من يناير وفبراير 1620، قدم رولينسون معالجة متقنة ودقيقة لهذا النقش العظيم عن لالش والذي كان يحمل أسماء السلالات الملكية في سومر وبابل وآشور حتى أنها كانت تشير الى نقوش أخرى تكمل ما تنتهي عنده النقوش ، واختتم بترجمة مبدئية لتلك

الأجزاء منه التي بدا لدراسته أنها تعطي معنى معقولاً ومقبولاً حول التسلسل الزمني للأحداث . وإذا قارنا عمل رولينسون هذا بعمل هينكس ، فسوف نعاني كثيراً من المقارنة . صحيح أن رولينسون كان يصيب المعنى الحقيقي للمقطع في كثير من الأحيان ، بل إنه كان يقدم ترجمة سلسة ذهبت الدراسات الأخيرة إلى حد كبير لتبريرها ، ومن ناحية أخرى ، لم يقدم النص والنسخ والترجمة معاً ، كما فعل هينكس ، وبالتالي كان من المستحيل على الطلاب الذين لم يتمكنوا من فحص الأصل أن ينتقدوا أو يتحققوا أو يدحضوا القيم التي أسندها إلى الشخصيات ومن الواضح أنه بدون هذا لن يكون هناك تقدم محدد ومحدد في أي عمل تفسيري يتعلق بترجمة تلك النقوش ، ومع ذلك ورغم أن رولينسون لم يقدم الوسائل اللازمة لذلك في ترجمته ، فقد ناقش عدداً من الكلمات التي كانت تمثل لقب لكل ملك ، وطبع العلامة مع نسخها وترجمتها ، وبالتالي قدم مادة كاملة لاستخدام العاملين اللاحقين ..

ولكن حتى بعد هذا ، كان إسهام رولينسون العظيم في فك رموز النصوص لا يزال ينتظره الكثيرون ، فبينما كان العلماء في أوروبا يكافحون من أجل فك رموز نقوش لالش ، كان يعيش رولينسون بمفرده في بغداد ، باحثاً عن كل فرصة لدراسة الصخور في داسن ومحيطها ، وبالتالي الحصول على نسخة كاملة من النقش الثلاثي اللغات العظيم لسرجون الذي وِجِدَ في لالش . وكان قد نشر بالفعل الجزء الأكادي من هذا النص ، وأصدر إدوين

نوريس، بإذنه الجزء الثاني (الذي كان يسمى آنذاك الداسنيين) . وكان الجزء الأكثر أهمية هو البابلي ، ولا تزال نسخة هذا النص في حوزته ، حيث يعمل عليها بجهد ، ويحاول انتزاع آخر سر من العلامات المعقدة قبل أن يغامر بإصدارها للعالم . ولقد تعرض رولينسون لانتقادات لاذعة بسبب طول هذا التأخير . ويتضح أنه كان يغار من شهرته من خلال الرسائل المثيرة للجدال في السنوات اللاحقة ، ولكن في هذا كان مبرراً تماماً . وكان آخرون يعملون في محاولة فك رموز هذه السجلات المفقودة منذ زمن طويل لشعوب العالم القديم . لقد كانوا حريصين على أن يحظوا بشبح الشهرة لأنفسهم ، وقليلون هم الذين قد يحرصون على الحفاظ على الشهرة التي يستحقها رولينسون عن جدارة لإنجازاته ، كتعويض بسيط عن فقدان الراحة والحرمان والمتاعب التي تحملها ..

وأخيرًا في عام 1851 ظهرت المذكرات التي طال انتظارها ، نشر رولينسون مائة واثني عشر سطراً من الكتابة المسمارية ، مصحوبة بنسخ بين السطور إلى الحروف الرومانية وترجمة إلى اللاتينية . وأضيف إلى هذا مجموعة من الملاحظات التي ناقشت العديد من مبادئ القواعد والتفسير التي إستخدمها الايزيديون ، جنباً إلى جنب مع قوائم مختصرة من العلامات والأشكال الهندسية التي تم نقلها من الجدران في الحرم الايزيدي ..

إن مذكرات رولينسون هذه تستحق أن نعتبرها بحق عملاً تاريخياً مهماً في ترجمة كل من النصوص الايزيدية والنقوش الآشورية . ففيها أخيراً نقش طويل وصعب تمت ترجمته بالكامل تقريباً ، وفيها تم تناول موضوع اللغة الآشورية حتى وصل الأمر إلى حد الجدال الدائر حول التفاصيل النحوية الدقيقة وسبب إختلاف اللهجات بين نينوى وأطرافها في تل بلا وخورسباد وغيرها . لقد كان هذا في الواقع إنجازاً لمهمة ضخمة تم تنفيذها وسط صعوبات كبيرة ، وبعين واحدة على الرغم من أن نشره حدث في إطار أكاديمي ضيق للغاية وبنسخ محدودة . ولم يكرم العلم والمجتمع الرجل

الذي تجرأ على تنفيذ هذه المهمة العظيمة ربما لأسباب بقيت مجهولة حتى اليوم أو على الأغلب لأنها لم تأتي على رغبة الواقفين خلف مشروع الترجمات لأنها بالفعل حطمت أوهامهم ..

ولكن على الرغم من عظمة نتيجة عمل رولينسون ، إلا أنه كان من المنطقي أن يجلب صعوبات واختبارات جديدة للمترجمين الصبورين للنصوص . فقد أصبح من الواضح تماماً من دراساته أن نفس العلامة في الآشورية أو البابلية لا تمتلك دائماً نفس المعنى . وقد أطلق رولينسون على مثل هذه العلامات اسم (متعددة الأصوات) . وقد أضاف هذا صعوبة إلى صعوبة أخرى . ففي هذه العلامة ، على سبيل المثال ، كانت تحمل القيم المقطعية كال ، وريب ، وآدان ، إلخ. وقد بدا هذا المبدأ سخيفاً تماماً لبعض منتقدي رولينسون . ولقد كان لهذا النقد في أذهان العامة أثر كبير في تدمير كل الثقة في التفسير المقترح للنقوش البابلية . فقد كان أحدهم يقول ((كيف تعرف متى يجب أن تقرأ هذه العلامة كال أو ريب أو كيف تعرف أنها لا تعني آدان ؟ فيضيف آخر .. نعم ، كيف تتوقع منا أن نصدق أن شعباً عظيماً مثل الآشوريين والبابليين كان بوسعه أن يسجل التاريخ بهذه اللغة أو بهذا النظام من الكتابة ؟ إن الأمر برمته مستحيل في ظاهره)) وبطبيعة الحال لم يكن لمثل هذا النقد أي تأثير على رولينسون نفسه ، فقد وصلت إليه معرفته بخطوات مؤلمة وبطيئة ، ولم يكن من السهل الإطاحة بها . ومع ذلك ، كان لها وزن في التقدير الشعبي ، ولا يمكن احتقار التقدير الشعبي أو التخلي عنه حتى من قبل العلماء . كان لابد من أخذها في الحسبان ، كما كان رولينسون يعرف جيداً . سيكون من السهل بعد فترة إثبات صحة تفسيره ، لأنه كان بإمكانه الانتظار في ذلك اليوم بصبر . ومع ذلك ، كان من المؤسف أن رولينسون لم يتمكن من عرض كل أسبابه وجميع عملياته ، جنباً إلى جنب مع كل الأجهزة النقدية التي توصل اليها. في هذه الحالة بالذات ، يجب أن نشعر ببعض خيبة الأمل تجاه المذكرات العظيمة في هذا على الأقل لم تكن مساوية لأوراق هينكس وفي حين كان الكثيرون يعتقدون الآن أن رولينسون قد حل المشكلة في النقاط الرئيسية ، لم يهدأ هينكس للحظة واحدة من سعيه الحثيث نحو التفسير الصحيح للنقوش . ويبدو أنه حضر في يوليو/تموز وأغسطس/آب من عام 1850 اجتماع الجمعية البريطانية في إدنبرة ، حيث وزع بين الأعضاء لوحة مطبوعة بالحجر تحتوي على عدد من العلامات التي تسجل أشكال الأفعال التي إستخدمها البابليون والآشوريون والايزيديون في نفس الوقت . وقد تم تجاهل هذه الورقة ، التي لم يُنشر منها سوى ملخص موجز تقريباً في تاريخ التقدم في البحث الآشوري . ومع ذلك ، فهي ذات أهمية كبيرة . فهي تُظهر أن هينكس تجاوز مجرد تخمين معاني الجمل ، ووصل إلى حد دراسة قواعد اللغة التي كانت بين يديه . وفي هذا المجال سرعان ما تفوق على جميع الآخرين ، ووضع أسساً عميقة ومتينة لقواعد اللغة الآشورية ..

خلال عام 1851 لم ينشر هينكس أي شيء ، وربما كان منخرطاً في ذلك الوقت في دراسة كل المواد المتاحة وفي العام التالي نشر قائمة تضم مائتين واثنين وخمسين حرفاً آشورياً ، وناقش قواعدها بشكل منفصل . ويمثل هذا البحث تقدماً غير عادي على كل ما سبقه . فهو لم يعد يستخدم الآن الأساليب القديمة لفك الرموز فحسب ، بل أضاف إلى هذه الطريقة طريقة جديدة وأكثر دقة . وهو يحلل الأشكال النحوية ..

ويوضح كيف يظهر الجذر في أشكال مختلفة وفقاً لاستخدامه في تصريفات مختلفة . وبهذه الوسيلة ، أصبح قادراً على اختبار القيم المقترحة والتحقق منها . وفي هذا البحث أيضاً ، أظهر أن الآشورية تمتلك نظاماً متقناً للغاية للكتابة . كانت هناك أولاً علامات للحروف المتحركة المفردة ، مثل آ و إي و إو . وثانياً كانت هناك أحرف مقطعية بسيطة ، مثل إب وآب ، بي وبا وبو وأوب ، وثالثاً كانت هناك أحرف مقطعية معقدة ، مثل دي و هرّ بار و بان وراب ..

وقد شكل إستخدام كل من الايزيديون والآشوريون هذه الأحرف في مقدمة الجُمل تحدياً كبيراً في مجال فهم اللغة والهدف من وضع هذه المقاطع ، وقد شاهد على أرض الواقع الناس تتلفظها أمامه دون أن يتمكن منهم من فهم أسباب إستخدامها ..

وفي الوقت نفسه ، عاد جول أوبيرت من بابل يحمل معهُ الكثير من الترجمات والألواح الغير المترجمة ، وسرعان ما زار إنجلترا ليرى مجموعات المتحف البريطاني ويُجري بعض المقارنات . وكان حاضراً في اجتماع الجمعية البريطانية في غلاسكو في عام 1855، واستمع هناك إلى رواية السير هنري رولينسون عن الحفريات في تل نمرود ، وتحدث بنفسه عن نتائج عمله في بابل . وكان عدد العمال يتزايد الآن في مجال ترجمة المخطوطات ، بعد غيابه لمدة عامين كان هناك ضيف جديد في شخص فوكس تالبوت ، وهو رجل موهوب بشكل ملحوظ . ولكن مع كل العمال الجدد في أيرلندا وفرنسا وإنجلترا ، الذين استسلموا في تمسكهم بمبادئ ونتائج فك الشفرات ، كان هناك الكثير ممن سخروا من الأمر برمته أو شككوا فيه ، وكثيراً ما تم التعبير عن الشكوك حول الترجمات من قبل ، وكان المحققون يرحلون بهدوء ولا ينتبهون . ولكن إتش فوكس تالبوت ، في حماسه الجديد لحياته الدراسية ، لم يكن راغباً في الاستماع إلى هذه الشكوك لفترة أطول دون بذل بعض الجهود لتبديدها . ولذلك ابتكر خطة جديدة ومذهلة وكان رولينسون على وشك أن ينشر لأمناء المتحف البريطاني نسخاً حجرية من النقوش الآشورية المختارة . وكان قد نسخ بالفعل محتويات أسطوانة زعم أنها تحتوي على اسم تيغلث فلاسر وطبعها بالحجر . وأرسل نسخة مسبقة من هذه النسخة الحجرية إلى فوكس تالبوت ، الذي قام على الفور بترجمة الأجزاء التي تمكن من فهمها بسهولة . ووضع هذه الترجمة في حزمة مختومة بعناية ، وأرسلها إلى الجمعية الملكية الآسيوية ، مصحوبة برسالة يظهر الغرض منها بوضوح في المقتطفات التالية ..

(بعد أن حظيت بنسخة مبكرة من الطباعة الحجرية لهذا النقش العظيم بفضل سخاء أمناء المتحف البريطاني والسير هـ. رولينسون ، قمت بترجمة هذه النسخة التي أقدمها الآن للجمعية . وسوف تشرح بضع كلمات هدفي من القيام بذلك) لقد رفض العديد من الأشخاص حتى الآن الإيمان بصحة النظام الذي فسر به الدكتور هينكس والسير هـ. رولينسون الكتابات الآشورية ، لأنه يحتوي على العديد من الأشياء التي تتعارض تماماً مع آرائهما المسبقة . على سبيل المثال ، تمثل كل مجموعة من الحروف المسمارية مقطعاً لفظياً ، ولكن ليس دائماً نفس المقطع اللفظي ، في بعض الأحيان مقطع واحد وأحياناً مقطع آخر . ويرد على ذلك أن مثل هذا الترخيص من شأنه أن يفتح الباب أمام كل أشكال عدم اليقين ، أن الآشوريين القدماء أنفسهم ، سكان البلاد الأصليين ، لم يتمكنوا قط من قراءة

مثل هذا النوع من الكتابة ، وبالتالي، فإن النظام لا يمكن أن يكون صحيحاً ، ويجب أن تكون التفسيرات القائمة عليه خاطئة . كان هذا هو الوضع كما أدركه تالبوت ، واقترح أن تظل ترجمته مختومة حتى يتم نشر ترجمة السير هنري رولينسون ، ثم تتم مقارنة النسختين . إذا وجد أن الترجمتين متفقتان بشكل كبير ، فسيكون ذلك كافيًا لإقناع المتشككين ، حيث كانت كل ترجمة قد تم إجراؤها بشكل مستقل تمامًا عن الأخرى . عندما قُرئ هذا الاتصال أمام الجمعية ، اقترح السير هنري رولينسون اتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ خطة السيد تالبوت على نطاق أكبر مما كان يعتزمه . تقرر أن يطلب من السير هنري رولينسون وإدوارد هينكس وجولز أوبيرت إرسال ترجمات لهذا النقش نفسه إلى الجمعية ، تحت أغلفة مختومة . كان من المقرر بعد ذلك فتح هذه الترجمات ومقارنتها بحضور اللجنة التالية القس عميد كنيسة القديس بولس (الدكتور. ميلمان، والدكتور ويويل، والسير جاردنر ويلكينسون، والسيد جروت، والقس دبليو كوريتون، والأستاذ هـ. هـ. ويلسون) ..

لقد قدم السير هنري رولينسون نسخة كاملة تقريباً ، ولكن لم يكن لدى الدكتور هينكس ولا الدكتور أوبيرت الوقت الكافي لإكمال ترجمتهما . ومع ذلك ، فقد أرسلا ما يكفي من النسخ لإجراء مقارنة فعالة . وقد وجد أن النسختين متطابقتين بالفعل ، وأفادت اللجنة بأن التطابق بين الترجمات ، سواء فيما يتعلق بالمعنى العام أو الترجمة اللفظية ، كان ملحوظاً للغاية . في معظم الأجزاء كان هناك تطابق قوي في المعنى المخصص ، وأحياناً هوية غريبة للتعبير فيما يتعلق بكلمات معينة ، حيث اختلفت النسخ بشكل كبير جداً ، كان كل مترجم في العديد من الحالات يصنف المقطع على أنه مشكوك فيه أو غير مؤكد الدلالة . في تفسير الأرقام كان هناك تطابق فريد في جميع أنحاء النص ، ثم رسم الفاحصون جداول التطابق والاختلافات ، ونشرت الجمعية الملكية الآسيوية الترجمات الأربع جنبًا إلى جنب كان تأثير هذا العرض في بريطانيا العظمى كبيراً ومنتشراً . أصبح من الواضح تدريجياً للعقل الشعبي أن النقوش الآشورية قد قُرئت بالفعل ، وأن العقل الشعبي في بريطانيا العظمى قوة في العلم كما هو الحال في السياسة . ولقد ظهرت نتائج تأثيرها سريعاً . فبفضل هذا العرض الشعبي نستطيع أن نعتبر أن مهمة تفسير النقوش الآشورية والبابلية قد وصلت إلى مرحلة حاسمة لا سيما وأن الإختلاف أصبح واضحاً حيث أن البابليين كانوا يتجنبوا الألفاظ الشريرة بينما الآشوريين كانوا يستخدمون هذه الألفاظ . ولقد كان من الضروري أن يتم اختبار كل العمل الذي بدأ منذ بداية محاولات جروتفيند الأولى لفك رموز نقوش لالش بواسطة عقول جديدة وقد نجح في تحقيق هذا الاختبار عندما ظهر رجل بعد رجل كدارس لعلم الآشوريات . ولكن هذا كان كافياً لكسب الأرض وفرضها على العالم . فقد تمكنت دراسة الآشوريات من أن تأخذ مكانها إلى جانب الأخوات الأكبر سناً في جامعات العالم . وكانت المواد التي أرسلها بوتا إلى باريس تُقرأ بسرعة ، وكانت الأوراق التي تتناول نتائجها التاريخية تظهر أسبوعياً تقريباً . وفي إنجلترا كانت النقوش التي أرسلت إلى الوطن من حفريات لايارد، ولوفتوس، وتايلور ، وخاصة راسام ، تكشف عن أسرارها . ولم يمض وقت طويل قبل أن يطالب الرأي العام باستئناف أعمال الحفر. ولكن في هذا الوقت كان العمال مشغولين بتأمين نتائج البعثات السابقة التي كشفت الكثير عن فلسفة الحضارة في العراق القديم ..

وفي خضم كل هذه الجهود الرامية إلى فك رموز الآشوريين ، بدأت حركة كان من المقرر أن تؤثر بشكل كبير على تقدم الدراسات الآشورية في إنجلترا . ففي الثامن عشر من نوفمبر/تشرين الثاني 1870، اجتمعت في غرف السيد جوزيف بونومي ، في لينكولنز إن فيلدز ، مجموعة من الرجال الذين استدعاهم هو والدكتور صمويل بيرش من المتحف البريطاني . وقد طُلب منهم أن يأخذوا في الاعتبار الأوضاع الحالية للبحث الأثري بعيداً عن العاطفة ، وإذا بدا ذلك مرغوباً ، أن ينشئوا جمعية لتوجيه مسار التحقيقات المستقبلية ، وأن يحفظوا سجلاً للمواد التي تم الحصول عليها بالفعل وتدوينها بغض النظر عن الآراء الشخصية ، وهي الجمعية التي يجب أن تكون أهدافها الخاصة جمع الرسوم التوضيحية لتاريخهم وخصائصهم من الآثار التي تتلاشى بسرعة للأجناس السامية والأجناس ذات الصلة ، والتحقيق في الآثار القديمة للإمبراطوريات العظيمة والشعوب الأصيلة للمنطقة وتنظيمها ، والتي تتركز سجلاتها حول الصفحات الموقرة من الكتاب المقدس . ونتيجة لهذا المؤتمر التمهيدي ، عُقد اجتماع عام في قاعات الجمعية الملكية للأدب في التاسع من ديسمبر عام 1870، وفي ذلك الوقت تم تشكيل جمعية الآثار التوراتية . وتم اختيار الدكتور صموئيل بيرش رئيسًا ، والسيد دبليو آر كوبر سكرتيراً ، بينما كان السير هنري رولينسون ، والسيد دبليو إي جلادستون ، والعميد آر باين سميث نواباً للرئيس وكان من بين أقدم الأعضاء إدوين نوريس ، وهرمزد راسام ، و دبليو إتش فوكس تالبوت ، والقس إيه إتش سايس ، وجورج سميث .

حققت الجمعية نجاحاً منذ بداية وجودها ، وكان تأثيرها على الدراسات الآشورية والبابلية ملحوظاً بشكل خاص صدر المجلد الأول من المعاملات في ديسمبر عام 1871، وفيه كتب فوكس تالبوت عن (خسوف قديم) في آشور ، وساهم جورج سميث بورقة مفصلة عن (التاريخ المبكر لبابل) . وفي وقت قصير أصبحت منشورات الجمعية المصدر الرئيسي للتحقيقات التي أجراها العلماء الإنجليز في كتب الآشوريين والبابليين والايزيديون وطالبوا بالتركيز فقط على الأقوام المذكورة في التوراة ..

وأصبحت الأبحاث أكثر تركيزاً الآن على الجوانب اللغوية والحضارية في بابل وآشور ، كان الطلاب الأوائل الذين حاولوا فك رموز النقوش الأكادية القديمة يبالغون في تقدير صعوبة الحروف المسمارية التي وجدت في لالش وفي تل النبي يونس الى درجة أنهم إعتبروها رسوم هندسية تشير الى شيء ما . فقد كانت تختلف تمام الاختلاف عن أي شكل آخر من أشكال الكتابة ، حتى أنه حتى في الوقت الذي كان فيه الرجال مشغولين في محاولة اكتشاف معناها ، بدأت الخلافات حول أصلها وسبب وجودها في أماكن بعيدة عن سومر وبابل بمئات الكيلومترات ، ولو كانت العلامات تبدو وكأنها صور بدائية لأشياء أو رموز دينية ايزيدية ربما ، كما كانت الحال في الهيروغليفية المصرية ، كان من الممكن أن يتم إيجاد بعض الدلائل على أصلها لو تمكنوا من التواصل مع رجال الدين الايزيديين في ذلك الوقت ، ولكن أثناء عملية فك رموزها لم يستطع أحد أن يتبين أي تشابه من هذا القبيل . وعندما بدأ فك رموز الآشورية ، تساءل الناس أكثر عن مخترعي أو مكتشفي هذه العلامات المعقدة الغريبة ، وعندما قرأوا الآشورية أخيراً ، اتضح للعديد من الباحثين في نفس الوقت تقريباً أنها تنتمي إلى عائلة اللغات التي وضعها كل من أنليل وأنكي لسكان

بلاد الرافدين . وقد أدى هذا الاكتشاف إلى تكثيف الصعوبة المتعلقة بطريقة كتابتها لا سيما وأنها تتجاوز العقل البشري في الكثير من تعابيرها ..

وبعد فترة وجيزة (1853) كتب رولينسون إلى الجمعية الملكية الآسيوية يعلن اكتشاف عدد من النقوش باللغة الآرامية ، والتي اعتقد أنها مرتبطة بالنصوص الأكادية لنقوش لالش . وأعلن أن هذه النقوش الجديدة أقدم من نقوش لالش ، وأقدم أيضاً من سلالة نبوخذ نصر الملكية ، وزعم أن الآراميين ربما كانوا يمتلكون البلاد الغربية قبل ظهور الساميين . كان من الواضح أنه كان من الرأي أنه وجد نقوشاً مكتوبة بأحرف مسمارية ، ولكن بلغة غير سامية ، يبدو باختصار أنه يتحرك نحو فكرة أن هؤلاء الآراميين اخترعوا طريقة الكتابة المسمارية ..

وقد طرح أوبيرت هذا الرأي في العام التالي مباشرة لكنه جوبه بالرفض على إعتبار أن الأكدية هي حاوية للغات ومنها إنطلقت الآرامية ، حيث حاول إظهار كيف انتقل هذا النص الآرامي المفترض إلى أيدي الآشوريين . كان رولينسون منهمكاً الآن في التحقيق في المشكلة الجديدة ، وفي الأول من ديسمبر/كانون الأول 1855، تمكن من إبلاغ الجمعية الملكية الآسيوية بالتقدم الكبير الذي أحرزته . وكان يدرس ما يسمى بالنقوش الآرامية التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ووجد نفس اللغة في الأعمدة اليسرى من المقاطع الآشورية . وقد شرح هذه المقاطع على أنها تتألف من أبجديات وقواعد ومفردات مقارنة للغتين الآرامية والآشورية . وكانت نظريته الآن أن هؤلاء الآراميين البابليين كانوا يُعرفون باسم الأكاديين . وكانوا هم الناس الذين بنوا المدن وأسسوا حضارة بابل ، أما الساميون فقد دخلوا في أعمالهم فحسب ، وتبنوا منهم نظام الكتابة المسمارية . وكان يعتقد أن لغة الأكاديين أقرب إلى اللغة الإيزيدية من أي لغة أخرى من اللغات الآشورية ، وهذا الأمر دفع الكثير من أعضاء الجمعية الى التأكيد أن الايزيديون إستخدموا أكثر من لغة لكتابة نصوصهم وربما قسّموا النصوص نفسها الى نصوص نارية وأخرى هوائية وأخرى مائية وأخرى ترابية ووضعوا كل منها في لغة كي يصعب الوصول الى ألغازها وعلمها السرّي ..

كان هينكس يدرس في تلك الأثناء بعض النصوص الثنائية اللغة الصغيرة وكان مستعداً لذكر بعض خصائص اللغة الأكادية التي اكتشفت حديثاً في نصّ ايزيدي يتحدث عن قدسية النار . فقد لاحظ في المقام الأول أن الأفعال لم تتغير إطلاقاً في جميع الأشخاص والأعداد ، في حين تشكل الأسماء صيغة الجمع بإضافة آو أو وا كما وجد حروف جر حيث ينبغي لنا أن نستخدم حروف الجر ، وكان هذا يشبه اللغات الطورانية ، وإن كان لم يذهب إلى حد قول رولينسون في تحديد أي من هذه اللغات تبدو الأكادية أقرب إلى بعضها البعض . وبعد عام واحد تخلى هينكس عن اسم الأكادية ، مفضلاً تسميتها باسم مثل الكلدانية القديمة . وكانت هذه آخر مساهماته في التحقيق في النقوش واللغات التي عبرت عنها . وفي الثالث من ديسمبر/كانون الأول 1866 توفي تاركاً وراءه سجلاً خالداً من العمل المضني ، والدراسة الدقيقة ، والخصوبة المذهلة وسعة الحيلة . لقد قدم إسهامات قيمة لا حصر لها لعلم الآشوريات الجديد ربما أكثر من أي شخص آخر من بين مفكي الشفرات الأوائل على الرغم من النقد الذي تعرض لهُ بسبب

تسمية اللغة الآكادية لغة كلدانية . وقد ترك موت هينكس جول أوبيرت قائدًا في العمل على فك خيوط اللغة الجديدة المتشابكة ..

في عام 1869 قرأ أوبيرت ورقة علمية عن أصل الكلدانيين لكي يصل لحقيقة لغتهم ويكمل البحث ، حيث أعطى الاسم الكلداني أو السومري كاسم للغة التي أطلق عليها رولينسون اسم الأكادية . وقد اعتبر الكثيرون أن الاسم السومري أكثر ملاءمة وبدأ استخدامه تدريجياً ، على الرغم من أن الأكادية لا تزال تستخدم من قبل بعض العلماء ، بينما كانت عبارة السومرية الأكادية رائجة لفترة قصيرة . وحتى هذا الوقت كانت دراسة الأكادية أو السومرية تتم إلى حد كبير على أسس تاريخية وجغرافية. ولم تتم دراسة أي نص واحد أو شرحه أو ترجمته حتى عام 1870، عندما خصص الأستاذ أ. هـ. سايس لنقش صغير من دونجي التفسير اللغوي الأكثر تفصيلاً . وقد قورنت الكلمات في الأكادية هنا واحدة تلو الأخرى بكلمات ذات قيمة صوتية مماثلة في أكثر من عشرين لغة ولهجة ، وللمرة الأولى تم التعرف على الكلمات الأكادية المقترضة في الآشورية . وقد مثلت هذه الورقة تقدماً واضحاً في دراسة السومرية ، في نفس الوقت الذي أشارت فيه إلى المكانة التي بلغها أسلافه في الدراسة الجديدة . لقد أثبت سايس أنه خليفة جدير لهينكس في البصيرة اللغوية ، وقد ساهم كثيراً في الدراسة النحوية للغة السومرية وسرعان ما تبعه في هذا أوبيرت ، الذي ساهم بمزيد من المواد النحوية في ورقتين ممتازتين ..

حتى ذلك الوقت لم يجرؤ أحد على تجميع قواعد اللغة السومرية بشكلها الصحيح ، على الرغم من أن المواد كانت تتراكم بسرعة والتداخل يسيطر على اللغة الموجودة في الجنوب والوسط والشمال بطريقة غريبة للغاية من وجهة نظرهم . ولكن في عام 1873 بدأ لينورمانت في إصدار السلسلة الثانية من كتبه عن علم الآشوريات ، وكان الجزء الأول منها يحتوي على قواعد كاملة ومنهجية للغة السومرية ، وفي القسم المتعلق بالصوتيات لاحظ ثلاثة نماذج لكلمة سنجار ، ففي الآرامية كانت سنجارو ، وفي اللهجة المحلية كانت تسمية سنجيري وفي التسمية العامة شنعار ووجد تطابق كامل بين المصطلحات الثلاث على إعتبار أن كلمة سنجيري كانت تعني كنية شخصية وليست إسم للمدينة السومرية في الشمال ..

وفي الجزء الثاني كان مخصصاً للنماذج اللغوية المتداولة في ذلك الحين والتي وصلت الى أكثر من أربعة آلاف نموذج لغوي ، وفي الجزء الثالث كان مخصصاً لقائمة طويلة من العلامات المسمارية ، أما الجزء الرابع والأخير فقد كان مخصصاً لإسم اللغة ، حيث عارض لينورمانت بعلم اسم أوبيرت (السومرية)، ودافع عن الاسم الأقدم (أكادية). وقد حقق الكتاب بأكمله شهرة علمية كبيرة ، وتبعه كتاب آخر في فترة وجيزة من الزمن . ولم يكن لينورمانت مهتماً بشكل مباشر باللغة السومرية ، ولكن في فصلين بعنوان (شعب أكاد) و(النورانيون في بلاد الكلدانيين وفي غرب آسيا) ، عاد إلى الموضوع الصعب ، وقد توصل الآن إلى الرأي القائل بأن اللغة الأكادية ، كما أصر على تسميتها ، يجب تصنيفها ضمن عائلة اللغات الأورالية الألطية واعتبارها نوعاً من مجموعة خاصة ربما مجموعة تمكنت من كتابة نصوص مقدسة بها فقط وكانت هذه المجموعة هي الايزيديون أنفسهم . وفي بعض التفاصيل ، حكم عليها بأنها أقرب إلى اللغة الأوغروفينية وعلى الرغم من كل ما حققه الباحثون الإنجليز والفرنسيون لأنها كانت تضم لهجات

مختلفة في مناطقها (داسن وعين سوفني وتل بلا وبعشيقة وبحزاني وسنجار) ، فإن هذا الموضوع ما زال مليئاً بالصعوبات ، وعندما كتب إيبرهارد شرادر ، الذي أطلق عليه فيما بعد بحق لقب (أب علم الآشوريات في ألمانيا) ، كتابه المهم عن النقوش الآشورية البابلية ، كاد يتجنبه وفي هذا الكتاب لابد وأن يشير إلى اللغة التي ظهرت في العمود الأيسر من المقاطع حيث قسّم الايزيديون لغتهم الى أربعة أعمدة (نارية ، هوائية ، مائية ، ترابية) ، ولكنه لم يتطرق إلى الأسئلة الشائكة التي كانت محل نزاع بين لينورمانت وأوبرت . ولكن بعد عامين ، في مراجعة لكتاب لينورمانت انحاز بشكل قاطع إلى أوبيرت وتبنى اللغة الأكادية بدلاً من السومرية وأبقى عليها كلغة نصوص عند الايزيديين . وفي هذا تبعه تلميذه المتميز فريدريش ديليتش ، الذي ساهم ببعض التوضيحات الإضافية للمقاطع اللغوية الموجودة في تلك النصوص ..

وعندما اقتربت سنة 1873 من نهايتها ، كان العلماء يشعرون بأن المسألة التي حيرت هينكس في سنة 1850 قد حُسمت . وكانوا قادرين على القول بأن جميع العلماء اتفقوا على افتراضين، وهما .. أولاً .. إن طريقة الكتابة المسمارية لم يخترعها البابليون الساميون أو الآشوريون ربما هناك من وضعها قبل ظهور الشعبين . ثانياً.. إنها من اختراع شعب يتحدث لغة تنتمي إلى الأشكال الملتصقة للكلام البشري لغة رمزية ذات معاني يعلمها فقط من يتحدث بها ، وكان هناك بالفعل نزاع لا يزال قائماً حول اسم اللغة الجديدة ، هل ينبغي أن نسميها الأكادية أو السومرية أو الإيزيدية ؟ وكانت هناك أسئلة عديدة تتعلق بطابعها وعمرها وأدبها وتاريخها ، والتي قد تشغل مهارة وصبر الباحثين لفترة طويلة ، ولكن المسألة الرئيسية قد حُسمت لكن أحداً لم ينتبه لها ، وهي أن لايارد عندما زار تل بلا والتقى برجال الدين في بعشيقة وبحزاني كان الكوجك برو أول من التقى لايار الذي أظهر لهُ مخطوطة باللغة المسمارية وجدت في لالش كانت إجابة الكوجك برو أن هذه اللغة هي لغة الخاسين (كائنات خارقة) وهي لغة صفير يفهموها هم فقط وليست للتداول البشري ، وأجاب البيشمام إسماعيل من بحزاني بنفس الجواب لكن ملاحظة لايار لم تكن موضع ثقة وتقدير من اللجان الملكية لدراسة النقوش وأهملت بالفعل على الرغم من أن أجوبة رجال الدين الايزيدي كانت صادقة وحقيقية وتكشف سرّ دوّخ علماء الترجمة لأشكال اللغة المسمارية التي يسميها الايزيديون لغة الصفير وشرّعوا تحريم الصفير على البشر كي لا يشبّهوا أنفسهم بالخاسين والملائكة ..

ولكن يا للأسف على خطورة المبالغة في التأكيد فقط رفضت كل آراء لايارد التي تؤكد أن اللغة المسمارية لغة ايزيدية بحتة ! وبينما كان أوبيرت ولينورمان يتجادلان حول اسم هذه اللغة القديمة ، كان يعيش في باريس مستشرق يدعى جوزيف هاليفي ، وكان يتمتع بمكانة مرموقة كباحث في مجال صعب هو علم النقوش السامية . ولم يكن هاليفي معروفاً على الإطلاق بأنه عالم آشوري على الرغم من أنه إطلع على كل ما كتب عن الموضوع ، ولكنه تابع كل تفاصيل عملية فك رموز اللغة السومرية ، وراقب كل مناقشة لخصائصها النحوية ، ولم يؤمن منذ البداية بوجودها ! وفي العاشر من يوليو 1874، استمعت أكاديمية النقوش إلى أول سلسلة من الأوراق البحثية حول المسألة السومرية . وتبعتها أوراق أخرى في الرابع والعشرين من يوليو والرابع عشر من أغسطس . ناقش هاليفي في هذه الأوراق ثلاثة أسئلة .. أولاً.. إذا سلمنا بوجودها ، فهل تنتمي اللغة الأكادية إلى عائلة اللغات النورانية (الإيزيدية) ؟ ثانياً .. هل

يجوز لنا أن نسلّم بوجود شعب نوراني (إيزيدي) في بابل ؟ ثالثاً .. هل تقدم هذه النصوص الأكادية المزعومة لغة حقيقية متميزة عن الآشورية من حيث قواعدها ، أم أنها مجرد نظام إيديوجرافي للكتابة اخترعه الآشوريون ؟ وكما أشار فايسباخ ، فإن ترتيب هذه الأسئلة غريب وغير منهجي ! كان ينبغي على هاليفي أن يبدأ بالسؤال الثالث من وجهة نظرِهِ ، ثم ينتقل إلى السؤالين الآخرين . ولكن مهما قيل عن الأسلوب ، فلا يمكن أن يكون هناك رأيان بشأن القدرة الكاملة للمناقشة . كان ذهن هاليفي مملوءاً بالتعلم اللغوي والتاريخي والإثنولوجي ، وكان جدلياً متفوقاً على لينورمانت أو أوبيرت ، وكان يتمتع بحماسة المجادل الجاهز في البحث عن أضعف الأماكن في حجج خصومه ومهارة المبارز الماهر في ثقبها . لقد كان من أشد الأعمال جرأة أن يعارض رجل لم يكن معروفاً بعد كعالم آشوري بمفرده القوى العلمية المتحدة في القسم . لقد سعى هاليفي إلى إثبات فرضية لا تقل أهمية عن أن جميع العلماء منذ بداية التحقيق الذي أجراه هينكس ورولينسون قد خُدِعوا . لقد كانت العلامات التي زعموا أنها تمثل مقاطع أو كلمات لغة يتحدث بها أهل بابل في بداية الزمن المسجل بالنسبة له مجرد نتاج خيالي لعقول كهنة آشوريين خصبة . كانت الكتابة المسمارية من اختراع الساميين حسب اعتقاده ، واستخدمها الساميون منذ فترة طويلة ، وكانت الكلمات السومرية التي أطلقوا عليها هذا الاسم مجرد علامات غامضة ، اخترعت بغرض التضليل ، واستخدمت بشكل خاص في التعاويذ أو الصيغ الدينية الايزيدية ! لكن هذا الرأي تم إهماله بسبب النقوش التي تثبت عكس ذلك والتي لم يُسمح لهُ بالإطلاع عليها ..

وعندما نشرت أوراق هاليفي لم يقتنع بها أي عالم آشوري ، ولم يجرؤ سوى كاتب مجهول واحد على قبول استنتاجاته ومن ناحية أخرى ، سرعان ما اندفع كل عالم آشوري معروف شارك في المناقشات السابقة إلى الميدان بأوراق تهاجم مواقف هاليفي أو تدافع عن موقف كان يبدو قبل فترة وجيزة راسخاً لدرجة أنه لا يحتاج إلى دفاع . وفي غضون بضعة أشهر كتب لينورمانت مجلداً كبيراً في المعارضة وفنّد كل آراء هاليفي التي قال عنها أنها نابعة من نظرة دينية ضيقة تتصور أن التاريخ بدأ في العهد القديم فقط ، بينما اكتفى شرادر بورقة قوية وموجزة للغاية . وفي مراجعة لكتاب لينورمانت ، وضع ديليتش نفسه أيضاً في صفهم ، بينما استمر أوبيرت ، الذي عارض هاليفي بكل ما لديه من علم وذكاء ، في الدفاع عن مبادئه الخاصة ضد لينورمانت وشرادر وديليتش لقد أصبحت القضية الآن مترابطة تماماً ، ورغم أن الردود على هاليفي كانت جادة وقادرة بلا شك، إلا أنه يجب القول بحق إنها لم تدفعه إلى ترك الميدان . ولقد رد هاليفي على لينورمانت على الفور ، وبذل الكثير من الجهد للتخفيف من تأثير هجوم ذلك العالم على موقفه . ولم يتفق المدافعون عن وجود اللغة السومرية فيما بينهم على العديد من النقاط ، وحيثما اختلفوا كان هاليفي يعارض بمهارة بعضهم البعض في حجته. وفي عام 1876 قرأ أمام أكاديمية النقوش التي سُمِحَ لهُ برؤيتها ، ثم نشر بعد ذلك ، بحثاً عن الأصل الآشوري للكتابة المسمارية ، حيث عدل آراءه إلى حد ما بعد سؤال حاسم سألهُ أحد الحضور عن 12 عاماً قضاها السيد المسيح في بابل في دراسة العلوم السرية النورانية ووثائق الفاتيكان تؤكد هذا الأمر ، مع إصراره الشديد على أن النظام بأكمله كان سامياً ، ثم أعيد طبع هذا البحث ، جنباً إلى جنب مع النشر السابق في عام 1874، في شكل كتاب ، وبهذا بدأ في كسب بعض المؤيدين لآرائه لكنهم كانوا أقلية ،

وكان أولهم دبليو ديكي وموريتز جرونوالد . وكان هذا على الأقل مكسباً طفيفاً، وشجعه ذلك على المضي قدماً في تقديم حجج جديدة لكنها أكثر إتزاناً وإعترافاً بأن التاريخ أقدم بكثير من رؤيتهِ الضيقة ..

وفي الوقت نفسه ، كانت صفوف أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بوجود اللغة القديمة تتسع وبمرور الوقت ، تقبل العلماء اسم أوبيرت السومرية بدلاً من المسمارية والآكادية لأنها تجمع الإثنين بالإضافة الى الآرامية بشقيها السرياني الجنوبي والسرياني الشمالي ، وكان من أبرزهم تلاميذ ديليتش ، وفريتز هوميل ، وبول هاوبت ، في حين تنازل لينورمانت عن نقطة وأطلق عليها لغة السومريين والأكاديين . وفي عام 1879 ظهر كتاب صغير من تأليف بول هاوبت ، والذي يمكن القول بحق إنه افتتح عصراً جديداً في المناقشة بأكملها بعد أن أكد أن سومر كانت مملكة متحدة وعبارة عن كومنويلث لخمسة ممالك ومن الطبيعي أن يكون فيها لهجات مختلفة للغة أم ،كان

هاوبت في ذلك الوقت شاباً يتمتع بمواهب غير عادية ، وقد أظهر تعامله مع قوانين الأسرة السومرية كيفية التعامل مع نص ثنائي اللغة بطريقة علمية تماماً . لا شك أن هاوبت بذل الكثير لوقف المد الذي كان يهدد بالتوجه نحو موقف هاليفي المعارض لكل ما هو قديم في سومر . ومع ذلك ، في عام 1880، انتقل ستانيسلاس جويارد إلى هاليفي ، وفي عام 1884 انتقل هنري بوجنون ، وكانا أول علماء الآشوريات الذين تبنوا آراءه . وفي الفترة بين هذين التاريخين كان دي سارزيك يواصل أعمال التنقيب في تللو ، في جنوب بابل ، وكان يرسل إلى متحف اللوفر أروع العينات التي اكتشفها . وفي عام 1884 ظهر الجزء الأول من كتابه الذي يحتوي على نسخ من النقوش التي عثر عليها حديثاً والتي تثبت أن الكومنويلث السومري كان يوزع التاج الملكي على الممالك الخمسة كل أربع سنوات (كل أربع سنوات يسمى ملك من مقاطعة من المقاطعات الخمسة لهذا كانت السلالات السومرية مليئة بأسماء الملوك) . ولم يكن هناك أدنى شك لدى علماء السومريات في أن هذه النقوش كتبت باللغة السومرية . فبدأ هاليفي على الفور في تفسير الكلمات الغريبة التي كتبت بها على أنها في الواقع سامية ، وفي عام 1883 ، في المؤتمر الدولي للمستشرقين في ليدن ، قدم ورقة مفصلة للغاية عرض فيها نظريته في أتم صورها وأكثرها علمية . ولم يكن هاليفي مقتنعاً بأن أياً من الحجج التي طرحها كانت خاطئة ، كما لم يكن ظهور آثار دي سارزيك ونقوشه مؤثراً بالنسبة له . بل أصبحت جهوده أكثر جدية ، كما كان دعم جويارد له مليئاً بالحيوية ومع ذلك ، لم تكن القضية تكتسب أي قوة لأن اللجان الملكية كانت تعلم أن السومريةن يسمون الكهنة القادرين على إجتراح المعجزات بالشخصيات الآرية أو الآيرية كونها خارقة ، كانت آراءه في الواقع خاسرة على نطاق أوسع . ولقد كان من الأهمية بمكان أن نجد المدرسة الأحدث من علماء الآشوريات تؤيد بقوة وجهة النظر السومرية وربما لو سُمح له بالإطلاع على كل النقوش لتبنى رأي مختلف . فقد عارض جينسن، الذي عُرِف فيما بعد باعتباره أحد أبرز علماء الآشوريات في عصره ، وجهة نظر هاليفي في أول عمل له ، كما فعل هنريش زيمرن الذي كانت أولى أوراقه ذات أهمية أعظم . كما انضم كارل بيزولد إلى المدرسة الأقدم . ولكن التشجيع من أعلى مستوياته كان حتى ذلك الوقت في يد هاليفي تقريباً . وفي بعض الملاحظات التي أضيفت إلى أول كتاب لزيمرن ، اغتنم ديليتش الفرصة ليتحدث بحماس عن مساهمات

هاليفي المهمة للغاية في هذا الموضوع ، ورغم أنه لم يقف إلى جانبه بعد ، فقد أعلن أن وجهة نظره تستحق فحصاً دقيقاً للغاية . ولقد كان من دواعي سرور المستشرق الفرنسي العظيم أن يفرح بمثل هذا الانضمام الموعود .

فعندما ظهر الجزء الأول من قاموس ديليتش الآشوري ، كانت كل صفحة تحتوي على دليل على أن معركة هاليفي الطويلة الشجاعة قد انتصرت في حالته. لقد انضم ديليتش إلى صفوف المعارضين الأكاديين التي كانت لا تزال ضئيلة العدد ، وعندما ظهرت قواعده الآشورية ، خصص فقرة كاملة لهجوم لاذع على النظرية السومرية . إن انضمام ديليتش إلى هاليفي هو ذروة نظرية هاليفي وسوف يحدث الغد تغييراً كبيراً بسبب مواقف بعض المستشرقين المتدينيين الفرنسيين من الآشوريين الذين كان يُنظر لهم على أنهم شعب محتقر من قبل الكتاب المقدس وأنبياءه ..

هذه النظرة الضيقة بقيت ملازمة للأسف للكثير من المستشرقين الذين كانوا يحاولون إفراغ التاريخ الآشوري من أية قيمة عظيمة في التاريخ على الرغم من أن آشور نفسها كانت جزء من الكومنويلث السومري ، ولقد استقبلت قواعد ديليتش النحوية بحماس ، ولكن الفقرة المعادية للسومرية تعرضت لمعاملة قاسية من جانب منتقديها. وعلى نحو مماثل ، قوبل موقف القاموس المعادي للسومرية بانتقادات أشارت إلى أن حتى اسم ديليتش العظيم لم يكن كافياً لزيادة الثقة في قضية هاليفي بل . وقد احتج سايس ، في مراجعة لا تقل روعة عن مدى معرفتها بروحها العلمية ، على أسلوب ديليتش . وفي كتاب كبير خصصه لنقوش أحد ملوك آشور الراحلين ، خصص ليمان فصلاً كاملاً للقضية السومرية التي كانت تشكل محور رسائل متبادلة بين الملوك الآشوريين وملوك سومر . وفي هذا الكتاب عولج الموضوع برمته بنضارة وقدرة لم تترك الكثير مما هو مرغوب فيه . ورغم توجيه بعض الانتقادات البسيطة إليه ، فإن أحداً غير هاليفي لم يجرؤ على إنكار أن هذا الكتاب يمثل خطوة إلى الأمام في عملية هدم نظرياته المعقدة ..

في نفس العام الذي ظهرت فيه قواعد ديليتش ، توصل بيزولد إلى اكتشاف رائع عندما وجد على لوح آشوري اللغة السومرية المذكورة . وفي إعلانه عن هذه الحقيقة الجديدة ، كتب بيزولد ساخراً ، طالباً من هاليفي أن يسمح للغة بالبقاء ، كما ذكرها الآشوريون بالاسم . ولكن وراء هذه العبارة الفكاهية تكمن نغمة هادئة من الاعتراف بأن الإشارة كانت مهمة فقد كانت عبارة عن مراسلات بين الآشوريين والسومريين باللغة الآكدية وليست السريانية أو الآرامية أو لغة أخرى وكان ذلك بمثابة صدمة لهم ، وكانت حاسمة فيما يتصل بالمسألة الرئيسية . ففي كل شهر تقريباً بعد عام 1892 كان هناك بعض المواد الجديدة التي تستحق النظر فيها وربطها بالمسألة التي كانت محل جدال دائم . وكانت الاكتشافات الجديدة التي توصل إليها دي سارزيك ، والنتائج الرائعة التي حققتها الحملة الأمريكية إلى نيبور ، وتحرير النصوص التي عثر عليها المستكشفون السابقون . كل هذا كان له بعض الصلة بالمسألة السومرية. وفي عام 1897، تخلى البروفيسور ديليتش ، تحت وطأة الأدلة الجديدة ، عن جانب هاليفي وتحالف مرة أخرى مع علماء السومرية ، لقد كان هاليفي مكسباً عظيماً رغم ضيق فكرته عن المسألة ، ولكنه كان الآن خسارة أعظم ، وعلى الرغم من كسب هاليفي آخرين إلى جانبه ، ولكن لم يكن أحد منهم يحمل اسماً شهيراً مثله بل كانوا رجال دين ملتزمون بالكتاب المقدس . لقد كانت المدرسة التي أسسها في حالة من الاضمحلال بسبب تعصبها الأعمى ضد الآشوريين . ورغم أن المناقشة كانت لا تزال مستمرة ، إلا أنها لم تعد بنفس الحدة بسبب بطلان أدلتها بعد

ظهور المراسلات بين الملوك في الكومنويلث السومري باللغة الأكدية . وعاماً بعد عام ، أصبح السؤال أقل فأقل .. هل كانت هناك لغة سومرية ؟ هل كان هناك سومريون ؟ ، وأصبح أكثر فأكثر .. ما هي اللغة السومرية ؟ من هم السومريون ؟ . ويبدو أن كل عام يبرر هينكس ورولينسون وأوبرت ، الأساتذة العظام الذين وضعوا الأساس لهذا المجال المثمر على نحو متزايد قاد الى إكتشاف العقيدة الشمسانية الحيّة للدولة السومرية كدين رسمي لهذا كانت المخطوطات المهمة توضع في لالش ..

إن تاريخ دراسة النقوش المسمارية معقد بسبب عدد اللغات المختلفة التي استخدمت الحروف المسمارية . لقد أظهرنا بالفعل أن النقوش المسمارية في لالش وتل بلا كانت مكتوبة باللغات الأكادية والأرامية والآشورية ، كما عرضنا بالتفصيل المناقشة الطويلة حول مسألة السومرية ، وهي لغة أخرى كتبت أيضاً بالحروف المسمارية . إن استخدام أربعة شعوب مختلفة للحروف المسمارية قد يجعل العقل يهيئ لقبول القول بأن شعباً آخر كتب لغته بنفس الطريقة إضيف لها شعب خامس بعد إكتشاف ألواح حاران عن المدرسة الأورفية الايزيدية التي أسسها نبو نيد ..

لقد احتفظ الأرمن لنا ضمن تقاليدهم عن سميراميس بتصريح مفاده أنها كانت قد قررت ذات يوم بناء مدينة جديدة في أرمينيا لتكون مكاناً للإقامة الصيفية . وعندما رأت جمال البلاد ، ونقاء الهواء ، وصفاء ينابيع المياه ، وخرير الأنهار المتدفقة بسرعة ، قالت (في مثل هذا الهواء اللطيف ، ووسط هذا الجمال من المياه والأرض ، يجب أن نبني مدينة ومقراً ملكياً حتى نتمكن من قضاء ربع العام ، وهو الصيف ، في راحة أرمينيا ، والأرباع الثلاثة الأخرى ، أثناء الطقس البارد ، في آشور) وحتى في وقت متأخر من هذا القرن ، وجد العلماء اسم سميراميس مليئاً بالغموض والجاذبية وربما تكون هي نفسها أنانا (عشتار) التي أطلق آشور على مدينته نينوى بأم الربيعين بسبب ربيعها الطبيعي وربيع زيارة الملكة الى ربوع آشور ، وكانوا حريصين على معرفة المزيد عن أعمالها العظيمة. وفي نهاية شهر يونيو 1827، غادر الأب إد شولتز أرضروم مصمماً على تحمل أي خسارة في الجهود المبذولة للعثور على مدينة سميراميس الصيفية . لا داعي للقول إنه لم يجده ، ولكن مثل العديد من الباحثين الآخرين ، وجد شيئًا أكثر أهمية . بينما كان يسير على طول حدود بحيرة فان ، التي كانت غير معروفة تقريباً للأوروبيين آنذاك ، توقف عند بوابات مدينة فان الرائعة وبدأ البحث بين بقايا عظمتها السابقة . تحت قلعة فان العظيمة وجد غرفة صغيرة يمكن الوصول إليها من خلال مجموعة من عشرين درجة . فوق هذه الدرجات وجد نقوشاً بالخط المسماري منحوتة على وجه الصخرة الصلبة . بعد أن تم نسخها بعناية بحث في أماكن أخرى وكان مكافأته باكتشاف المزيد . في أماكن أخرى في الجوار وجد المزيد ، حتى نسخ ما لا يقل عن اثنين وأربعين نقشاً. ولقد اغتيل شولتز بعد أن صرّح بأن ديانة الأرمن الحقيقية هي نفسها الايزيدية قبل وصول المسيحية اليها والنقوش تؤكد ذلك ، وعندما استُعيدت أوراقه وأُحضِرت إلى باريس ، أعيدت طباعة النقوش على نحو رائع بالطباعة الحجرية ويُعترف بها حتى اليوم على أنها دليل على شمسانية الأرمن الذين كانت حدودهم مباشرة مع آشور قبل ظهور العثمانيين ، ونشرت في عام 1840. وفي ذلك الوقت كانت عملية فك رموز اللغة الأكادية قد بدأت بالفعل ، وكذلك الأمر بالنسبة للغة الآشورية ، ولكن لم يتمكن أحد من قراءة النقوش الجديدة التي ضحى شولتز بحياته من أجلها سوى شخصيتين تنتميان للمجمع

الملكي كانت تجيد تفسير النقوش . لقد كانت نسخها جيدة للغاية ، إذا ما وضعنا في الاعتبار الصعوبات التي واجهتها ، ولكن بمجرد محاولة فك رموزها توضّحت حقائق جديدة عن ديانة جورجيا وأرمينيا قبل المسيحية ، نشأت الشكوك حول دقتها . وسرعان ما تبين أن ثلاثة من النقوش كتبها زركسيس ، وكانت باللغة الأكادية والآشورية والبابلية ، ولكن النقوش التسعة والثلاثين الباقية كانت مكتوبة بلغة مختلفة وتمثل لهجة محلية في آشور . وفي عام 1840 عثر الكابتن فون مولباخ على نقش بهذه اللغة نفسها بالقرب من إيسوغلو ، على نهر الفرات ، على بعد مائتين وخمسين ميلاً إلى الغرب من مدينة فان . ولقد ظهرت النسخ التي كتبها شولتز ، فضلاً عن هذا النص الجديد ، أمام أعين جروتفيند في الوقت المناسب ، وكان سريعاً في إدراك أن هذه النسخ لا تنتمي إلى ملوك آشوريين لكنها كانت ماردينية كما سماها . وكان لهذا الاستنتاج السلبي بعض الأهمية باعتباره دليلاً إرشادياً على الأقل ، ولكن جروتفيند لم يتمكن من المضي إلى أبعد من ذلك. وفي عام 1847 عثر السير أ. هـ. لايارد على نقش آخر من نفس النوع في بالو وأكد أن سكان تل بلا يتحدثون نفس اللهجة الأكدية التي وجدت في الألواح والنقوش في إشارة الى بعشيقة وبحزاني وعين سوفني ، وجد لايارد هذا النقش على الضفة الشرقية لنهر الفرات على بعد نحو مائة وثمانين ميلاً من فان . وكان من الواضح الآن أن هذه اللغة الجديدة تنتمي إلى شعب ذي أهمية في العالم القديم ، وكانت حضارته أو سيطرته تمتد على مساحة كبيرة من الأرض لأنها موجودة حتى في مدن عثمانية وشامية ولبنانية وفي أور سالم ومناطق من الأردن ..

ولقد كانت هذه الحقائق سبباً في استدعاء رجل قادر على فك رموز السجلات وترجمتها ووضع قواعد نحوية للغة التي كتبت بها . ومن ذا الذي قد يحاول حل هذه المشكلة الجديدة سوى ذلك الخبير الرائع في فك رموز اللغات الغريبة ، الدكتور إدوارد هينكس ؟ ولقد قُرئت ورقتان كتبهما هينكس أمام الجمعية الملكية الآسيوية في الرابع من ديسمبر/كانون الأول 1847 والرابع من مارس/آذار 1848. وفي هاتين الورقتين حدد هينكس بشكل صحيح معنى عدد كبير من الحروف التي يستخدمها الناطقين بما سماها المسمارية الشمالية (الآكادية) ، ووجد معنى بعض الرموز مثل (الناس) و(المدينة) ودلالات العديد من الكلمات التي تختلف في التلفظ حيث كانت كلمة ناس تلفظ (نيس) وكلمة مدينة تلفظ (زيعة أو ضيعة) . كما تمكن من إثبات أن نهاية المفرد والجمع للأسماء الاسمية هي (س) ، بينما تنتهي حالة النصب بـ (ن) . وبهذا أدرك أن اللغة إيزيدية أقدم بكثير من باقي اللغات التي ظهرت الى السطح ، ثم أكد خطأ إعتقاده بأنها لغة هندو أوروبية ، أو آرية ، كما أسماها . لقد قرأ أسماء الملوك على أنها نيريدوريس (نيري درويش) ، وسلكوينا (سلكو عينا) ، وكينواس (كُني نوّاس) ، وأراسنيس (عاراس نيس) ، ولكنه سرعان ما صححها إلى ميليدوريس (ملو درويش)، وإشبوينيش (عشبو ايميش) ، ومينواس (منو نوّاس) ، وأرجيسنيس (عارجيس نيس) ، حيث كان الخطأ ، وخاصة في الاسم الأول ، طفيفاً للغاية . ومن الصعب المبالغة في أهمية هذا العمل ، ولكن قد نكتسب بعض فكرة عن قيمته من خلال مقارنته بملاحظة رولينسون حول هذا الموضوع والتي نُشرت بعد عامين . يقول رولينسون .. من المعروف أن هناك سلسلة من النقوش التي عثر عليها في فان وفي المناطق المجاورة . وأنا أسمي هذه النقوش آرامية . وهي مكتوبة بنفس الأبجدية التي كانت مستخدمة في

آشور ، ولكنها مؤلفة بلغة مختلفة . وهي لغة في واقع الأمر، رغم أنها تبنت العديد من الكلمات من الآشورية ، إلا أنني أعتقد أنها تنتمي جذرياً إلى عائلة أخرى ، وهي الآرامية ، وهناك ستة ملوك من سلالة الآراميين يتبعون سلالة من النسب المباشر للايزيديين ، وأنا أقرأ أسماءهم على النحو التالي: أولاً.. أتوبيرو(عتو برو) ثانياً.. أرومينو(عرو منو) ثالثاً.. إسيوينو (عيسو عينو) رابعاً.. مانوآو(مانو عوو) خامساً.. أرتسيمو(عرتي سيمو) سادساً.. أريدورو (عاريد ورو) . وفي قراءة هذه الأسماء يتخلف رولينسون بشكل واضح عن هينكس ، لأنه كان دائماً أقل حرصاً في معالجة التفاصيل اللغوية الدقيقة ..

ولم يخلف هينكس في مهمة فك الرموز طيلة سنوات طويلة . ولكن كل بضع سنوات كان يتم العثور على نقوش جديدة مكتوبة باللغة نفسها في ماردين ومارسين وزاخو وديربون ، وكان كل منها يزيد بطبيعة الحال من احتمالات نجاح الجهود المبذولة بعد فك الرموز التي كانت بنفس اللهجة الآكادية . وفي عام 1871 تولى لينورمانت المهمة التي وضعها هينكس ورولينسون . وكانت طريقته علمية ومثل كل أعماله كانت علمية وبحثية . فقد رسم أولاً التاريخ المبكر للسومريين والتاريخ المتأخر للمملكة الذي وصل أبعد من وان وماردين وحاران التي كانت جزء من المملكة السومرية ، كما تعلم الخطوط العريضة له من النقوش الآشورية . وكان هذا هو الأساس التاريخي لعمله ، وكان يأمل من ذلك أن يستخرج مادة جغرافية مفيدة قد تساعد في تأمين الأسماء في النقوش الفانيكية . واقترح تسمية اللغة الإيزيدية على الخط ، وزعم أنها ليست آرية ، وأن أقرب ممثل حديث لها هو اللغة الجورجية. وأشار إلى أن (بي) هي نهاية الفعل المفرد المتكلم ، وأن باروبي تعني حملت وكلمات كثيرة أخرى تثير الاهتمام ..

وفي العام التالي هاجم الدكتور أ. د. موردتمان المسألة ، ثم عاد إليها بعد خمس سنوات بعد إعترافه بالخطأ . وقد حدد معنى اثنتي عشرة كلمة جديدة تنتمي للغة الايزيدية المكتوبة بخط مسماري في وان ، وقدم تحليلاً قيماً للغاية لجميع النقوش ، ولكنه لم ينجح في ترجمة أي منها لأنها كانت رموز أكثر مما هي لغة . ومع ذلك فقد حقق مكسباً بسيطاً. وكان المفسّرون التاليون هم الدكتور لويس دي روبرت (1876)، الذي تخلى عمداً عن كل ما اكتسبه هينكس ورولينسون ولينورمانت وموردتمان ، وانطلق من جديد على طريق خاطئ تماماً . فقد حاول أن يُظهِر أن النقوش كتبت بلغة آشور . وكانت النتيجة لا شيء ، وكان لزاماً على العامل التالي أن يعود إلى أساليب الأساتذة القدامى . وفي غضون ذلك كانت النقوش الجديدة تظهر باستمرار . فقد عثر السير أ. هـ. لايارد على دروع برونزية تحمل اسم روساس ورسوم تنتمي للطقوس الايزيدية ، كما كشفت الحفريات التي أجراها هرمزد راسام بالقرب من بحيرة فان عن المزيد من الأشياء البرونزية المنقوشة باللغة المسمارية . كما وضع لايارد أساساً أكثر رسوخاً للعمل المستقبلي بإعادة نسخ جميع النقوش التي ضحى شولتز بحياته من أجلها بدقة أكبر لكن أغلب آراء لايارد تم إخفاءها . ففي التاسع من إبريل/نيسان 1880، قدم السيد ستانيسلاس جويارد إلى الجمعية الآسيوية في باريس183 (بعض الملاحظات على النقوش المسمارية في فان). وقد لاحظ في نهاية عدد كبير من النقوش عبارة وردت فيها كلمة (لوح). وتذكر أن النقوش الآشورية كانت تنتهي غالباً بصيغة لعن ، تنهال باللعنات على كل من يحاول تدمير هذا اللوح أو الإقتراب منه ، واقترح أن هذه الصيغة هي نفسها تماماً لغة من طمر الألواح بطرق فلكية لا يمكن فك رموزها إلاّ

بالخضوع للتواقيت الشمسانية الشرقية التي إعتمدها الايزيديون عبر تاريخهم الطويل . وعندما اختبر هذا الدليل الجديد ، وجد أن الكلمات التي تم التوصل إليها بهذه الطريقة تبدو مناسبة تماماً لمقاطع أخرى في ألواح أخرى ، وبدا أن تخمينه قد تأكد بذلك بشأن العبقرية التي وقفت خلف إخفاء الألواح بطرق فلكية ورموز سرّية تشبه الشفرات لمن يحاول فك طلاسمها ..

ومن الغريب أن نفس الدليل الذي اتبعه جايارد كان قد اكتشفه أيضاً بشكل مستقل البروفيسور أ. هـ. سايس، الذي كان يعمل لعدة سنوات على هذه النصوص الايزيدية . ولحسن الحظ ، اكتشف عددًا أكبر من الكلمات مما اكتشفه جايارد تتطابق ، وتمكن من المضي قدمًا بشكل أسرع وأفضل . كانت الكلمات التي بدأ بها شرح طريقته للجمعية الملكية الآسيوية قوية ، لكن الجميع كانوا على حق في القضية. يقول .. (لقد أظهرت لي الصور الرمزية التي استخدمها الكتبة الايزيديون بحرية أن الحروف والأسلوب والعبارات المستخدمة في النقوش كانت من نفس النصوص الايزيدية في عهد آشور ناصر بال وشلمنصر الثاني . لذا ، أعتقد أنني تمكنت أخيراً من حل مشكلة النقوش الايزيدية ونجحت في فك رموزها ، وبالتالي تجميع قواعد اللغة والمفردات الخاصة باللغة التي كتبت بها) .

ونظراً لعدد النصوص التي كانت تنتهي بالرقم 40 ، وتمسكها الوثيق بنماذجها الآدانية ، والاستخدام الواسع للصور الرمزية عن الشمس والقمر والطاوس والثعبان ، فسوف نجد أن المقاطع والكلمات التي لا تزال تقاوم الترجمة قليلة ، وأن غموضها في بعض الحالات ناتج حقًّا عن عدم موثوقية النسخ التي نمتلكها منها ، وإتفق الإثنان في طرح فكرة أن لالش كانت تمثل فاتيكان العالم السومري لهذا تم خزن كل المخطوطات فيها ..

لقد بدأ البحث الطويل الذي أعقب هذه الآراء بمسح جغرافي وتاريخ ولاهوت الشعب الإيزيدي ، مستمداً إلى حد كبير من المصادر الآشورية ، لكنه اختبر وتوسع في المصادر الأصلية التي فك رموزها للتو الى مدى أوسع . بعد ذلك ، أعقب ذلك وصف لطريقة الكتابة عند الايزيديين ، ومخطط لقواعد اللغة التي كانوا يستخدمونها ، وتحليل ، وترجمة للنقوش الايزيدية .

لقد كان عملاً رائعاً لهذا الفريق ومدهشاً في الجمع اللغوي فكل من ميلر النمساوي وغايارد وسايس شكلوا إضاءات رائعة للجان التي كانت تبحث في خفايا النقوش ولاهوتها وطقوسها ، وقد تم حل لغز النقوش في فان. وعندما تظهر نصوص جديدة باللغة نفسها ، فقد يتجادل الناس حول اسم اللغة ما إذا كان ينبغي أن نسميها إيزيدية أو أكادية أو كلدانية ، لكنهم على الأقل سيكونون قادرين على قراءتها وتفسير رموزها بالشكل السليم ..

وهكذا كانت مسألة لغة فان حتى عام 1892، عندما بدأ الدكتور سي. إف. ليمان سلسلة من الدراسات على النقوش التي فكها سايس ، ساعياً إلى تحديد مجموعة من الأسئلة التاريخية والجغرافية التي نشأت عنها عن كثب بعد تلك الحقائق التي توصلوا لها ، وقد أثبت أولاً أن الأشخاص الذين كتبوا العديد من هذه النصوص كانوا نفس الأشخاص الإيزيديين أو من نفس الطبقة الدينية ، ولذلك كان من المقرر أن تسمى اللغة الإيزيدية ، وتم توضيح مشكلة أخرى . ابتداءاً من عام 1895، نشر الدكتور فالديمار بيلك والدكتور سي. إف. ليمان سلسلة من الأوراق ذات الدقة الكبيرة ، والتي تناولت تاريخ حياة هذا الشعب القديم ، الذي أعيد بهذه الطريقة إلى المعرفة الحالية ،

وتوضيح العديد من النقاط التي طرحها سايس سابقاً بشكل غامض أو غير صحيح . وفي متابعة للدراسات التي بدأت بهذه الطريقة ، غادر الدكتوران بيلك وليمان برلين في صيف عام 1898 في رحلة عبر روسيا وأرمينيا للبحث هناك عن تواجد فعلي للايزيديين ، لقد زاروا مدينة فان وقاموا بجمع كل النقوش التي عثر عليها شولتز وآخرون بعناية وتأكدوا من أنها كانت مدينة ايزيدية بحتى تدين بالشمسانية ، ووجدوا نصوصاً جديدة أهملها كل من سبقوهم تتعلق بقدسية الأربعاء . كما عثروا على نقوش جديدة لملوك آشور تعاقب بعض المتمردين على من تجاوزا قدسية الأربعاء والطقوس الايزيدية ، وخاصة تغلث فلاصر الأول وشلمنصر الثاني ، وبفضل هذه النقوش أيضاً زادت معرفتنا بالتاريخ الايزيدي . والآن أصبحت نتائج هذه الرحلة الاستكشافية القيمة معروفة ، ويمكن اعتبارها الحدث الختامي في تاريخ فك رموز النقوش الفانية ولكنهم طرحوا أسئلة بقيت ماثلة الى يومنا وهي ..

هل يُعقل أن شعباً بسيطاً كالذي شاهدناه إمتلك ناصية حضارة عظيمة ذات يوم ؟

لمتاذا تختلف لهجاتهم اللغوية من مكان لآخر ؟

لماذا تختلف ملابسهم من مكان لآخر ؟

لماذا يرتدون الأبيض عند زيارتهم الى لالش ؟

ولماذا هناك من يرتدي الزي الأسود بينهم ؟

لماذا قسّموا أنفسهم الى طبقات ؟ وحرّموا التزاوج فيما بينهم ؟

لماذا كان حرام على نبو خذ نصر الزواج من البابليات وإختار زوجة من الشمال من نفس طبقتهِ ؟

كانت تلك الأسئلة تحيّر من تعمق في قراءة تلك النقوش وهناك من مات من العلماء والمستكشفين وهو يتلوذ الحسرة في الإجابة على تلك التساؤلات ..

الفصل الثالث

الفلسفة والدين في آشور

إن ديانة الآشوريين كانت تشبه إلى حد كبير على الأقل في مظهرها الخارجي الذي لا نستطيع أن نتصوره إلا من خلاله ديانة الكلدانيين الأوائل هي الديانة الشمسانية ، حتى أنه لن يكون من الضروري بعد المعالجة الكاملة التي تلقاها هذا الموضوع في جزء سابق من هذا العمل ، أن نكتفي هنا بملاحظة بعض الخصائص التي تجعل عبادة آشور للملك شيسن تتميز عن عبادة البلاد المجاورة والمتصلة بها ارتباطاً وثيقاً . وباستثناء أن الإله الأول في البانتيون البابلي شيشمس حل محله إله متميز ووطني تماماً في البانتيون الآشوري وهو شيسن ، وأن بعض الآلهة التي كانت لها مكانة بارزة في الأول احتلت مكانة أدنى في الثاني مثل معبد ايزيدا ، فإن النظامين الدينيين يمكن أن نعلن أنهما ليسا متشابهين فحسب ، بل متطابقين . فكل منهما دون أي توحيد حقيقي يبدأ بنفس تفوق إله واحد ، يليه نفس التجمعات من نفس الآلهة المتطابقة ، وبعد ذلك ، يأتي تعدد الآلهة المتعدد ، الذي يتسم في الأساس بطابع محلي . إن كل بلد ، على حد ما نستطيع أن نرى، لديه نفس المعابد والمذابح والطقوس من نفس النوع تقريبًا ، نفس الرموز الدينية الايزيدية ، نفس الأفكار . والفرق الوحيد هنا هو أنه في آشور يوجد دليل أوسع على ما كان مادياً في النظام الديني ، وتمثيلات أكثر وفرة لأشياء وأساليب العبادة ، بحيث يصبح من الممكن ، عن طريق الرسوم التوضيحية، تقديم صورة أكثر وضوحاً للظواهر الخارجية لدين الآشوريين من ندرة البقايا المسموح بها في حالة الكلدانيين الأوائل ..

كان الإله الأعظم يقف على رأس البانثيون الآشوري هو آدي ، وكان يطلق عليه عادة لقب (الرب الأعظم) ، أو (ملك كل الآلهة) ، أو (الحاكم الأعلى على الآلهة) . وفي بعض الأحيان يطلق عليه لقب (أبو الآلهة) ، وإن كان هذا اللقب هو الأنسب لآدي . وكان مكانه دائماً في المقام الأول في الدعاء لكن كان يتم تجنب ذكره سوى باللغة الآكادية وفي مراسلات الملوك ، وكان يُنظَر إليه في جميع النقوش الآشورية باعتباره الإله الوصي الخاص على الملوك والبلاد والعباد . وكان يضع الملوك على عرشهم ، ويثبتهم في الحكم ، ويطيل سنوات حكمهم ، ويحافظ على قوتهم ، ويحمي حصونهم وجيوشهم ، ويجعل اسمهم مشهوراً ، وما إلى ذلك ، وكانوا ينظرون إليه ليمنحهم النصر على أعدائهم ، ويحقق لهم كل رغبات قلوبهم ، ويسمح لهم بأن يخلفهم على عروشهم أبناؤهم وأبناء أبنائهم ، إلى أجيال بعيدة . وكانت عبارتهم المعتادة عند الحديث عنه هي (آدي سيدي) . وكانوا يصورون أنفسهم وكأنهم يقضون حياتهم في خدمتهِ ..

وكان أغلب الملوك يلقبون أنفسهم بخادم آدي على الرغم من أن ترجمة بعض النقوش وضعت كلمة آدد بدلاً من آدي ..

إن الآلهة الآشورية كانت تحارب من أجل نشر عبادته . فكانوا يحاربون ويخربون ويدمرون باسمه . وأخيراً عندما يخضعون بلداً ما ، فإنهم يحرصون على (إقامة شعارات آشور) وتعليم الناس قوانينه وعبادته . إن وصاية آدي على آشور تتميز بوضوح بالتطابق بين اسمه واسم البلد هكذا صور الملوك الآشوريون وصايا آدي ، والذي كان كاملاً في الأصل . كما تشير إلى ذلك الحقيقة الغريبة المتمثلة في أنه على عكس الآلهة الأخرى ، لم يكن لآدي معبد أو ضريح سيئ السمعة في أي مدينة معينة من آشور كان محرّماً وجود معبد لهُ بإستثناء لالش ، وهي علامة على أن عبادته كانت منتشرة بالتساوي في جميع أنحاء البلاد دون معابد ، ولم تكن محلية إلى حد ما بل تتجاوز الحدود الآشورية وباعتباره الإله الوطني ، فقد أعطى الاسم البركة للعاصمة الأصلية نينوى ، ولكن حتى في آشور (كيلة شرقات) قد يكون هناك شك في وجود أي مبنى خاص به . لذلك فمن المعقول أن نفترض أن جميع الأضرحة في جميع أنحاء آشور كانت مفتوحة لعبادة آدي مهما كانت مسمياتها فأي إله ثانوي قد يكون مكرساً له ..

في النقوش الآشورية يُوصَف الآشوريون باستمرار بأنهم (خدم آدي) ، وأعداؤهم بأنهم (أعداء آدي) . والدين الآشوري هو (عبادة الشمس) . ولا تُستخدم عبارات مماثلة فيما يتصل بأي من آلهة البانثيون الأخرى . ولا نستطيع أن نشك في أن الإله آدي كان في الأصل السلف الأعظم للجنس البشري حسب النقوش التي إستخرجت من لالش وتل بلا وتل النبي يونس وتلك التي إستخرجت من تلال بابل ، وأن آشور ، ابن سين ، ابن أنليل ، ابن آدي (التسمية هنا رمزية ولا يقصد ابن جيني) قد تم تأليهه . ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يضيع هذا المفهوم ، وأصبح آشور يُنظَر إليه ببساطة باعتباره كائناً سماوياً فما بالنا بالإله أنليل والإله شيسن والإله آدي ؟ أول وأعلى الوكلاء الإلهيين الذين حكموا السماء والأرض . من الدلالة على الطابع الرفيع (مقارنةً) للتعددية الإلهية الآشورية أن هذا الإله المجيد والرهيب استمر من البداية إلى النهاية كموضوع رئيسي للعبادة ، ولم يحل محله في أفكار البشر الآلهة الأدنى والأكثر قابلية للفهم ، مثل شماس (شيشمس) وسين (شيسين) ، والشمس والقمر ، وناسردين إله الحرب ، وسيجادين إله الصيد ، أو طاوسملك حامل الصاعقة كما تصفه المخطوطات الآشورية . كان الرمز المفضل الذي يبدو أن الآشوريين مثلوا به آدي في أعمالهم الفنية هو الدائرة المجنحة أو الكرة الأرضية ، والتي غالباً ما يُرى منها شخصية ترتدي قبعة ذات نور شمساني ، وأحياناً تحمل قوساً ببساطة ، وأحياناً أخرى تطلق سهامها ضد أعداء الآشوريين . تم تفسير هذا الرمز بشكل مختلف ، لكن التخمين الأكثر ترجيحاً يبدو أنه أن الدائرة تجسد الخلود ، بينما تعبر الأجنحة عن الوجود في كل مكان ، ويرمز الشكل البشري إلى الحكمة أو الذكاء . يظهر الشعار في أشكال عديدة . في بعض الأحيان لا يحمل الشكل الصادر منه قوساً ، ويُصوَّر وكأنه يمد يده اليمنى ببساطة ، وفي بعض الأحيان تكون كلتا اليدين ممدودتين ، وتمسك اليد اليسرى بخاتم أو إكليل . في إحدى الحالات ، نرى تبايناً ملحوظاً للغاية حيث يتم استبدال الشكل البشري الكامل بزوج من اليدين ، يبدو أنهما يأتيان من خلف القرص المجنح ، فاليد اليمنى مفتوحة وتعرض راحة اليد ، واليسرى مغلقة وتحمل قوساً . في عدد كبير من الحالات يتم الاستغناء عن جميع علامات الشخص ، حيث تظهر الدائرة المجنحة وحدها ، مع القرص إما عادياً أو مزخرفاً . من

ناحية أخرى ، هناك حالة أو حالتان حيث يعرض الشعار ثلاثة رؤوس بشرية بدلاً من رأس واحد ، الشكل المركزي له على جانبيه رأس يبدو أنه يرتكز على ريش الجناح ..

إن رأي بعض النقاد من الذين ترجموا نقوش لالش والمستخرجة من نينوى استناداً إلى هذا الشكل من الشعار ، هو أن الإله الأعلى للآشوريين وكان يُحرّم ذكر إسمه دون أن يكون الشخص طاهراً ونقياً ومستقيماً ، والذي يبدو أن الدائرة المجنحة تمثله دائماً ، كان في الواقع إلهاً ثلاثياً . لا شك أن الشكل البشري الثلاثي رائع للغاية ، ويضفي لوناً على هذا التخمين ، ولكن نظراً لأنه لا يوجد شيء على الإطلاق ، سواء في تصريحات السومريين القدماء أو في النقوش الآشورية بقدر ما تم فك شفرتها يؤكد هذا الافتراض فمن الصعب إختراقهِ باعتباره التفسير الحقيقي للظاهرة التي تمثل ثالوث مقدس مؤلف من (آدي ، وطاوسي ملك ، وايزيد) . يبدو أن عقيدة الثالوث ، التي أدركها السومريون القدماء بوضوح كانت واحدة من تلك التي أعلنها الوحي البدائي في جميع أنحاء العالم الشمساني إنه التنوير الكامل الذي يجد ثالوثاً في آدي وإيزيدا وطاوسي ملك . هناك الكثير من الثالوث في الأساطير القديمة ، ولكن لا يوجد ثالوث حقيقي . ولكن حالة آشور هي حالة وحدة بسيطة تمتد من بداية الخليقة في الجنة التي أطلق السومريون عليها الجنة الآدانية ، فهو لا يُدرج بانتظام في أي ثالوث . ومع ذلك ، فمن الممكن أن يظهر لنا الشكل الثلاثي في تركيبة مؤقتة مع إلهين آخرين ، وقد يتم تمثيلهما بشكل استثنائي بهذه الطريقة بدلاً من رموزهما المعتادة . أو قد تكون الرؤوس الثلاثة مجرد مبالغة في مبدأ التكرار الذي يؤدي غالباً إلى تمثيل مزدوج لملك أو إله ، والذي يُرى في بابل في التكرار الثلاثي لرمز مقدس آخر ، وهو القبة المخروطية ..

ومن الملاحظ أن الدائرة المجنحة نادراً ما نجدها في المنحوتات إلا في ارتباط مباشر بالملك . فالملك العظيم يرتديها مطرزة على ثيابه ، ويحملها محفورة على أسطوانته ، ويمثلها فوق رأسه في الألواح الصخرية التي ينحت صورته عليها ، ويقف أو يركع أمامها في عبادة ، ويقاتل تحت ظلها، ويعود منتصراً تحت حمايتها ، ويضعها بشكل واضح في المشاهد التي يصور فيها نفسه على مسلته ، وفي هذه التمثيلات المختلفة يجعل الشعار متوافقاً إلى حد كبير مع الظروف التي يشارك فيها هو نفسه في ذلك الوقت . فعندما يقاتل ، يضع آشور سهمه على الوتر ، ويوجهه ضد خصوم الملك . وعندما يعود من النصر، وقوسه المهجور في يده اليسرى ويده اليمنى ممدودة ومرفوعة ، يتخذ آشور نفس الموقف . وفي المشاهد السلمية يختفي القوس تماماً . وإذا سجد الملك ، يمد الإله يده للمساعدة ، إذا كان منخرطاً في الفنون الدنيوية ، يُعتقد أن الوجود الإلهي يتميز بشكل كافٍ بالدائرة والأجنحة دون الشكل البشري لكن ما لا يعلمه أغلب علماء الآثار أن رجال الكهنة كان لهم ملابسهم الخاصة والملوك أيضاً حيث يتم خياطتها وتطريزها ونقشها وفق طقوس خاصة تقام عليها أدعية متعلقة بها كما أنها كانت توضع في المياه عندما يكتمل القمر ليلة كاملة بعدها يتمكن من إرتدائها ..

إن أحد الرموز التي نجدها في ارتباط متكرر برمز آدي إلى الحد الذي يجعلنا نعتقد أن هذا الرمز كان مرتبطاً بشكل خاص بعبادة الشمس ، هو الشجرة المقدسة الايزيدية أو الرمزية التي تمثلها ، ومثل الدائرة المجنحة لدى الإيزيديين ، فإن هذا الرمز له أشكال مختلفة ، وأبسطها يتكون من عمود قصير ينبع من زوج واحد من قرون الكباش ، ويعلوه

تاج يتألف من زوجين من قرون الكباش يفصل بينهما شريط أفقي واحد أو شريطان أو ثلاثة ، وفوقه أولاً لفافة تشبه تلك التي تعلو الدائرة المجنحة عادةً ، ثم زهرة تشبه إلى حد كبير (زينة زهر العسل) لدى الإغريق . وتُظهِر العينات الأكثر تقدماً العمود ممدوداً بتاج في المنتصف بالإضافة إلى التاج في الأعلى كانوا يُطلقون عليه بـ تاج آدي ، بينما تفرز الزهرة فوق التاج العلوي ، والساق عموماً ، عدداً من الأزهار الأصغر المماثلة ، والتي تحل محلها أحياناً أقماع التنوب أو الرمان . حيث تم تصوير الشجرة بشكل متقن ، نرى بالإضافة إلى الجذع والأزهار ، شبكة معقدة من الفروع ، والتي بعد تشابكها مع بعضها البعض تشكل نوعاً من القوس المحيط بالشجرة نفسها كما لو كانت إطاراً ..

إن هذا الموضوع ليس محل تخمينات لدى الإيزيديين ، حيث يتسائل البعض من المؤرخين عما إذا كانت هذه الشجرة المقدسة مرتبطة بشجرة الأشيرة التي أقامها الفينيقيون ، والتي لم تكن بالتأكيد بستاناً ، بالمعنى الذي نفهم به هذه الكلمة عادةً . كانت شجرة الأشيرة التي اتصلوا بها عبارة عن بناء اصطناعي ، كان في الأصل من الخشب ، ولكن في العصور اللاحقة ربما كان من المعدن ، وكان يُقام في معبد لالش بواسطة أحد الملوك ، وأن يُخرج بواسطة آخر . كانت هذه الشجرة عبارة عن بناء يمكن صنع ستائر لتغطيته وحمايته ، وفي الوقت نفسه كانت تشبه الشجرة إلى حد كبير لدرجة أنه يمكن القول بشكل صحيح إنها قُطعت بدلاً من كسرها أو هدمها بأي شكل آخر . يبدو أن الاسم نفسه يشير إلى شيء قائم بشكل مستقيم ، ومن المعقول أن نفترض أن العنصر الأساسي في هذه الشجرة كان الجذع المستقيم للشجرة على الرغم من أن ما إذا كانت الفكرة المرتبطة بالرمز من نفس طبيعة الفكرة التي كانت تشكل أساس الطقوس الشمسانية عند الإغريق (على أقل تقدير) أمر مؤكد للغاية. إن لدينا أدلة واضحة على أن الشجرة المقدسة الآشورية كانت شيئاً ملموساً حقيقياً ربما كانت ، كما يفترض لايارد ، مجرد نموذج . ولكن ربما يكون من الأرجح في المجمل أن تكون شيئاً حقيقياً ، وفي هذه الحالة لا يسعنا إلا أن نؤكد في أنها كانت في النظام الآشوري في نفس المكانة التي كانت عليها شجرة الأشيرة في النظام الفينيقي ، لأنها كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعبادة الإله آدي ، وكانت تحمل بالتأكيد طابعاً رمزياً ، وإن كان من الصعب تحديد نوعها على وجه التحديد ..

ولقد اقترح البعض تشبيهاً بين هذا الرمز الآشوري و شجرة الحياة التي وردت في الكتاب المقدس ، والتي يعتقد البعض أنها تنعكس بشكل مختلف في االنصوص الإيزيدية المتعددة الأشكال في الشرق ، ألا تعد مثل هذه التكهنات مبالغاً فيها إلى حد ما ؟ لعل الرمز نفسه موجود في كل أناء سومري كـ علم نوعي لم يفهمه علماء الآثار وهذا الإناء الذي يجمع بين قرون الكبش وهو حيوان معروف بقدرته على الإنجاب . وصورة شجرة تنتج الفاكهة أو الزهور ، يشكل سبباً للاعتقاد بأن هناك إشارة ما إلى الطاقة الإنجابية أو المولدة في الطبيعة ولكن لا يمكن أن يقال أكثر من هذا دون المجازفة بالتخمينات المجردة ، وربما يأتي الوقت الذي قد ندرك فيه ، من خلال تفسير الألواح الأسطورية للآشوريين أنها كانت طريقة نحو التنوّر ، وأن تصوراتهم الحقيقية حول هذا الموضوع وغيره من الموضوعات المشابهة تصب في العلوم التي كان الآشوريون يمتلكونها . وحتى ذلك الحين ، فمن الأفضل أن نكتفي بالحقائق التي يمكن

التأكد منها ، دون السعي إلى اختراق الأسرار التي لا نستطيع إلا أن نخمنها ، والتي لا نستطيع حتى أن نعرف أننا نخمنها بشكل صحيح طالما أننا على قرب واضح من ذلك التاريخ ..

ويبدو أن الآلهة التي كانت تُعبد في آشور في الدرجة التالية لآدي كانت في العصور المبكرة هي طاوسي ملك وإيزيد ، وفي العصور اللاحقة كانت بيلا (مختصر لبيت آدي) وسن (شيسين) وشماس (شيشمس) وإيزيد وناسردين وسجادين ، وكانت شورباكاخ شيخو بكر أو شوبكخ وهي اللفظة التي تسمى بشكل سليم في بعشيقة وبحزاني وخاتونا فخرا وبيري جروا إلهات مفضلات . أما هوا ونيبو ومرودخ ، على الرغم من كونها من بين الأشياء التي كانت تُعبد أحياناً ، وخاصة في ظل الإمبراطورية اللاحقة لكنها كانت بمثابة شخصيات طاهرة ومعصومة من الأخطاء ، فقد كانت أقل شهرة في آشور منها في بابل ، ويمكن القول تقريباً إن الاثنين المذكورين في القائمة الأخيرة قد تم إدخالهما إلى البلاد الأولى من الأخيرة خلال الفترة التاريخية . وبالنسبة للخصائص الخاصة لهذه الآلهة المختلفة وهي أشياء مشتركة للعبادة بين الآشوريين والبابليين منذ عصر بعيد جداً حيث تمت ملاحظة سماتها المتعددة ومكانتها في البانتيون الكلداني . إن التشابه العام بين النظامين الدينيين كبير إلى الحد الذي يجعل كل ما قيل فيما يتصل بآلهة الإمبراطورية الأولى يمكن تطبيقه على آلهة الإمبراطورية الثانية على قدم المساواة ، ونطلب من القارئ أن يطبق هذا في جميع الحالات ، إلا حيث يتم الإشارة إلى بعض الفروق الواضحة بدرجة أو بأخرى . وفي الصفحات التالية ، دون تكرار ما قيل في الفصول السابقة من هذا الكتاب ، سنتناول بعض الأمور المتعلقة بعبادة الآلهة الرئيسية في آشور والمعابد الرئيسية المخصصة لخدمتهم ..

ويبدو أن عبادة آدي قد انتقلت إلى آشور من بابل خلال عصور التفوق الكلداني التي سبقت تأسيس المملكة الآشورية المستقلة . وقد بنى شماس معبداً لآدي وإيزيد في آشور ، التي كانت آنذاك عاصمة آشور قبل بناء نينوى ، وتشير إحدى نقوش تغلث فلاسر الأول إلى أن هذا المعبد دام 621 عاماً ، ثم هدمه آشورديان ، جده الأكبر ، بعد أن سقط في الاضمحلال . وظل موقع المعبد شاغراً لمدة ستين عاماً . ثم أعاد تغلث فلاسر الأول في بداية حكمه بناء المعبد بشكل أكثر روعة من ذي قبل ، ويبدو أنه ظل منذ ذلك الوقت من بين الأضرحة الرئيسية في آشور ، ومن تقليد مرتبط بهذا المعبد القديم لشماس ، اكتسب آشور في العصور اللاحقة اسم تل آديا ، أو (تل آدي) ..

والحقيقة أن هذا المعبد كان نيشاناً وليس معبداً بنفس الأشكال الهندسية التي تمت فيها بناء المعابد الايزيدية ورفض أكثر من ملك وجود معبد لآدي في آشور على إعتبار أنه تدنيس وبدعه كلدانية لا تمت للقيم الآشورية بصلة لا سيما وأن الآشوريين كانوا يقدسون آدي الى تلك الدرجة التي يطلقون عليه كلمة هو اشقوبانو (أذهب فداءاً لهُ) ..

إن مكانة آدي بين (الآلهة العظام) في آشور واضحة مثل مكانة العديد من الآلهة الأخرى وتؤكد كل النقوش المستخرجة من نينوى وتل بلا ولالش هذا الأمر الذي لم يعد فيه مجالاً للشك أو المناقشة عند كل الذين إطلعوا على النقوش والألواح السومرية المترجمة ، فاسمه يظهر كعنصر في أسماء الملوك أو الشخصيات المهمة الأخرى أو معها.

وهو محذوف تماماً من العديد من الأدعية المهيبة بينما وضع محل إسمه كلمتي هو المقدّس . والسؤال هو ما إذا كان واحداً من الآلهة التي كان الملك يرتدي شعاراتها وينقشها على ألواح الصخر ؟ ومن ناحية أخرى ، حيث يظهر في القوائم ، فإنه يوضع دائماً قبل إيزيد مباشرة ، وكثيراً ما يقترن بهذا الإله بطريقة تشير بقوة إلى شخصيته السامية . ورغم أن تغلث فلاسر الأول أغفل ذكره في دعائه الافتتاحي وذكر كلمة هو المقدس بدلاً من الإسم ، فإنه يتحدث عنه في الجزء الأخير من نقشه العظيم باعتباره سيده وحاميه في المكان التالي لآشور ، يستخدم آشور ناصر بال تعبيرات كما لو كان تابعاً خاصاً لآدي ويعتبر نفسه خادماً متواضعاً لهُ ، فيسمي نفسه (من يكرم آدي) أو (من يكرم آدي وطاوسي ملك) . ويضعه ابنه ، ملك المسلة السوداء (مصحف رش) في المرتبة الأولى في استدعاء الآلهة الثلاثة عشر التي يبدأ بها سجله وهنا يشير الى بوابات المعرفة الايزيدية المقدّسة بأبوابها الثلاثة عشر . ويحظى آشور ناصر بالتقدير والاحترام عموماً بين ملوك الأسرة السفلى ، إلا أن سرجون يشكل استثناءاً ، ربما لأن اسمه يشبه إلى حد كبير اسم أحد الآلهة المذكورة كأحد أبناء آدي . وكثيراً ما يمجد سرجون آدي ، فيربطه بتاوس أو طاوسي ملك ، أول آلهة الثالوث الأول . بل إنه جعل آدي إلهاً وصياً على إحدى بوابات مدينته الجديدة ، بيت سرجينا (خورس آباد) ، لينضم إليه في هذه الصفة الإلهة عشتار . ولم يكن لدى آدي سوى عدد قليل من المعابد في آشور كانت تحمل تسميات أخرى مثل العين الصفراء ومار مندو وتل بلا . ويبدو أنه لم يكن له ضريح في نينوى أو كالح ، ولم يكن له ضريح ذو أهمية في كل آشور على إعتبار أن الأمر كان مخيفاً بالنسبة لهم ، باستثناء ضريحه في آدي أو لالش النوراني . ومع ذلك ، هناك سبب للاعتقاد بأنه كان يُكرَّم أحياناً بضريح في معبد مخصص لإله آخر في لالش والحقيقة أن التخت الذي وضعه الأوائل في لالش هو بمثابة تخت عهد العبادة الصادقة وليس ضريح بالمعنى البشري أو كان يُسمى في العهد الأول لبناء لالش تابوت العهد مع سلطان آدي ..

شيخ–ادي أو شيخادي

يصور الكتاب الكلاسيكيون طاووس باعتباره إلهاً بابلياً على وجه الخصوص ، ونادراً ما يذكرون عبادته من قبل الآشوريين ، لكن الآثار تظهر أن طاووس الحقيقي كان يُعبد على الأقل بنفس القدر في البلاد الشمالية كما في الجنوب . في الواقع ، منذ وقت مبكر من زمن تغلث بلاصر الأول ، كان الآشوريون ، كأمة، يُطلق عليهم من قبل ملوكهم لقب (شعب الطاووس) وكان نفس المصطلح قيد الاستخدام خلال فترة الإمبراطورية السفلى. وفقاً لبعض السلطات ، كان حي معين من مدينة نينوى يُدعى (مدينة طاووس) مما يعني أنه كان بطريقة غريبة تحت حمايته . لا تظهر كلمة طاووس كثيراً كعنصر في الأسماء الملكية ومع ذلك ، فقد حملها على الأقل ثلاثة ملوك آشوريين مبكرين وهناك دليل على أنها دخلت في العصور اللاحقة كعنصر في أسماء الشخصيات الرائدة بنفس القدر تقريباً مثل أشور ..

إن عبادة طاوسملك في أقدم العصور الآشورية تميزت بالأسماء الملكية طاوس– باب قابي وطاوسملك ، التي حملها اثنان من أقدم الملوك وجدت في نقوش إستخرجت من تل النبي يونس . كان له معبد في آشور بالاشتراك مع آدي وإيزيد ، والذي لا بد أنه كان من العصور القديمة جداً ، لأنه بحلول زمن تغلث فلاصر الأول (1130 قبل الميلاد)

كان قد تدهور وأصبح بحاجة إلى ترميم كامل ، وقد حصل عليه ذلك الملك . كان له معبد آخر في كالح ، بالإضافة إلى أربعة توابيت أو مظال ، لا يُعرف مكانها على وجه اليقين بعد نقلهم الى لندن . ومن بين الملوك الأخيرين ، كان سرجون يكرمه بشكل خاص . بالإضافة إلى اقترانه مع آدي في ألقابه الملكية ، فقد كرس له بالاشتراك مع بلتيس ، زوجته إحدى بوابات مدينته ، وكان أغلب الملوك الآشوريون يعتبرون آدي هو البير الأول في الوجود ..

إن آسرحدون ينسب في كثير من المقاطع سلطته الملكية إلى فضل طاوسي ملك وإيزيد . كما يصف آدي ، في تدشينه للبوابة الشرقية في خورس آباد ، بأنه (مؤسس أسس مدينته ومباركها). وقد يشتبه في أن القلنسوة ذات القرون ، والتي كانت بلا شك رمزاً عاماً للإله ، كانت أيضاً رمزاً لهذا الإله بشكل خاص . ويذكر آسرحدون أنه وضع فوق صورة جلالته رموز آشور والشمس وطاووس وسين (ملك فخر الدين) وخاتونا فخرا . وكان الملوك الآخرون يضمون دائماً طاووس بين الأشياء الرئيسية لعبادتهم . وبالتالي ، يجب أن نتوقع أن نجد شعاره بين تلك التي تأثر بها الملوك بشكل خاص ، وبما أن جميع الرموز الشائعة الأخرى تُنسب إلى آلهة مميزة بيقين مقبول ، فإن القلنسوة ذات القرون وحدها تظل مشكوكاً فيها، ويبدو أن التخمين الأكثر منطقية هو أنها كانت رمز طاوسي ملك ..

وقد افترض البعض في بعض الأوساط أن طاووس الآشوريين كان مطابقاً للإله الفينيقي تاج–آدي . وقد وجدت كلمة (تاج–آدي) في قوائم الآلهة الأصلية للفنيقيين من خلال النقوش المستخرجة من بعلبك وأماكن أثرية أخرى ويبدو أن التفسير المرفق في أحد الأماكن يوضح أن هذا المصطلح كان من بين ألقاب طاوسي ملك على حد تعبير مترجم النقش . ولكن هذا التشابه اللفظي بين اسم تاج ادي وأحد ألقاب طاوسي ملك ربما كان مجرد حادث بسبب تشابه طائر الفنيق شعار آلهة الفنيقين مع رمز الطاووس الآشوري ، ويوفر أساساً لافتراض وجود صلة بين الإلهين ، اللذين يشتركان في أحدهما مع الآخر (فينيكس بيرد). ومن المؤكد أن طاووس الآشوريين لم يكن إله السمك لديهم ، ولم يكن لقبه تاج–آدي أي صلة حقيقية بكلمة تاج ، لكن ما لم يفهمه فينيكس بيرد أن لبنان وأرض الفنيقيين كانت تابعة للكومنويلث االسومري وكانت بمثابة مدينة العلماء في العصر السومري حيث كانت تنقل عوائل العلماء الى الشام ولبنان لمواصلة أبحاثهم وبالتالي يكون من الطبيعي أن ينقلوا أسسهم الدينية الى ذلك المكان والمتمثلة بآدي وطاوسي ملك أو طائر الفينيق كما كانوا يسمونه ..

هي أو هو . (أشقوبانو . أذهب فداءاً لهُ)

كان هي ، أو هو ، الإله الثالث في الثالوث الأول ، من أبرز موضوعات العبادة في آشور . يذكر آشور ناصر بال أنه خصص لأربعة آلاف إله في السماء والأرض حواس السمع والبصر والفهم ، ثم يذكر أن الأربعة آلاف إله نقلوا كل هذه الحواس إليه ، ثم يشرع في أخذ ألقاب هو (طاوسي ملك) ، وكأنه يعرف نفسه بالإله . ويعطي ابنه شلمنصر الثاني ، ملك المسلة السوداء (مصحف رش) ، هو مكانه المناسب في استحضاره الافتتاحي ، ويذكره بين طاوسي ملك وسين (شيسين) . ويضع سرجون أحد أبواب مدينته الجديدة تحت رعاية هو ، وينضم إليه بيري جاروا (سيدة الآلهة) التي ربما تكون إلهة الشمس ، خاتونافاخرا آلهة القمر . وبعد رحلة ناجحة عبر جزء من خليج

البصرة ، قدم سنحاريب قرباناً إلى هو (طاوسي ملك) على شاطئ البحر ، فأهدى إليه قارباً ذهبياً وسمكة ذهبية وصندوقاً ذهبياً . ولكن هذه حالات استثنائية وجدت في النقوش والألواح الآشورية ، وعلى العموم فإن هو طاوسي ملك كان إلهاً مفضلاً في آشور وكان البعض يرى وحدة بينه وبين آدي وايزيد . ورغم أن الثعبان ، الذي كان شعاره ، وجد على الأحجار السوداء التي تسجل أعمال الخير ، وكان كثيراً ما يظهر على الأختام الأسطوانية البابلية ، إلا أنه لم يتبناه الملوك الآشوريون ضمن الرموز الإلهية التي يرتدونها ، أو بين تلك التي ينقشونها فوق تماثيلهم . وتدخل كلمة هو (طاوسي ملك) كعنصر في الأسماء الآشورية . وكثيراً ما يستخدمها الملوك . وبقدر ما نستطيع أن نستنتج ، لم يكن له سوى معبدين في آشور ، أحدهما في آشور (كيلة شرقات) والآخر في كالح (نمرود) . ولعل تفاني الآشوريين لناسردين الإله الحارس لملوكهم وعاصمتهم الذي يشبه هو في كثير من النواحي ، هو الذي تسبب في تراجع عبادة هو وحلول عبادة ناسردين محلها تدريجيا في فترة من الفترات ..

وأغلب علماء الآثار لم ينتبهوا الى أن الملوك الآشوريين كانوا يطلقون على كل الآلهة مجتمعين إسم آخر وهو بيت آدي أو أور . آدي ، وهذا الأمر لو تم فهمه أثناء ترجمة الألواح لكان من السهل تأكيده عند سؤال رجال الدين الايزيديين في العراق ..

أور–آدي أو طاوسملك

خاتون فخرا ، (الأم العظيمة) ، النظيرة المؤنثة لطاوسي ملك ، كانت في أشور بعد الثالوث المكون من آدي وطاوسملك وإيزيد . وهي تُذكَر عموماً في ارتباط وثيق بطاوسملك ، في السجلات الآشورية . ويبدو أنها كانت تُعَد في أشور على وجه الخصوص (ملكة الخصوبة) أو (الخصوبة) ، وبالتالي (ملكة الأراضي) ، وبالتالي تشبه ديميترا اليونانية ، التي كانت تُعرَف ، مثل خاتون فخرا ، باسم (الأم العظيمة). وضع سرجون إحدى بواباته تحت حماية خاتون فخرا بالتزامن معها ، وقام آشور باني بال ، حفيده الأكبر ، بإصلاح وإعادة تكريس معبد في نينوى لها ، والذي كان قائماً على تلة تل كوجك العظيمة . وكان لها معبد آخر في أشور في تل كونجي ، وربما معبد ثالث في كالح . يبدو أنها كانت معروفة في الحقيقة باسم خاتونافاخرا في آشور ، وباسم العذراء (سيدة العذارى) في بابل ، على الرغم من أننا يجب أن نستنتج العكس بشكل طبيعي من الإشعارات الكلاسيكية الموجودة فالبعض من مترجمي النقوش وجدوا إسم سيدة العذراوات في آشور أيضاً ..

وفكرة خاتونا فخرا هي فلسفية بحتة فكهنة لالش كانوا يعتبرونها الرحم الكوني الذي إنطلقت منه شرارة الوجود أو الجرّة الحاوية لبيت آديا لهذا إعتبروا فكرة العذرية أنها تمثل بالفعل آلهة الخصوبة الطبيعية البحتة في عموم الدولة السومرية وكذلك ورد إسمها عشرات المرّات في رسائل بابل السرّية التي وجد قسم منها في بابل والقسم الآخر في لالش ..

شيسين أو ملك فخر الدين

شيسين ، إله القمر ، يحتل المرتبة الثانية بعد آدي في الأساطير الآشورية ، وبالتالي فإن مكانه هو الخامس أو السادس في القوائم الكاملة ، وفقاً لمكانة آدي . تظهر عبادته في زمن الإمبراطورية المبكرة من خلال استحضار تغلث فلاصر

الأول ، حيث يظهر في المرتبة الثالثة ، بين آدي وشيشمس . كان شعاره ، الهلال ، يرتديه آشور ناصر بال ، ويوجد أينما نقشت الرموز الإلهية فوق تماثيلهم من قبل الملوك الآشوريين . لا توجد علامة أكثر شيوعاً على الأختام الأسطوانية من علامة الملك شيسن وكان يرفقون الإسم دائماً بكلمة رابو أو العظيم ، سواء كانت بابلية أو آشورية ، وبالتالي يبدو أن شيسين كان من بين أكثر آلهة آشور شهرة . يظهر اسمه أحياناً الى جانب الملوك ، وإن لم يكن كثيراً مثل بعض الأسماء الأخرى للآلهة المقدسة ، في تسميات الشخصيات المهمة ، مثل في قصة سنحاريب ، والتي تم تفسيرها على أنها تعني (شيسين يضاعف الإخوة) . يبدو أن سرجون ، الذي أطلق على أحد أبنائه هذا الاسم ، كان مرتبطاً بشكل خاص بعبادة شيسن ، الذي بنى له ، بالاشتراك مع شيشمس ، معبداً في خورساباد ، والذي أعطاه المكانة الثانية بين الآلهة الوصية على مدينته ..

وكانت كلمة شي التي تسبق إسم سين أو سن تعني مصدر علمي أو عالمي الإله سن ، وهي نفس المقطع الذي كان يوضع أمام كلمة شمس لتصبح شيشمس أي عالمي هو المصدر الشمساني المنير للوجود ، فبُنيت أغلب المدن الآشورية والبابلية مقسومة بين شيشمس وشيسن والإثنين كانا من وجهة نظر الآشوريين ومن خلال ترجمة النقوش يلحق بهما لقب الآداني ليصبحا شيسن الآداني وشيشمس الآداني لإنتماءها لبيت آديا في الأعالي ..

ويبدو أن الملوك الآشوريين كانوا يؤمنون بقدم إله القمر بشكل خاص . فعندما أرادوا أن يشيروا إلى فترة بعيدة للغاية، كانوا يستخدمون عبارة (من أصل الإله شيسن) . ولعل هذا يشير إلى الصلة القديمة بين آشور وبابل وإنتقال العبادة بينهم ، حيث كانت العاصمة الأولى أور تحت حماية إله القمر الذي كان يمثل سلطان ايزيد ، وكان أقدم معبد فيها مخصصاً لتكريمه على الرغم من أن تسمية المعبد كانت باسم معبد ايزيد لكن علامة الهلال كانت تزين واجهته بالذهب الخالص ..

ويبدو أن شيشمس إله الشمس على الرغم من أنه على نفس المرتبة من سين ، كان أكثر تفضيلاً وعبادة عالمية . ومن خلال العديد من المقاطع المترجمة تشير الى أن ديانة أغلب بلدان العالم كانت شمسانية ، كان من المفترض أن نستنتج أنه كان ثانياً بعد آدي في تقدير الملوك الآشوريين ، الذين يضعونه أحياناً في مرتبة أعلى من إيزيد في قوائمهم ومن أي إله آخر . ويرتدي الملك شعاره باللون الأحمر بالعميق ، الكرة ذات الأشعة الأربعة ، حول عنقه ، وهو أكثر شيوعاً من أي شعار آخر تقريباً على الأختام الأسطوانية التي وجدت في نينوى . وهو في بعض الحالات متحد مع شعار آشور ، حيث تتميز الدائرة المركزية لشعار آشور بأشعة شماس الرباعية ..

كانت عبادة شيشمس قديمة في آشور . ولم يكتف تغلث فلاصر الأول بتسميته في دعائه ، بل صور نفسه باعتباره يحكم تحت رعايته بشكل خاص وبنيت أغلب المدن مقسمة بين معبدي الملك شيسن والملك شيشمس ويذكر آشور ناصر بال آدي وشيشمس باعتبارهما الإلهين الوصيين اللذين خاض تحت تأثيرهما حروبه المختلفة . وينسب ابنه ، ملك المسلة السوداء (مصحف رش) ، إلى شماس مكانه اللائق بين الآلهة الذين يستدعي عطفهم في بداية نقشه الطويل . وكان ملوك الإمبراطورية السفلى أكثر إخلاصاً له من أسلافهم . فقد كرس له سرجون البوابة الشمالية لمدينته ، بالاشتراك مع طاوسي ملك إله الهواء ، وبنى له معبداً في خورسباد بالاشتراك مع شيسين ، وخصص له

المركز الثالث بين الآلهة الوصية على مدينته الجديدة . ويذكر سنحاريب وأسرحدون اسمه بجوار اسم آدي في المقاطع التي يعددان فيها الآلهة الذين يعتبرونهم حماة رئيسيين ، وبنيا المراكز الرئيسية للعبادة لهما في شمال تل بلا وبالقرب من جبل مقلوب (بعشيقة التابعة لشيسن صاحب الضيعة) و (بحزاني التابعة لشيشمس صاحبها) ..

باستثناء خورساباد ، حيث كان له معبد (كما ذكر أعلاه) بالاشتراك مع سين ، لا يبدو أن شماس كان لديه أي مباني خاصة مكرسة لتكريمه . ومع ذلك، غالباً ما تُلاحظ صوره في قوائم المعابد الإيزيدية ، ومن المحتمل بالتالي أنه تلقى العبادة في المعابد المخصصة لآلهة أخرى . يوجد شعاره عموماً متصلاً بشعار القمر ، حيث يتم وضع الاثنين جنباً إلى جنب ، أو أحدهما مباشرة تحت الآخر في المعابد الإيزيدية ، وإسم طاوسملك هذا الإله كان مذكور بمحدودية حسب النقوش بسبب إستخدام الآشوريين كلمة هو أو هي بدلاً من أسماء بيت آدي ، الذي لا يزال اسمه غير مؤكد بسبب تكرار كلمة هو أو هي على أكثر من إله ، وقد كان معروفاً في آشور منذ العصور السابقة للاستقلال من خلال رمزه الموجود في أغلب النقوش الآشورية ، حيث تم تشييد معبد تكريماً له وحده في آشور ، العاصمة الآشورية الأصلية ، بواسطة شماس فول ، نجل الملك الكلداني إسمي داجون ، إلى جانب المعبد (الذي سبق ذكره) الذي كرسه له نفس الملك بالاشتراك مع آدي . وبعد أن انهارت هذه المباني في عهد تغلث فلاصر الأول ، أعاد بناءها من قاعدتها ، ويبدو أن طاوسملك الذي كان يعبد في كليهما ، كان يعتبره ذلك الملك أحد (آلهته الحارسة) الخاصة . وفي استحضار المسلة السوداء (مصحف رش) التي تشكل أسرار كبرى في الايزيدية ..

ويحتل المكان المتوسط بين سين وشمس فقد كان رمزه يتوسط شعاري الآلهة ، وعلى نفس النصب التذكاري تم تسجيل حقيقة أن الملك الذي أقامه أقام في إحدى المناسبات مهرجاناً لـ طاوسملك بالاشتراك مع آشور . يسمي سرجون طاوسي ملك في المرتبة الرابعة بين الآلهة الوصية لمدينته حسب النقوش المترجمة في المتحف الملكي البريطاني ، ويكرس له البوابة الشمالية بالاشتراك مع إله الشمس شيشمس . يتحدث سنحاريب عن إلقاء الرعد على أعدائه مثل طاوسملك وإرادته وكانت حروبه تبدأ بصرخات (هولا ، هولا)، ويستخدم ملوك آخرون تعبيرات مماثلة في ألواح أخرى أخذت من خورسباد . غالباً ما تم استخدام مصطلح طاوسملك كعنصر في الأسماء الملكية وغيرها ، والشعار الذي يبدو أنه كان يرمز إليه البرغي المزدوج أو الثلاثي ، يظهر باستمرار بين تلك التي يرتديها الملوك ، ومحفور فوق رؤوسهم على الألواح الصخرية . كان لطاوسملك معبد في كالح إلى جانب المعبدين اللذين تلقى فيهما العبادة في آشور . وقد تم تخصيصه له بالاشتراك مع الإلهة شيشمس ، شيسن، آدي ، إيزيد ..

من المؤكد تمامًا ما إذا كان بوسعنا التعرف على تمثيلات طاوسملك في البقايا الآشورية المستخرجة من الشرقاط ربما كان الشكل ذو الأجنحة الأربعة والقبعة ذات القرون كما يقول هينكي بيرد ، الذي يحمل صاعقة في كلتا يديه ، ويهاجم بها الوحش ، نصف أسد ونصف نسر ، والذي نعرفه من منحوتات نمرود ، مخصصاً لهذا الإله . إذا كان الأمر كذلك ، فسيكون من المعقول أيضاً التعرف عليه في الشكل بقدم مرفوعة ، وأحياناً يجثم على ثور ، ويحمل مثل الآخر صاعقة أو صاعقتين ، والتي تحدث أحياناً على الأسطوانات وتحتل بيري جروا إلهة سوم ، مكانة عالية جداً بين آلهة آشور. في الواقع ، يحمل ملوك آشور شعارها كرمز مقدّس ، القرص ذي الثمانية أشعة ، وهو منقوش

على ألواح الصخور المستخرجة من نمرود ، وعلى الأحجار التي تسجل الإحسان ، وعلى الأختام الأسطوانية ، بتواتر ملحوظ . ولكن اسمها نادراً ما يظهر في النقوش ، وحيثما وجد ، يظهر في أسفل القوائم . في استحضار المسلة السوداء (مصحف رش) التي تشكل قائمة بكل الآلهة الايزيديين وطرق عبادتهم ، من بين ثلاثة عشر إلهاً مذكوراً ، كانت هي الثانية عشرة . ونادراً ما تظهر في أي مكان آخر ، إلا في نقوش ذات طابع ديني إيزيدي بحت . ربما كانت تعتبر عموماً واحدة مع آدي لدرجة أن ذكرها بشكل منفصل ومتميز لم يكن ضرورياً . ومن المعروف أن بيري جروا كان لها معبدان على الأقل في آشور . كان أحد هذين المعبدين في آشور ، حيث كانت تُعبد بالاشتراك مع عشرة آلهة أخرى ، كان واحد منهم فقط ، عشتار ، من مرتبة عالية . وكان المعبد الآخر في كالح ، وقد شكلت رمزية مقدّسة عند الآشوريين الى درجة أنها شغلت علماء ترجمة الألواح بسبب وجود إسمها في الكثير من المعابد والألواح التي تشير الى النقوش المقدّسة عند الايزيديين ..

القرص ذو الأشعة الثمانية

آدي ، طاوسي ملك ، شيشمس ، شيسن . النار ، الهواء ، الماء ، التراب

من بين آلهة الدرجة الثانية ، لا يوجد من عبده الآشوريون بتفانٍ أكثر من ناسردين ، أو نين-إب (إسم رمزي لناسردين) . في التقاليد القديمة على الأرجح وهنا لا يمكنني الخروج عن تلك الترجمات التي تناولت آلهة آشور بكل مهنية ، انحدر ملوكهم منه ، وبعده أطلقوا عليه اسم المدينة العظيمة التي أصبحت في النهاية عاصمتهم . منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، كان اسم ناسردين يستخدم كعنصر في التسميات الملكية ، وأول ملك ترك لنا نقشاً تاريخياً اعتبر نفسه تحت وصاية نين بطريقة خاصة ، تيغلث-بلصر الأول ، هو (الأمير الشهير الذي رفعه آدي وناسردين إلى أقصى رغبات قلبه) . يتحدث عن ناسردين أحياناً بمفرده ، وأحياناً بالاشتراك مع آدي ، باعتباره (إلهه الحارس) ويقوم ناسردين وسجادين بجعل أسلحته حادة من أجله ، وتحت رعاية نين تسقط أعنف وحوش الحقل تحتها . وقد بنى له آشور ناصر بال معبداً رائعاً في نمرود (كالح) . وأهدى له شماس حفيد هذا الملك المسلة التي أقامها في ذلك المكان تخليداً لانتصاراته . ووضع سرجون مدينته المبنية حديثاً جزئياً تحت حمايته ، واستدعى منه بشكل خاص لحراسة قصره الرائع . وتشير زخرفة ذلك المبنى بطريقة مذهلة للغاية إلى تبجيل الباني لهذا الإله ، الذي كان رمزه ، الثور المجنح ، يحرس جميع بواباته الرئيسية ، ويبدو أنه تم تمثيله بالفعل من خلال الشكل الذي يخنق أسداً ، وهو واضح جداً على بوابة الحريم المواجهة للفناء الكبير . ولم يعتبر سرجون نين حامياً له إلا في أوقات السلم . فقد نسب إلى نفوذه النتيجة الناجحة لحروبه ، ولعله كان من قبيل الدلالة على اعتقاده في هذه النقطة أنه كان يضع أحياناً شعارات نين على المنحوتات التي تمثل بعثاته في أكثر من نقش . ويبدو أن سنحاريب ، ابن سرجون وخليفته ، كان يشعر بنفس المشاعر تجاه نين مثل والده ، حيث كان يعطي نفس الأهمية للثور المجنح والتمثال الذي يخنق الأسد في مبانيه ؛ حيث وضع الأول على جميع أبواب قصره تقريباً ، وأعطى الأخير مكانة بارزة على الواجهة الفخمة لقصره الرئيسي . ويروي آسرحدون أنه استمر في عبادة نين ، ووضع شعاره فوق تمثاله الملكي ، إلى جانب تماثيل آدي ، وشيشمس ، وشسين ، وطاوسي ملك ، وخاتون فخرا ..

يبدو للوهلة الأولى أنه على الرغم من المكانة البارزة التي احتلها نين في النظام الديني الآشوري ، إلا أنه كان في جانب واحد أدنى من عدد كبير من الآلهة . ونادراً ما نجد اسمه مستخدماً علناً كعنصر في الألقاب الملكية . ففي قائمة الملوك ، نجد ثلاثة فقط يحملون أسماء تدخل فيها كلمة نين او دين ، ولكن هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه كان من المعتاد في حالة هذا الإله أن نتحدث عنه تحت عبارة مشتقة تعني إبن أو إبنة كما في تسمية نينوى ونين آب أي ابنة السماء وإبن السماء ، وأن هذه العبارة المشتقة دخلت في الأسماء بدلاً من التسمية الصحيحة للإله . ويمكن اعتبار خمسة ملوك (إذا جاز لنا أن نعترف بهذا) قد سُموا باسمه ، وهو عدد كبير مثل عدد الملوك الذين نجدهم يحملون أسماء أي إله آخر غير سيجادين أو ناسردين . وكانت المعابد الرئيسية التي عُرف أنها كُرِّست لناسردين في آشور وفي كالح ، ونمرود الحديثة هناك كان الهيكل الضخم عند الزاوية الشمالية الغربية من التل العظيم ، بما في ذلك الارتفاع الهرمي الذي يعد السمة الأكثر لفتًا للانتباه في الأطلال ، معبداً مكرساً لتكريم ناسردين من قبل آشور ناسر بال ، باني القصر الشمالي الغربي . كان لناسردين أيضاً معبد ثانٍ في هذه المدينة ، والذي حمل اسم بيت كورا (أو بيث كورا) ، كما كان المعبد الآخر يحمل اسم بيت زيرا (أو بيث زيري) . ويبدو أنه من شهرة بيث زيري حصل نين على لقب بال زيرا او زيري ، والذي يشكل بديلاً لناسردين ، كما لاحظنا بالفعل ، في أحد الأسماء الملكية ..

إن أغلب ملوك آشور الأوائل يذكرون إيزيد في صلواتهم الافتتاحية بالقول يا سلطان ايزيد أثناء الجلوس على سفرة الطعام ، ونجد أحياناً إشارة في نقوشهم تثبت هذا القول ، والتي يبدو أنها تشير إلى أنه كان يُنظَر إليه باعتباره إلهاً ذا قوة عظيمة . ولكنه لم يكن بالتأكيد موضوعاً مفضلاً للعبادة في آشور حتى فترة حديثة نسبياً . ويزعم فولوش الثالث أنه كان أول من منحه مكانة بارزة في البانتيون الآشوري ، ويمكننا أن نفترض أن الحملات البابلية لهذا الملك وفرت الدافع الذي أدى إلى تعديل النظام الديني الآشوري في هذا الصدد بما يتناغم والبانتيون البابلي . أما الملوك اللاحقون ، سرجون وخلفاؤه ، فقد حافظوا على العبادة التي أدخلها فولوش . وعادة ما ينظر سرجون إلى قوته باعتبارها مُنِحَت له من خلال العطف المشترك من قِبَل آدي وشيشمس ، بينما نحت أسرحدون شعار إيزيد ، إلى جانب شعار آدي ، فوق صور الآلهة الأجنبية التي أحضرها إليه أمير متوسل . ومن بين الآلهة العظام ، يبدو أن الآشوريين كانوا ينظرون إلى ناسردين باحترام غير عادي . فقد كان الجد الإلهي الذي كان الملوك يفتخرون بأنه ينحدر من نسله . وكان من الممكن تتبع هذا السلالة ، وفقاً لسرجون ، عبر ثلاثمائة وخمسين جيلاً . وكانوا يرمزون إليه بالأسد المجنح برأس بشري ، أو ربما بالأسد الطبيعي في بعض الأحيان ، وكانوا يصورونه بوضوح شديد في قصورهم للإشارة إلى اعتمادهم الواثق على حمايته . وكان ناسردين وسيجادين . إلهي الحرب والصيد ، والمهن التي كان الملوك الآشوريون يقضون فيها حياتهم . آلهة وصائية لجنس الملوك وحياتهم ومنازلهم ، وكانوا يربطون بينهما على قدم المساواة في نقوشهم ومنحوتاتهم ..

وعلى الرغم من تكريم ناصر الدين بهذه الطريقة من خلال ذكر اسمه بشكل متكرر وإقامة شعاره ، إلا أنه لم يتلق (على حد ما يبدو) جزية بناء معبد له في نينوى . فقد خصص له سنحاريب معبداً في بعشيقة بالقرب من خورسباد

، وكان له معبد آخر في كالح (نمرود) ، والذي يقال إنه كان أحد (الآلهة المقيمين فيه) . ولكن يبدو عموماً أن الآشوريين كانوا راضين عن تكريمه بطرق أخرى دون بناء مبانٍ خاصة مكرسة حصرياً لعبادته ..

كانت خاتون فخرى تُعبد بشكل عام من قبل الملوك الآشوريين ، الذين أطلقوا عليها (سيدتهم) ، وأحياناً كانوا يقرنونها في صلواتهم بالإله الأعلى آدي . وكان لها معبد قديم جداً في آشور ، العاصمة القديمة ، قام تغلث فلاصر الأول بإصلاحه وتجميله . وقد بنى لها آشور بانيبال معبداً ثانياً في نينوى ، وكان لها معبد ثالث في أربيل ، والذي يذكر آشور بانيبال أنه أعاد ترميمه . ووضع سرجون تحت حمايتها ، جنباً إلى جنب مع آدي ، البوابة الغربية لمدينته ،؛ ويبدو أن ابنه سنحاريب كان ينظر إلى آدي وخاتون فخرا باعتبارهما الوصيين الخاصين على ذريته . وكان آشور بانيبال ، ملك الصيد العظيم ، من أتباع الإلهة ، التي اعتبرها رئيسة لهوايته الخاصة ، المطاردة .

إن أكثر ما يلفت الانتباه في عبادة الآشوريين لخاتون فخرا هو الطابع المحلي الذي أضيف إليها . فخاتون فخرا في نينوى تختلف عن خاتون فخرا في أربيل ، وكلاهما يختلف عن خاتون فخرا في بابل ، حيث يتم توجيه خطابات منفصلة لهما في نفس الاستدعاء وهنا يجب أن أذكر أن دعاء الآدانيين في الجنوب يختلف عن دعاء الشمسانيين في بابل ويختلف عن دعاء القاتانيين الآشوريين في الشمال . ويبدو أنه في هذه الحالة كانت واضحة هناك ، بشكل أكثر وضوحاً من أي حالة أخرى طرق مختلفة في إلقاء الدعاء ، وتحديد للإلهة التي يتم الدعاء لها ، مما أدى إلى مضاعفة إلهة واحدة إلى العديد . ويبدو أن اسم خاتون فخرا نادراً ما كان يستخدم في آشور في التسميات الملكية أو غيرها . ومن الصعب تفسير هذه الحقيقة ، وهي الأكثر إثارة للإعجاب ، حيث تم العثور على عشتار ، التي تتوافق بشكل وثيق مع خاتون فخرا ، بشكل متكرر كعنصر في الألقاب الملكية في فينيقيا والذين كانوا يطلقون عليها أمنا العذراء ..

ويبدو أن الممارسة العامة التي اتبعها الآشوريون كانت تتلخص في توحيد الإله الأنثوي والإنسان الذكري في عبادة واحدة ، تحت سقف واحد . وكانت الآلهة الأنثوية في واقع الأمر ، في أغلب الأحيان ، لا تتمتع بشخصية جوهرية ، فكانت في العادة مجرد صورة انعكاسية للذكر ، وبالتالي لم يكن بوسعها أن تقف بمفردها ، بل كانت تحتاج إلى دعم الجنس الأقوى لمنحها شيئاً من الجوهر والواقعية . وكانت هذه هي القاعدة العامة ، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن تخلو من بعض الاستثناءات . فكانت عشتار تظهر دائماً كإلهة مستقلة وغير مرتبطة ..

ومن المحتمل أن الآشوريين كانوا يعترفون بوجود عدد من الجن حسب النقوش المترجمة ، إلى جانب الآلهة ، وكان بعضهم يعتبرونه قوى خير ، وبعضهم الآخر يعتبرونه قوى شر . ويبدو أن الشكل المجنح الذي يرتدي القبعة ذات القرون ، والذي يُصوَّر باستمرار على أنه يتولى رعاية الملك عندما يعمل في أي وظيفة مقدسة ، كان بمثابة عبقريته الحارسة . روح حميدة تراقبه وتحميه من أرواح الظلام . وعادة ما يحمل هذا الشكل في يده اليمنى إما رمانة أو مخروط صنوبر ، في حين يحمل في يده اليسرى إما حراً أو يحمل نوعاً من الحقيبة المضفرة أو السلة . وعندما يحمل الآشوريون مخروط الصنوبر ، فإنه يشير دائماً إلى الملك ، وكأنه وسيلة الاتصال بين الحامي والمحمي ، والأداة التي تنتقل بها النعمة والقوة من العبقري إلى الإنسان الفاني الذي تعهد بحمايته . ومن الصعب أن نستنتج لماذا اختير مخروط

الصنوبر لهذا الغرض . ربما أصبح في الأصل رمزًا مقدسًا كرمز للإنتاجية فقط وبعد ذلك تم استخدامه لخدمة غرض آخر ، دون مراعاة كبيرة لمعناه الرمزي القديم ..

إن السلة المقدسة التي تحملها اليد اليسرى لها تفسير أكثر إثارة للشكوك . إنها قطعة ذات أناقة عظيمة ، ومزخرفة دائمًا بشكل متقن وأحياناً بذوق رفيع . ربما تمثل الوعاء الذي تُخزن فيه الهدايا الإلهية ، والذي يمكن للعبقري أن يأخذها منه حسب تقديره ، ليمنحها للبشر تحت رعايته . ويبدو أن عبقرياً جيداً آخر يمثله الشكل ذو الرأس الصقر ، والذي يوجد أيضاً في خدمة الملك ، ويراقب تصرفاته باهتمام . وقد أطلق على هذا الشكل اسم إله ، ويُفترض أنه يمثل نيشروخ في الكتاب المقدس ، لكن الأساس الوحيد لمثل هذا التعريف هو الاشتقاق المفترض لنيشروخ من الجذر نسر ، والذي يعني في بعض اللغات السامية (صقراً) أو (نسراً) . ولكن بما أن كلمة نسر لم تُعثر عليها في الآشورية بمعنى مماثل ، وبما أن كلمة نسروخ لم تظهر في أي مكان في النقوش ، فلابد أن نعتبر أنه

من المشكوك فيه إلى حد كبير أن يكون هناك أي صلة حقيقية بين الشكل ذي الرأس الصقر والإله الذي اغتيل سنحاريب في معبده . والقراءات المختلفة لنسخة السبعينية تجعل من غير المؤكد إلى حد كبير ما هو الاسم المكتوب فعلياً في النص الآشوري . إن اسم نسروخ ، الذي يختلف تماماً عن أي اسم إلهي موجود حتى الآن في السجلات الآشورية ، هو على الأرجح تحريف . وعلى أي حال ، لا توجد أسباب كافية لتحديد الإله المذكور ، أياً كانت القراءة الحقيقية لاسمه ، بالشخص ذي الرأس الصقر، الذي له مظهر عبقري مرافق وليس إلهاً ، والذي لم يكن بالتأكيد مدرجاً بين الآلهة الرئيسية في آشور ..

إن تمثيل الجن الشرير نادر نسبياً في النقوش الآشورية ومرة أخرى في حالة بعض التماثيل الغريبة التي عُثر عليها في خورساباد ، والتي سبق أن رُسم أحدها ، حيث كان لشخص بشري رأس أسد وأذنا حمار ، يبدو أن التفسير الأكثر طبيعية هو أن المقصود هو عبقري شرير . وفي حالة أخرى ، حيث نرى وحشين برأسين مثل التمثال الصغير المذكور آنفاً ، موضوعين على أجساد بشرية ، تنتهي أرجلهما بمخالب نسور وكلاهما مسلح بخناجر وهراوات ، ومنخرطين في صراع مع بعضهما البعض. يبدو أننا لدينا تمثيل رمزي لميل الشر إلى الانقلاب على نفسه ، وإضعاف نفسه بسبب الشجار الداخلي والاضطراب . وهناك عدد كبير من الحالات التي يهدد فيها شخص بشري ، برأس صقر أو نسر ، أسداً مجنحاً برأس بشري. شعار ناسردين بحزام أو هراوة . وقد نجد في هذه الصور روح الشر التي تهاجم إلهاً ، أو ربما إلهاً يعارض إلهاً آخر ، الإله ذو الرأس الصقر أو العبقري الذي يقود ناسردين (أي الحرب) إلى ما وراء الحدود الآشورية ..

وإذا انتقلنا من الأشياء إلى أسلوب العبادة في آشور ، فلابد أن نلاحظ منذ البداية الطابع الروحي القوي للدين الإيزيدي والذي تم فهمه بشكل مضطرب وغير موضوعي عند الذين ترجموا المخطوطات والنقوش الآشورية . فلم تكن صور الآلهة المعبودة تُنصَب في كل مكان ، كأمر طبيعي ، في كل معبد مخصص لتكريمهم فحسب ، بل كانت الآلهة في بعض الأحيان مرتبطة بصورهم إلى الحد الذي جعل التقدير الشعبي يتضاعف عندما كان لديهم عدة معابد شهيرة ، وفي كل منها صورة شهيرة . وهكذا نسمع عن خاتون فخرا في أربيل ، وخاتون فخرا في نينوى ، وخاتون

فخرا في بابل ، ونجد هذه الآلهة يُستدعى كل منها على حدة، كآلهة مميزة ، من قبل نفس الملك في نفس النقش . وفي حالات أخرى ، وبدون هذا التضاعف ، نلاحظ تعبيرات تشير إلى تحديد مماثل للإله الفعلي بالصورة المجردة . ويفتخر تغلث فلاسر الأول بأنه وضع تمثال لـ طاوسملك (أي صورهما) في أماكنهما . لقد كان

الآشوريون ينسبون التماثيل التي يحملونها من بلاد أجنبية إلى آلهة تلك البلاد ، وكان من المعتاد أن يضعوها في بعض المعابد الرئيسية في آشور . وقد نفترض أن جذور هذه الممارسة كانت اعتقاداً حقيقياً بالقوة الخارقة للطبيعة التي تتمتع بها التماثيل ذاتها ، وفكرة مفادها أنه مع امتلاك التماثيل ، تغيرت هذه القوة أيضاً وانتقلت من المهزومين إلى المنتصرين . كانت التماثيل الآشورية مصنوعة من الحجر أو الطين المخبوز أو المعدن . وقد تم الحصول على بعض تماثيل نبو وعشتار من الأنقاض . أما تماثيل نبو فهي عبارة عن شخصيات واقفة ، أكبر حجماً من الإنسان ، وإن لم تكن أكبر منه كثيراً . وقد تضررت كثيراً بفعل الزمن ، ومن الصعب الحكم بشكل حاسم على صانعها الأصلي ولكن إذا حكمنا من خلال ما يظهر ، يبدو أنها كانت ذات طابع أكثر خشونة وفظاظة من الألواح أو التماثيل الملكية . إن تماثيل نبو ثقيلة ، ورسمية ، وغير معبرة ، وغير متناسبة بشكل جيد ، ولكن هذه التماثيل لا تفتقر إلى بعض الهيبة الهادئة التي تترك انطباعاً قوياً لدى الناظر إليها . ومن المؤسف أن هذه التماثيل مشوهة ، مثل العديد من الأسود والثيران ، بسبب عدة أسطر من الكتابة المسمارية المنقوشة حول أجسادها ، ولكن هذا العيب الفني يغفره علماء الآثار ، الذين يتعلمون من الأسطر المنقوشة حقيقة أن التماثيل تمثل نيبو ، والوقت والظروف التي تم فيها تكريسها ..

ولم تظهر حتى الآن تماثيل معدنية بين الأشياء التي تم استردادها من المدن الآشورية . ومع ذلك ، يمكننا أن نستنتج من مقطع ناحوم الذي سبق هذا الفصل ، وكذلك من الاحتمال العام ، أن الآشوريين كانوا يعرفونها ويستخدمونها ، ويبدو أنهم سمحوا لها حتى بالدخول إلى معابدهم لا تقل عن التماثيل الحجرية . لا شك أن المعدن العادي المستخدم كان البرونز ، ولكن في آشور ، كما في بابل ، ربما تم استخدام الفضة ، وربما الذهب في بعض الحالات القليلة ، لصنع التماثيل ، في الحالات التي كان المقصود منها أن تكون بمثابة أدلة للعالم بأسره على ثروة وعظمة الملك كان الآشوريون يعبدون آلهتهم بشكل رئيسي بالقرابين الحيوانية والقرابين النباتية ، ويروي تيغلث فلاسر الأول أنه قدم التضحيات إلى آدي وطاوسملك عند الانتهاء من إصلاح معبدهم . ويقول آشور ناصر بال أنه قدم التضحيات للآلهة بعد إبحاره في البحر الأبيض المتوسط . لقد قدم فولوش الرابع تضحيات لآدي ، وإيزيد ، وشيشمس ، وشسين في عروشهم العليا في بابل ، وبورسيبا ، وكوثا . كما قدم سنحاريب تضحيات لـ طاوسملك على شاطئ البحر بعد رحلة استكشافية في خليج البصرة . كما قدم أسرحدون (تضحيات عظيمة ومكلفة) في نينوى بعد الانتهاء من بناء قصره العظيم في تلك العاصمة . ومن الواضح أن التضحية كانت تعتبر واجباً من واجبات الملوك عموماً ، وكانت الوسيلة العادية التي استرضوا بها آلهة البلاد ..

أما فيما يتصل بطريقة التضحية ، فليس لدينا إلا قدر ضئيل من المعلومات ، مستمدة من عدد قليل للغاية من النقوش البارزة . وتتحد هذه النقوش في تصوير الثور باعتباره الحيوان القرباني الخاص . ففي إحدى النقوش نرى

ببساطة ثوراً يحضره الملك إلى المعبد ، ولكن في نقوش أخرى أكثر تفصيلاً ، يبدو لنا أن مشهد التضحية بأكمله قد تم تقديمه أمامنا إلى حد ما وهذا الطقس ايزيدي بحت ، إن لم يكن بالضبط نحو مقدمة المعبد ، حيث يظهر الإله ، الذي يمكن التعرف عليه من قبعته ذات القرون ، جالساً على عرش ، ومعه كاهن مرافق ، ليس له لحية ، يؤدي له العبادة ، يتقدم موكب يتألف من الملك وستة كهنة ، يحمل أحدهم كأساً ، بينما يعمل الخمسة الآخرون حول الحيوان . يسكب الملك القربان على وعاء كبير مثبت في حامل ، مباشرة أمام مذبح ناري مرتفع ، تتصاعد منه النيران . وخلفه مباشرة يقف الكاهن ومعه كأس ، وقد نفترض أن الملك سيسكب منه قرباناً ثانياً . ثم نرى كاهناً ملتحياً يقف أمام الثور مباشرةً ، ويراقب تقدمه ، ولا يجوز تقديمه إلا بعد انتهاء القربان ، ويحمل الثور أيضاً اثنان من الكهنة ، يسيران خلفه ويقيدانه بحبل مربوط بإحدى رجليه الأماميتين أعلى حافره بقليل . ويكمل الموكب اثنان آخران من الكهنة ، يتبعان عن كثب خطى الزوج الأول: ويبدو الأربعة ، من وضع رؤوسهم وأذرعهم ، منخرطين في ترنيمة مهيبة . ومن المحتمل ، من اللهب الموجود على المذبح ، أن يكون هناك بعض الاحتراق للذبيحة ، بينما من الواضح ، من كون المذبح صغير الحجم ، أنه لا يمكن تناول سوى أجزاء معينة من الحيوان عليه يمكننا أن نستنتج من ذلك أن التضحيات الآشورية كانت تشبه تضحيات الأمم الكلاسيكية ، حيث لم تكن تتكون من قرابين محترقة كاملة ، بل من مجموعة مختارة من الأجزاء ، التي اعتبرت مرضية بشكل خاص للآلهة ، والتي كانت توضع على المذبح وتحرق ، بينما كان بقية الضحية يستهلكها الكهنة أو الناس ..

كانت مذابح الآشوريين مختلفة الأشكال والأحجام . كان أحد الأنواع مربعاً ، ولا يرتفع كثيراً ، وكان قمته مزخرفة بخطوط منحنية ، وكانت الجوانب أسفلها إما مسطحة أو مضلعة . وكان نوع آخر متوسط الارتفاع أيضاً ، مثلث الشكل ، ولكن قمته دائرية ، ويتكون من حجر مسطح واحد ، مسطح تماماً، باستثناء أنه كان أحياناً يُنقش حول الحافة النوع الثالث هو الذي تم تمثيله في مشهد التضحية . هذا نوع من الحامل المحمول ضيق ، ولكن ارتفاعه كبير ، ويصل تقريباً إلى ذقن الرجل . يبدو أن مذابح من هذا النوع كانت تحملها الآشوريون في بعثاتهم نراها أحياناً في معابد الإيزيديين ، ونرى الكهنة يؤدونها بملابسهم الرسمية . بالإضافة إلى تضحياتهم من الحيوانات ، اعتاد الملوك الآشوريون إيداع العديد من المنتجات الثمينة من البلدان التي اجتاحوها في بعثاتهم في معابد آلهتهم ، كقرابين شكر . وقد ذُكرت الأحجار والرخام من مختلف الأنواع ، والمعادن النادرة، وصور الآلهة الأجنبية على

وجه الخصوص ، ولكن يبدو أن من المرجح أن جزءًا من كل الأشياء الأكثر قيمة كان مخصصًا لهذا الغرض . ومن المؤكد أن الفضة والذهب كانا يستخدمان على نطاق واسع في تزيين المعابد الايزيدية ، التي يقال أحياناً إنها صُنعت (بشكل رائع مثل الشمس) ، بسبب الاستخدام الواسع النطاق لهذه المعادن الثمينة عليها ..

من الصعب تحديد كيفية أداء العبادة العادية للآلهة الايزيدية . فالمنحوتات في معظمها عبارة عن آثار أقامها الملوك وتماثيل وعندما تكون ذات طابع ديني فإنها تمثل أداء الملوك لواجباتهم الدينية ، ولا يمكن تجاهل استنتاج الكثير من ذلك فيما يتعلق بالطقوس الدينية للشعب . ويبدو أن الملوك قد جمعوا بين الطابع الكهنوتي والملكي في آن واحد معاً ، وفي المشاهد الدينية التي تمثل أعمال عبادتهم ، لا يتدخل أي كاهن بينهم وبين الإله ، ولا يبدو أنه يتولى أي

منصب سوى منصب تابع للغاية . يقف الملك نفسه ويعبد على مقربة من الشجرة المقدسة ، ويسكب القرابين بيده ، وليس من المستبعد أن يكون له الحق في التضحية بضحايا بذراعه ، وتثبت ترجمة نقوش خورسباد أن كل الطقوس الدينية الايزيدية في العصر الآشوري كانت موجهة لإله موحد ولا تمت بأي صلة للوثنية والأصنام وهو ما فند الكثير من الأكاذيب التي ألصقت بالحضارة العراقية القديمة على أنها كانت ديانة تعبد الطبيعة والأوثان ..

ولكننا لا نستطيع أن نتصور أن الشعب كان يتمتع بهذه الامتيازات ، فقد سادت الأفكار الكهنوتية الإيزيدية في كل الممالك الآرامية تقريباً ، ومن المعروف أنهم كانوا يتمتعون بقبضة قوية على مملكة بابل المجاورة والمتصلة بها تقريباً . ومن المحتمل أن الآشوريين كانوا يقتربون من الآلهة عموماً من خلال كهنتهم ، ويبدو أن هؤلاء الكهنة هم الذين تم تصويرهم على الأسطوانات وهم يقدمون العابدين للآلهة ، وكانوا يرتدون أردية طويلة ويضعون على رؤوسهم تاجاً غريباً . ونادراً ما يأتي العابد خالي الوفاض . وعادة ما يحمل بين ذراعيه ظبياً أو عنزاً صغيراً ، وقد نفترض أن هذا كان قرباناً يهدف إلى استرضاء الإله ، وتشير المخطوطات الآشورية الى أن أغلب الكهنة كانوا من عشيرة يُطلق عليها داسنايا (الداسنيين) كانت في ذلك الحين كبرى العشائر الايزيدية في الشمال السومري وتسمى مدينتهم على إسمهم (داسن . دهوك حالياً) ..

ليس لدينا أي دليل على إقامة احتفالات محددة في آشور خارج نطاق الأعياد الايزيدية . ويبدو أن الملوك كانوا يقررون بإرادتهم متى ينبغي إقامة وليمة لأي إله ، وبعد الإعلان عن ذلك ، كان يتم إقامة العيد وفقاً لذلك . وكان يتم تجميع أعداد كبيرة ، وخاصة من كبار الرجال ، في مثل هذه المناسبات ؛ وكان يتم تقديم العديد من التضحيات ، وكانت الاحتفالات تستمر لعدة أيام . وكان يتم إيواء نسبة كبيرة من المصلين في القصر الملكي ، الذي كان المعبد عادةً مجرد ملحق به ، وكان يتم إطعامهم على نفقة الملك ، وكانوا يسكنون في القاعات والشقق الأخرى وكان يطلق على إحتفال من هذا النوع عشاء على شرف الإله الفلاني ..

يبدو أن المشاعر الدينية الإيزيدية كانت قوية ومتجذرة بين الآشوريين . ورغم أن الدين لم يكن له في آشور نفس الأهمية التي كان له في مصر ، أو حتى في اليونان ، ورغم أن المعبد كان تابعاً للقصر وأن أعظم صور الآلهة كانت مهينة إلى حد أنها كانت مجرد زخارف معمارية إلا أن الآشوريين كانوا يبدون متدينين حقاً ، بل وحتى بجدية . ولابد من الاعتراف بأن دينهم كان ذا طابع حسي وحدسي في نفس الوقت ويولون إهتماماً كبيراً لموضوع التنوّر والبحث عن الخلود . فلم يمارسوا عبادة الصور أو الأصنام أو الأوثان ، بل آمنوا بالقدرة الفعلية للآلهة على توفير الحماية أو إحداث الأذى ، وكانوا يرتقون إلى مفهوم الإله الروحي غير المادي المحض . وكانت عبادتهم العادية أقل من الصلاة ، بل كانت عبادة عن طريق التضحيات والقرابين . ومع ذلك ، فإننا نعلم أنهم كانوا قادرين في وقت الضيق على رفع الصلوات الصادقة ، ولذلك ، فإننا ملزمون بأن ننسب إليهم غرضاً صادقاً فيما يتعلق بالعديد من الخطب والابتهالات الجليلة التي ترد في وثائقهم العامة والخاصة . وتشهد الألواح الأسطورية العديدة على القدر الكبير من الاهتمام الذي أولوه للمواضيع الدينية من قبل العلماء ، في حين يبدو أن الطابع العام لأسمائهم ، وممارسة نقش

الشخصيات والرموز المقدسة على خواتمهم ، والتي كانت عالمية تقريباً ، تشير إلى روح التقوى من جانب عامة الناس ..

ولقد أدى الطابع الحسي للدين بطبيعة الحال إلى إقامة احتفالات فخمة ، وحب الاستعراضات المواكبية ، واستخدام الملابس الفخمة . وقد تم تصوير هذه الملابس الأخيرة بدقة بالغة في منحوتات نمرود . ويبدو أن فساتين أولئك الذين يشاركون في الوظائف المقدسة كانت مطرزة بشكل متقن ، في الغالب بشخصيات ورموز دينية، مثل الدائرة المجنحة ، ومخروط الصنوبر ، والرمان ، والشجرة المقدسة ، والأسد برأس إنسان ، وما شابه ذلك وكان الكهنة الذين يؤدون الطقوس الدينية يرتدون الأساور والقلائد والأقراط ، وكانت رؤوسهم إما محاطة بشريط مزخرف بشكل غني ، أو مغطاة بغطاء رأس أو قبعة عالية ذات مظهر مهيب . وكان للموسيقيين مكان في المواكب ، وكانوا يرافقون الاحتفالات الدينية بالعزف أو الترانيم ، أو في بعض الحالات ، ربما بكليهما ..

كانت هذه هي السمة العامة للدين الآشوري . وليس لدينا وسيلة لتحديد ما إذا كان أصل الكون عند الكلدانيين يشكل أي جزء من النظام الآشوري ، أو كان محصوراً في البلاد السفلى . ولا يخبرنا أي كاتب قديم بأي شيء عن المفاهيم الآشورية حول هذا الموضوع ، كما لم يلق فك رموز الآثار أي ضوء عليها حتى الآن لقد مارس التسلسل الزمني للمملكة الآشورية لفترة طويلة أحكام العلماء وقسمها . فمن ناحية ، أعطى كتسياس وأتباعه العديدون بما في ذلك من بين القدماء سيفاليون وكاستور وديودوروس الصقلي ونيكولاس الدمشقي وتروجوس بومبيوس وفيليوس باتركولوس ويوسيفوس ويوسابيوس وموسى الكوريني للمملكة مدة تتراوح بين ثلاثة عشر وأربعمائة عام ، ونقلوا تاريخها القديم إلى وقت يكاد يكون متزامناً مع تأسيس بابل ، ومن ناحية أخرى ، فضل هيرودوتس ، وفولني، وإيليرين، وب. ج. نيبور، وبرانديس، وكثيرون غيرهم ، تسلسلاً زمنيًا يحد من مدة المملكة إلى حوالي ستة قرون ونصف ، ويضع البداية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد عندما كانت إمبراطورية مزدهرة موجودة بالفعل في كلدانيا ، أو بابل ، لمدة ألف عام ، أو أكثر . تظل الأسئلة المطروحة على هذا النحو ، على الرغم من المجلدات التي كتبت عنها ، غير محسومة حتى الآن ، وسيكون من الضروري مناقشة أسئلتهم بالتفصيل في هذا المكان ، قبل الدخول في المخطط التاريخي اللازم لإكمال روايتنا للملكية الثانية .

الفصل الرابع

الحفريات في آشور وبابل

لقد أعقب فترة الاستكشاف في بابل عصر التنقيب ، ولكن هذا التعاقب لم يكن سريعاً كما كان متوقعاً . فقد كان تاريخ التقدم بطيئاً ، وكان هناك الآن توقف قبل أن يبدأ العمل النهائي الحقيقي . ولكن هذا التوقف كان مليئاً بالتحضير ..

في عام 1823 جاء يوليوس موهل من توبنجن ، حيث حصل في العام السابق على درجة الدكتوراه ، إلى باريس ، ليصبح تلميذاً لأعظم مستعرب في ذلك الوقت ، سيلفستر دي ساسي ، الذي ظهر اسمه بالفعل في قصة فك الرموز . وفي عام 1840 أصبح موهل أحد أمناء الجمعية الآسيوية ، وبالتالي أصبح مرتبطاً بشكل دائم بالعاصمة الفرنسية . ورغم أن أساتذته علموه الكلاسيكيات العربية بدلاً من تعلم الشرق القديم ، إلا أنه كان مع ذلك مليئاً بالرغبة في معرفة تاريخه ولغته وأدبه . وفي الوقت الذي توقفت فيه عمليات الاستكشاف البابلي ، زار موهل لندن ، وهناك رأى اللوح البابلي المنقوش الذي جمعته شركة الهند الشرقية . وكان يملؤه اعتقاد راسخ بأن هذه اللوح الصغيرة كانت بمثابة وعد بأدب هائل مدفون ينتظر مجرفة الحفر . وعاد إلى باريس ليقرأ عن التلال في بابل وآشور ، وليتأمل الكنوز التي لا تُحصى والتي لابد وأن تخرج إلى النور إذا ما بحثنا عنها على النحو اللائق . ولم تسنح الفرصة لموهل نفسه للذهاب إلى آشور أو بابل للبحث عن هذه الآثار المفقودة منذ زمن بعيد ، ولكن سرعان ما جاء الوقت الذي كان بوسعه فيه أن يثير دعوة أخرى إلى ذلك ..

في عام 1842 أنشأت الحكومة الفرنسية في الموصل قنصلية فرعية . ولم تكن التجارة الفرنسية مع المنطقة تستدعي ذلك أو تتطلبه لكن اللعاب يسيل عندما تستخرج ألواح من اللازورد الأحمر منقوش بعلوم سرية بخط من ذهب خالص لا مثيل له في هذا العصر وكل لوح يتجاوز سعره من خلال المعدن فقط المائة مليون فرنك فرنسي ناهيك عن العلوم المنقوشة عليه ، وكان الانطلاق الجديد في الواقع لصالح الدراسة الأثرية لإنشاء بعثة أثرية فرنسية في هذا المكان الذي اختير بسعادة . وكان الرجل الذي اختير لشغل المنصب الجديد مناسباً تماماً لهذا المنصب . كان بول إميل بوتا في السابعة والثلاثين من عمره آنذاك ، وكان يتمتع بحماس الشباب الكامل وتأثير الخبرة العالمية المستقرة . وكان قد خدم قنصلاً فرنسياً في الإسكندرية ، ولابد أنه تعلم هناك أساليب الدراسة الأثرية التي حقق الفرنسيون فيها نجاحاً باهراً . وقبل أن يغادر بوتا باريس لتولي منصبه الجديد ، رسّخ متحف الآثار الفرنسي في ذهنه بقوة أن الفرصة سانحة له الآن للحفر ، وليس مجرد وصف واستكشاف ورسم التلال المقابلة للموصل . فقد تم العمل التمهيدي المتمثل في رسم وفحص هذه التلال على نحو جيد ، ولم تعد هناك حاجة إلى المزيد . وقد جعل ريتش من غير الضروري على الإطلاق لأي من أتباعه تكرار المزيد من هذا العمل . كان من واجب بوتا الآن أن يحفر تحت سطح التلال المذكورة كثيراً ، وأن يحدد في النهاية ما إذا كانت تغطي أي بقايا من مدينة نينوى القديمة . وقد

اقتنع بوتا بذلك ، فخرج إلى الموصل ليشغل قنصليته في الخامس والعشرين من مايو/أيار 1842. وكان ذلك حدثاً تاريخياً في سجلات الدراسات الآشورية ..

لقد وجد الدبلوماسي الفرنسي وعالم الآثار ، الذي كانت ملامح وجهه تحمل الخطوط الرفيعة التي تميز العلماء وليس علامات رجل العالم ، نفسه في مكان لا يليق بمن عاش في باريس ، أو حتى في مكان الإسكندرية المريح نسبياً . كانت الموصل مدينة صغيرة حقيرة بالنسبة لهُ ، مبنية من الطين مع الحجارة بعد أن تم نهب تماثيلها وحجارتها العملاقة طوال مائة عام على يد البريطانيين والعثمانيين ، تقع على الضفة اليمنى أو الغربية لنهر دجلة .كانت ذات يوم تمتلك تجارة واسعة مع الشرق ، ولا تزال تحتفظ ببقاياها . ويبدو أن بوتا لم يكن يهتم كثيراً بالمدينة أو سكانها المتعصبين كما وجدهم ، ولولا تعليقات لايارد ، لما كنا لنعرف إلا القليل عن ماهية المدينة في ذلك الوقت . إن رسائل بوتا لا تكاد تذكرها إلا إشارة عابرة . فعندما وقف على ضفاف نهر دجلة ، كان بوسعه أن يرى نهر الخوصر وهو يفرغ مياهه البطيئة الموحلة في النهر الكبير . وكان بوسع العين أن تتبع النهر الصغير عائداً عبر سهل يذوب في جبال العراق الشمالية في الشرق والشمال الشرقي . وعلى هذه السهول كانت توجد بضع قرى بائسة ، كانت بيوتها بيوت فلاحين يخافون من جابي الضرائب العثماني أكثر من خوفهم من الموت . وكان لباشا الموصل سلطان على هذه القرى ، وكان سلطانه أبوياً في سلطته الشديدة التي كانت دموية الى أبعد الحدود وكانت هذه الأرض ذات يوم تعول عدداً هائلاً من السكان وزينة كوكب الأرض ؛ ولا شك أن التاريخ الذي خلفه الإغريق والرومان جعل من هذا أمراً ممكناً فقد تعلموا البناء والحضارة من سكانها. وإلى جانب هذه القرى البائسة كانت أبرز الأشياء التي يمكن ملاحظتها هي عدة تلال ضخمة . وقد وصفها بوتا مراراً وتكراراً من قبل ، وكان يعرف تماماً ما يفترض أن تكون عليه ..

وعندما نظر إلى هذه التلال رأى أول ما لفت انتباهه جنوب جبل الخوصر ، على يمينه وهو ينظر عبر النهر . قد يبدو هذا التل للعين غير المدربة للوهلة الأولى مجرد تل ، من صنع الطبيعة ، لكن قمته كانت مسطحة للغاية ، وجوانبه منتظمة وشديدة الانحدار بشكل غير طبيعي . وعلى قمته كان يرتفع مسجد ، وتحيط به عدة منازل فقيرة تشكل قرية صغيرة . وكان اسم التل هو نبي يونس ، أي النبي يونان وقد أقيم المسجد تكريماً له وتخليداً لذكراه . وتحت التل ، كانت عظام النبي ، وفقاً لتقاليد السكان الأصليين . وعندما نظر إلى الشمال على الجانب الآخر من جبل الخوصر ، رأى تلاً أكبر يسمى تل كوجك ، حيث كانت هناك أيضاً بعض المساكن البشرية .كان هذا التل أكبر من الآخر ، وخلفهما كان هناك خط مرتفع بدا وكأنه يوحد بين التلتين ، وربما يشير إلى بقايا خط جدار قديم كان يحيط بهما. وعلى مسافة أبعد من نهر دجلة ، على الأرض المرتفعة على طول نهر الخوصر الأعلى وعلى بعد أربعة عشر ميلاً إلى الشمال الشرقي من الموصل كان هناك تل آخر يضم قرية تسمى خورساباد وكانت هناك تلال أخرى أصغر حجماً إما في الأفق أو كانت معروفة من أوصاف المسافرين أو من السكان الأصليين . ألقى بوتا نظرة على الحقل وتساءل من أين يبدأ. وكانت أول تجربة محبطة له نتيجة لمسح دقيق لمدينة الموصل نفسها . فقد أوهمه أحدهم بأنه كما بُنيت المدن المحيطة بأطلال بابل من الطوب المستخرج من بقايا المدينة القديمة ، فإنه سيجد

في الموصل أكواخاً مبنية من الطوب المأخوذ من المدينة القديمة . لذلك كانت خطته أن يجوب الموصل ويبحث عن علامات الطوب القديم ، وخاصة أي طوب منقوش عليه حروف مسمارية . ثم يتحقق من أي تل جاء منه هذا الطوب . ولدهشته الكبيرة وإحباطه لم يجد أي آثار من الماضي ، وبالتالي لم يكن لديه أي تلميح إلى المكان المناسب لبدء الحفريات . كانت التلال ضخمة إلى الحد الذي منعه من البحث العشوائي ، فبدأ عملية استجواب السكان الأصليين بشأن أي اكتشافات قد يعرفها . وبالتدريج ، تم إحضار بعض قطع الحجارة المنقوشة من مخابئها ، واشتراها من أصحابها . وقد انتشرت هذه الأخبار المدهشة حول قدوم رجل إلى الموصل لشراء الحجارة القديمة في جميع أنحاء البلاد ، وتلقى عروضاً عديدة لقطع من الحجر والطين . ولكن حتى مع كل هذا الإعلان عن رغباته ، كان عدد الآثار المعروضة أقل بكثير من تلك التي أبلغ عنها المسافر العابر في بغداد أو في الحلة . وعلاوة على ذلك، كان من الصعب التأكد من المكان الذي حصل فيه السكان الأصليون على ما عُرض عليه ، لأنهم كانوا يرغبون بطبيعة الحال في العمل في هذه المناجم لتحقيق مكاسبهم الخاصة وعدم السماح للفرنجة بمعرفة مكان وجودها بالضبط .
انحرف عقل بوتا تدريجياً إلى فكرة أن التل الأكثر وعداً هو نبي يونس ودرس بعناية إمكانية الحفر هناك . ولكن في النهاية ثبطت عزمه على هذا الهدف بسبب حقيقة محرجة وهي أن قرية كانت تشغل الجزء الأكبر من قمة التل ، الأمر الذي كان من شأنه أن يجعل الحفر مستحيلاً تقريباً دون الانهيار التام وخراب الأكواخ البائسة . فضلاً عن ذلك كانت هناك قبور إسلامية في التل ، وفوق كل ذلك ، ألم يكن يونان نفسه مدفوناً تحت سطحه ؟ إن إزعاج بقعة مقدسة كهذه من شأنه أن يعني ثورة بين السكان الأصليين والتي قد تشعل المنطقة بأكملها بالتعصب . لذلك تم التخلي عن هذه الخطة واختير تل كوجك للجهود الأولى في البحث . عند الحافة الغربية لهذا التل بالقرب من الطرف الجنوبي ، يمكن رؤية عدد قليل من الطوب الكبير الذي تم ربطه بالبيتومين . بدا الأمر كما لو كان هذا يعطي أملاً في أن هذه الطوب تنتمي إلى مبنى قديم (السكان قالوا بأن الإنكليز أخذوا الحجارة من المكان وبنو بديلاً لهُ من الطوب). لذلك بدأ بوتا الحفر هنا في ديسمبر 1842. كانت أمواله محدودة للغاية ولم يكن بوسعه توظيف سوى عدد قليل من العمال ، الذين كانت حركتهم البطيئة لا تبشر بنتائج تذكر . ومع ذلك ، اكتشف العمال بعض شظايا النقوش البارزة وقطع مكسورة من النقوش الأثرية . استمر العمل لمدة ثلاثة أشهر ولم يتم العثور على أي شيء كبير أو ثمين أو جميل من الخنادق الصغيرة أو الآبار. كان ما تم العثور عليه مثيرًا للاهتمام حقاً ، لأنه قدم دليلاً إيجابياً على أن هذا التل كان يغطي بالفعل بعض المباني القديمة ..
ولكن العثور على قطع مكسورة فقط ، وليس آثاراً كاملة ، كان محبطاً وفي حين كان هذا العمل جارياً ، تجمع السكان حول الخنادق وراقبوا بفضول العمل البطيء والدقيق . لم يكونوا يعرفون ماذا يعني كل هذا ، ولكن كان من الواضح تماماً أن هذا الرجل كان يبحث عن نقوش وكنوز ، أياً كانت . فكل قطعة صغيرة عُثر عليها تحتوي على أي من هذه العلامات الصغيرة الغريبة على شكل إسفين ، كانت مرقمة بعناية ووضعت جانباً . ولاحظ أحد المارة الذي كان منزله في خورساباد هذا الإجراء ، وفي غضون الشهر الأول من أعمال الحفر أحضر من خورساباد لبنة كبيرة عليها نقوش ، وعرض بيعها إلى بوتا. وأعطاه هذا إشارة إلى أن خورساباد ربما تكون تلة أكثر ربحية للحفريات

. ومع ذلك ، كان لا يزال يأمل في النجاح في تل كوجك ، واستمر في العمل. وأخيراً ، في 20 مارس 1843، خاب أمله في هذا التل ، وقرر إرسال بضعة رجال إلى خورساباد لتجربة التلة هناك . كان قراره موفقاً . فبعد ثلاثة أيام وصلت إليه رسالة في الموصل تفيد بأن الآثار والنقوش قد عثر عليها بالفعل . إلا أنه كان متشككاً ، خوفاً من أن تكون السجلات مجرد كتابات جدارية عربية متأخرة ، ولذلك لم يكن راغباً في الذهاب بنفسه خشية أن يتبين أن ما عثر عليه لا قيمة له . فأرسل خادماً يحمل تعليمات بنسخ بعض النقوش ثم تقديم تقرير. وأثبت الرد بما لا يدع مجالاً للشك أن الآثار كانت آشورية حقاً . وعلى هذا فقد ذهب بوتا إلى مكان الحادث ليشاهد مشهداً أذهلته عيناه ..

لقد عثر عماله على جدار قديم محفوظ جيداً ، ليس لمدينة ، بل لمبنى . وقد تتبعوا هذا الجدار ، فاكتشفوا غرفة كبيرة ، كانت ترقد فيها شظايا من المنحوتات المحروقة بالنار ، إلى جانب عدد من النقوش المحفوظة جيداً. ولم يتم التأكد من المعنى الكامل لهذه الغرفة الجديدة إلا بعد فترة طويلة ، ولكن بعض التقدير كان من نصيب بوتا ، وهو ينظر إلى الحفريات البدائية . لقد اعتقد على الفور أن هذه ليست سوى غرفة واحدة ، ربما كانت لقصر عظيم ، وأثبت هذا الافتراض على الفور من خلال حفر الآبار في عدة أماكن قريبة ، والتي خرجت منها نقوش بارزة أخرى ، محفوظة بشكل شبه كامل . وفي هذه النقوش ، رأى منظرًا لم يره أحد منذ سقطت المدينة الملكية العظيمة أمام أعدائها قبل أكثر من ألفي وأربعمائة عام . لم يكن بإمكان بوتا البقاء في خورساباد إلا يوماً واحداً ، ثم كان عليه العودة إلى الموصل لأداء واجبات أخرى . ومن ثم كتب في الخامس من إبريل سنة 1843 رسالة هادئة مهيبة إلى صاحب حماسه الأول ، يوليوس مول . ولم يرد في الرسالة أي كلمة من الحماس ، ولكنها دفعت مول إلى التبرع من جيبه الصغير ، وأرسلته أيضاً إلى أكاديمية النقوش ومعه رسالة بوتا والرسوم البيانية المرفقة بها. وفي غضون ذلك ، استمرت أعمال الحفر ببطء ، وإن كان ذلك مصحوباً ببعض المعارضة من جانب الباشا . وبعد شهر واحد ، جاءت رسالة ثانية أكثر أهمية ، دفعت الحكومة الفرنسية إلى اتباع خطها القديم المتمثل في تقديم المساعدة السخية للأبحاث الأثرية ، ووضعت ثلاثة آلاف فرنك تحت تصرف بوتا لإجراء المزيد من الأبحاث ..

ولقد بدا مسار بوتا واضحاً ونجاحه مؤكداً بفضل الدعم الفرنسي ، والتشجيع الذي قدمه له مول النشط دوماً ، إلا أنه واجه صعوبات شديدة . فقد كان المناخ خطيراً ، وكاد أن يقع ضحية. وكان السكان الأصليون يشكون فيه إلى حد لا يقاس فقد كانوا يعتبرون الباحثين عن الآثار مجرد لصوص حضارة ليس إلاّ ، فعرقلوا عمله في كل خطوة . فقد ظن البعض أنه كان يحفر بحثاً عن كنز مدفون ، وأن هذه النقوش التي كان ينسخها كانت بمثابة حراس تعويذة يستطيع من خلالها معرفة موقعه الدقيق . وظن آخرون أنه كان يبحث عن سندات ملكية قديمة ليثبت من خلالها أن كل هذه الأرض كانت مملوكة للأوروبيين ، الذين قد يطالبون باستردادها . وقد وصلت هذه القصص وغيرها إلى مسامع محمد باشا ، الذي كان يحكم باشا الموصل آنذاك ، فشرع تدريجياً في سياسة القمع فقد وضع أولاً حراساً على عمال بوتا ، وكان عملهم الاستيلاء على أي قطعة معدنية قد يجدونها وإرسالها إليه ، حتى يتم فحصها بعناية لتحديد ما إذا كانت من الذهب . ولقد تسبب هذا في إحداث قدر ضئيل من الإزعاج لبوتّا ، ولم يكن الأمر

يستحق العناء ، وسرعان ما شعر بأنه مضطر إلى اللجوء إلى تدابير أكثر صرامة . فقد سمح لبوتّا ببناء كوخ صغير لنفسه حيث قد يجد مكاناً للراحة عندما يأتي في زيارات من الموصل . ثم تظاهر الباشا الماكر بأن هذا كان في الواقع حصناً وأن الخنادق كانت دفاعاته . ومن الواضح أن نية بوتّا كانت إخضاع البلاد بقوة السلاح وفصلها عن ممتلكات السلطان . وبناءً على هذه التصريحات ، أمر الباب العالي بوقف جميع أعمال الحفر على الفور . وكان بوتّا على قدر من الشجاعة لمواجهة هذه الحالة المؤلمة . ففي الخامس عشر من أكتوبر/تشرين الأول 1843، أرسل ساعياً إلى السفير الفرنسي في القسطنطينية ، متوسلاً إليه أن يقدم إلى الباب العالي مثل هذه التصريحات التي قد تضمن له الإذن بمواصلة أعمال الحفر ..

وبينما كانت هذه الالتماسات معلقة وسط التأخيرات المعتادة في القسطنطينية ، كان الباشا الماكر يتظاهر أمام بوتا بأن كل الصعوبات التي يواجهها ترجع إلى أهل خورساباد ، وليس إلى مؤامراته الخاصة من أجل الحصول على الكنوز . يقول بوتا (لقد أخبرته ذات يوم أن الأمطار الأولى للموسم تسببت في سقوط جزء من المنزل الذي أقيم في خورساباد . فقال وهو يضحك بطريقة طبيعية للغاية .. ويتجه إلى الضباط العديدين الذين أحاطوا به.. هل تتخيلون أي شيء يشبه وقاحة سكان خورساباد ؟ إنهم يزعمون أن القنصل الفرنسي شيد حصناً هائلاً ، وأن القليل من المطر يكفي لتدميره . أستطيع أن أؤكد لك يا سيدي أنه لو لم أكن خائفاً من جرح مشاعرك ، لكنت أمرت بضربهم جميعاً بالعصا حتى الموت ، فهم يستحقون ذلك بجدارة ، لأنهم تجرأوا على اتهامك) لقد كان يتحدث بهذه الطريقة ، في حين أنه هو نفسه مؤلف الكذبة ، وكانت تهديداته وحدها هي العقبات التي منعت السكان من فضحها . وفي القسطنطينية ، وُجِدت صعوبات لا حصر لها وتأخيرات لا حصر لها ، ولم تصل الفرمانات التي تسمح بمتابعة العمل إلى بوتا في الموصل إلا في الرابع من مايو 1844. وقد أحضرها من القسطنطينية م. إي. فلاندين ، الذي أُرسل من باريس لنسخ ورسم جميع الآثار التي كانت ضخمة أو ثقيلة للغاية بحيث لا يمكن إزالتها . وقد تقرر بالفعل في باريس أن يتم نقل كل شيء آخر إلى هناك ..

وعندما حاول بوتا أن يبدأ أعمال الحفر من جديد ، وجد أنه من الضروري أن يهدم القرية الصغيرة حتى يتسنى له أن يحفر فوق التلة بأكملها . وقد تم ذلك بدفع المال لسكانها لكي ينقلوها إلى الأرض المستوية عند سفح التلة ، ثم الدخول في اتفاق لإعادة سطح التلة كما كان من أجل إعادة بنائها . واستمر العمل الآن على قدم وساق .

فنسخ بوتا النقوش ، بينما خطط فلاندين جميع الغرف والمباني التي تم العثور عليها ، وعمل ثلاثمائة عامل محلي بجهد باستخدام الفأس والمجرفة لكشف هذا الجزء من المدينة المدمرة . وتم العثور الآن على عشرات النقوش ، معظمها على الحجارة وذات طابع تذكاري . وظهرت إلى النور ثيران مجنحة ضخمة كانت تحرس أبواب القصر ذات يوم . وظهرت من الغبار والأوساخ نقوش بارزة ذات جمال كبير تصور مشاهد السلام والحرب . وتجاوز نجاح العمل كل آمال بوتا وكل تنبؤات موهل الحماسية ، وكاد يتجاوز اعتقاد العالم المتعلم في باريس . وفي أكتوبر/تشرين الأول 1844 ، أوقف بوتا العمل وسرعان ما بدأ في ترتيب نقل الآثار إلى باريس . وكانت الصعوبات كبيرة والتأخير مزعجاً ، ولكن في النهاية ، في ديسمبر/كانون الأول 1846 ، تم إنزال الكتلة الكاملة من المواد بنجاح في هافر ،

ومن ثم نقلها إلى باريس وإيداعها في متحف اللوفر . ولتتويج العمل ، نشرت الحكومة الفرنسية جميع رسومات فلاندين ، وجميع نسخ النقوش ، وجميع المواد الوصفية لبوتا في خمسة مجلدات رائعة ، بأسلوب يليق بالتقاليد الفرنسية والكرم الفرنسي في البحث الأثري ..

وهكذا انتهت الحملة الكبرى الأولى إلى آشور ، والتي نجحت في جلب أولى الآثار الآشورية التي رآها الغرب على الإطلاق إلى أوروبا ، بشهرة واسعة. لقد كان هذا عملاً نبيلاً قام به بوتا ، وفلاانداان ، وموهل، وفرنسا . ولعل بوتا كان ليعود إلى خورساباد أو إلى تلة أخرى في مقاطعة نينوى بعد نشر اكتشافاته ، لو لم يُرسَل إلى الخدمة الحكومية في مكان آخر . وربما كان عمله يستدعي عودته ، ولكن آخر سوف يستكمله قريباً ..

في الخامس من مارس/آذار 1817 ، وُلد في باريس صبي إنجليزي من أصل هوغونوتي ، وقد أيقظت تدريباته المبكرة ، التي جمعها هنا وهناك في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ، في نفسه حب الفنون الجميلة، والاهتمام بالآثار ، والشغف بالسفر . وفي أيام أوستن الصبيانية ، كان هنري لايارد يقرأ بشغف ألف ليلة وليلة بدراسة رحلات فيلو في آسيا الصغرى ، وبقراءة روايات ريتش عن اكتشافات بابل ونينوى . وكانت مذكرات ريتش تملؤه بالرغبة في رؤية هذه التلال العظيمة التي تقع تحتها آثار قديمة ذات أهمية لا توصف . وهنا نرى مرة أخرى ، كما حدث في كثير من الأحيان من قبل ، استمرارية البحث في هذه الأراضي ، وتأثير الحماس الذي انتقل من إنسان إلى إنسان

لحسن الحظ بالنسبة للعلم ، لم يكن تعليم لايارد متوازناً لدرجة أنه لم يؤهله لمتابعة مهنة ولم توقظ فيه دراسة القانون التي حاولها أي روح في داخله لذلك بقي تحصيله العلمي محصوراً بدراسة متوسطة لم يتمكنمن الحصول على شهادتها كان مقدراً له أن لا يكمل أي دراسة أخرى لكن الحماس الكافي للتغلب على العيوب المبكرة التي ظهرت لديه والتي كانت تجري في دمه دفعته للمغامرة ، وكانت أساليب إنجلترا الهادئة أكثر هدوءاً من أن تتناسب مع الروح الغالية بداخله أو الإندفاع الأعمى . لذلك قرر البحث عن مهنة في سيلان ، وفي عام 1839، عندما كان صبياً في المظهر ولم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، شرع في القيام برحلة برية برفقة إدوارد ليدويتش ميتفورد. الذي كان عازماً على نفس المهمة . كان ميتفورد أكبر سناً من لايارد بعشر سنوات تقريباً وكان لديه خبرة في المغرب ، حيث تعلم اللهجة العربية المستخدمة هناك . قبل الشروع في هذه الرحلة ، تعلم لايارد القليل من العربية والفارسية ، وحاول إجراء استعدادات متسرعة أخرى للرحلة الخطرة عبر أراضٍ غير معروفة تقريباً ، وسط حيوانات متوحشة وحتى رجال أكثر وحشية . وعند وصوله إلى همدان في بلاد فارس ، تخلى لايارد عن خطته في البحث عن الثروة في سيلان ، وهنا انتصر علم الآثار على التجارة لأن كنوز علم الآثار كانت تغري كل شباب أوربا من أجل الثراء السريع . وواصل ميتفورد طريقه إلى سيلان ، وعاد لايارد إلى غرب آسيا ..

في العاشر من مايو/أيار 1840، رأى لايارد الموصل لأول مرة ، وفحص بفضول بعض التلال على الضفة المقابلة ، والتي علمها لايارد من ريتش أنها بقايا نينوى . لم تترك تلال كوجك وكونجي ونبي يونس انطباعاً كبيراً على لايارد كما فعلت تلة نمرود العظيمة ، الواقعة إلى الجنوب منها . ولكن كل ذلك أثار في نفسه شوقاً عميقاً لمعرفة أسرارها . وحتى في ذلك الوقت كان بوسعه أن يقول (لقد تركت هذه التلال الضخمة من آشور انطباعاً أعمق عليّ ،

وأثارت في نفسي تفكيراً أكثر جدية وتأملاً أكثر جدية ، من معابد بعلبك أو مسارح إيونيا) وتعمق هذا الشعور عندما رأى المزيد من نمرود أثناء ركوبه قارباً على نهر دجلة باتجاه بغداد وكانت كلماته بمثابة وعد بالعمل الذي كان من المقرر أن يتبعه ..

يقول لايارد ((كان المساء قد حل حين اقترب خمسة أشخاص من المكان . كانت أمطار الربيع قد كسوت التلال بأغنى الخضرة ، وكانت المروج الخصبة الممتدة حولها مغطاة بأزهار من كل لون . وفي وسط هذه النباتات المورقة كانت هناك أجزاء قليلة من الطوب والفخار والمرمر مخفية جزئياً ، والتي يمكن تتبعها بأوتاد محددة جيداً من الطابع المسماري . ولو لم تكن هذه البقايا علامة على طبيعة الخراب ، لكان من الممكن الخلط بينها وبين ارتفاع طبيعي. كان هناك خط طويل من التلال الضيقة المتتالية ، التي لا تزال تحتفظ بمظهر الجدران أو الأسوار ، ممتداً من قاعدته ، وشكل مربعاً واسعاً . كان النهر يتدفق على مسافة ما من هذه التلال ، وكانت مياهه ، التي انتفخت بسبب ذوبان الثلوج على التلال الأرمنية ، تتكسر إلى ألف دوامة رغوية بواسطة حاجز اصطناعي بني عبر النهر. وعلى الضفة الشرقية ، جرف التيار التربة ، لكن كتلة صلبة من الأرض كانت لا تزال قائمة .

كانت كتلة البناء لا تزال صامدة أمام اندفاعها ، واستسلم العربي الذي كان يرشد طوافي الصغير للصيحات الدينية عندما اقتربنا من هذا الشلال الهائل ، الذي حملناه بعنف . وبمجرد أن عبرنا الخطر بأمان ، أوضح لي رفيقي أن هذا التغيير غير المعتاد في وجه النهر الهادئ كان سببه سد عظيم بناه نمرود ، وأنه في الخريف ، قبل أمطار الشتاء ، كانت الأحجار الضخمة التي بُني عليها السد ، مربعة وموحدة بمشابك من الحديد ، مرئية بشكل متكرر فوق سطح النهر . كان في الواقع أحد تلك الآثار لشعب عظيم يمكن العثور عليه في جميع أنهار بلاد ما بين النهرين ، والتي تم إنشاؤها لضمان إمداد ثابت بالمياه للقنوات التي لا تعد ولا تحصى ، والتي انتشرت مثل شبكة عبر البلاد المحيطة ، والتي كانت تُنظر إليها حتى في أيام الإسكندر على أنها أعمال أمة قديمة . فلا عجب أن تنسب تقاليد سكان البلاد الحاليين هذه الأعمال إلى أحد مؤسسي الجنس البشري! كان العربي يحدثني عن الصلة بين السد والمدينة التي بناها آثور ، ملازم نمرود ، والتي أصبحت أطلالها الضخمة الآن أمامنا وعن هدفها كطريق للصياد العظيم للعبور إلى القصر المقابل ، الذي يمثله الآن تل حمام علي وعن تاريخ ومصير ملوك العرق الشمساني الذي لا يزال الموضوع المفضل لسكان سهل سنجار ، عندما تلاشى آخر شعاع من الشفق ، وسقطت نائماً بينما انزلقنا نحو بغداد)) ..

ويضيف .. ((لقد أثار فضولي فضولي إلى حد كبير ، ومنذ ذلك الوقت قررت أن أقوم بفحص هذه الآثار الفريدة من نوعها والتي تمثل كنزاً لا يقدر بثمن ، كلما سنحت لي الفرصة ، إن القرار الذي عبرت عنه هذه الجملة الأخيرة مؤثر للغاية عندما نتذكر أنها كتبت في أبريل 1840. أي قبل عامين من رؤية بوتا للتلال . على الأقل في فكرة الحفريات)) ..

لقد سبق لايارد بوتا ، على الرغم من أن الحظ السعيد الذي حظي به الأخير منحه الأسبقية في الميدان . في مايو 1842، مر لايارد عبر الموصل في طريقه إلى القسطنطينية ، ووجد بوتا قد تم تعيينه كوكيل قنصلي وكان منخرطاً بالفعل في إجراء الحفريات في تل كونجي . كان لايارد رجلاً بلا كرامة ، حتى في شبابه ، لدرجة أنه شعر بحسد عميق

تجاه الفرنسي المحظوظ ، الذي كان يفعل الآن ما كان يحلم به . في العامين اللذين مضيا ، حاول لايارد تأمين المساعدة لتمكينه من القيام بمثل هذا العمل ، ولكن دون جدوى . ولم تكن حكومته سهلة الإغراء لمساعدة علماء الآثار كما كانت الحال مع حكومة فرنسا ، سواء كانت ملكية أو جمهورية . ثم عقد لايارد علاقات صداقة مع بوتا كي يتعلم فهم الكراريس التي أعطتها لهُ المخابرات البريطانية في كيفية تعيين الأماكن وطرق إستخراج الآثار

، ودخلا في مراسلات . وعندما شعر بوتا بالإحباط بسبب نجاحه الصغير ، كتب لايارد إليه يحثه على المثابرة من أجل إقتسام ما يخرج ، بوتا كان ذكياً ويعلم أن لايارد لا يمتلك أي مقومة من مقومات البحث عن الآثار إلاّ بشكل عشوائي وغبي ..

في وقت هذه الزيارة الثانية إلى الموصل ، كان لايارد في طريقه إلى منزله في إنجلترا بعد حصوله على قطعة أثرية أراد العودة وبيعها بأسرع ما يمكن من أجل جني الأموال . ومع ذلك ، فقد احتجز في القسطنطينية مع القطعة الأثرية وأرسل من هناك إلى سالونيك للتحقيقي معه من قِبَل السفارة البريطانية التي كانت ترغب بمعرفة سبب عدم تواصله معها . كان السفير البريطاني في القسطنطينية آنذاك السير ستراتفورد كانينج ، الذي أصبح فيما بعد اللورد ستراتفورد دي ريدكليف ، الذي حصل على رخام هاليكارناسوس للمتحف البريطاني . لقد زادت مهارته وصبره وحماسه في السعي للحصول على هذه الآثار من اهتمامه بالآثار القديمة . أخبره لايارد قصة التلال وقصة القطعة الثمينة التي يحملها معه وساومه ووعده بالمزيد من تلك التلال ، ووصف حرصه على محاولة الحفر فيها . أخيراً وجد الرجل المناسب ، وأعطاه السير ستراتفورد ستين جنيهاً إسترلينياً لإكمال طريقهِ ، وكان على لايارد أن يضيف إليها مبلغاً مماثلاً تم جمعه بين الأصدقاء حتى يتمكن من الوصول بسرعة الى لندن . غادر لايارد القسطنطينية بهذا المبلغ الصغير في أكتوبر 1845 ، وسافر بكل سرعة إلى الموصل . أصبح محمد باشا الآن حاكماً للولاية ، ولم يكن ليارد يتوقع منه أي مساعدة ، بل كان يتوقع منه كل تدخل ممكن . ولقد أخفى هدف مهمته على الرغم من أنه يحمل وثيقة بريطانية من المخابرات تؤمن لهُ حركتهِ ، ولكن بعد بضعة أيام أعلن أنه سيصطاد الخنازير البرية (طبعاً لم يكن خنازير برية في الموصل في ذلك الحين بسبب المجاعة) ، ثم غادر الموصل على متن طوف ليتجه إلى نمرود ، حيث كان قد قرر أن يبدأ أعمال الحفر . وهناك كان يأويه خيمة عربية ، وكان يراقبه قلوب أكثر رقة من قلوب الباشا . ويكشف سجله لليلة التي سبقت دق المجرفة الأولى في الأرض عن حماس الرجل ، ويعطينا بعض الدلائل على نجاحه العظيم !!

يقول لايارد عن رحلته ((قد نمت قليلاً خلال الليل . لم يكن الكوخ الذي احتمينا به ، ونزلاؤه ، يدعوان إلى النوم ، لكن مثل هذه المشاهد والرفاق لم تكن جديدة بالنسبة لي ، كان من الممكن أن أنساها لو كان عقلي أقل حماسة . لقد تحققت الآمال التي طالما تمنيتها أو انتهت بخيبة أمل ، كانت رؤى القصور تحت الأرض تغريني بقوة ، والوحوش العملاقة وتماثيلها ، والأشكال المنحوتة الثرية ، والنقوش التي لا نهاية لها تطفو أمامي ككنز .

بعد وضع خطة تلو الأخرى لإزالة الأرض واستخراج هذه الكنوز ، تخيلت نفسي أتجول في متاهة من الغرف التي لم أستطع أن أجد مخرجاً منها . ثم، مرة أخرى ، أعيد دفن كل شيء وكنت واقفاً على التل المغطى بالعشب . مرهقاً

، غرقت في النوم أخيراً عندما سمعت صوت عواد [مضيفه العربي] ، نهضت من سجادتي وانضممت إليه خارج الكوخ . كان النهار قد أشرق بالفعل ؛ عاد مع ستة عرب ، وافقوا على مبلغ صغير للعمل تحت إشرافي)) ..

ولقد استمرت أعمال الحفر التي بدأت على هذا النحو حتى شهر ديسمبر/كانون الأول وسط صعوبات مستمرة فرضها الباشا ، وكانت الخطط المتبعة هي نفس الخطط التي اتبعت ضد بوتا . وعندما استؤنفت أعمال الحفر ، بعد زيارة بغداد للتواصل مع السفارة ، توقف مرة أخرى بسبب تعصب العرب ، الذين عملوا ضد الحاكم الجديد للولاية ، إسماعيل باشا . وعندما استؤنفت مرة أخرى في فبراير/شباط 1846، غادر لايارد التل لزيارة شيخ مجاور ، وكان عائداً إلى التل عندما لاحظ اثنين من العرب يسارعان لملاقاته بوجوه متحمسة . وأفضل رواية لما تلا ذلك هي رواية لايارد نفسه ..

((عندما اقتربا مني توقفا . صاح أحدهما قائلاً .. أسرع يا بك ، أسرع إلى الحفارين ، فقد عثروا على نمرود نفسه. والله ، إنه لأمر عجيب ، لكنه حقيقي ! لقد رأيناه بأعيننا . لا إله إلا الله ، وبعد أن انضما إلى هذا التعجب المتدين ، انطلقا مسرعين ، دون أن ينطقا بأي كلمة أخرى ، في اتجاه خيامهما . وعندما وصلت إلى الأنقاض ، نزلت إلى الخندق الجديد ، ووجدت العمال ، الذين رأوني بالفعل وأنا أقترب ، واقفين بالقرب من كومة من السلال والعباءات . وبينما تقدم عواد وطلب هدية للاحتفال بالمناسبة ، سحب العرب الستار الذي بنوه على عجل وكشفوا عن رأس بشري ضخم منحوت بالكامل من مرمر البلاد لا يُقدر بأي ثمن . لقد كشفوا عن الجزء العلوي من تمثال عظيم ، كان ما تبقى منه لا يزال مدفوناً في الأرض . أدركت على الفور أن الرأس يجب أن يكون لأسد مجنح أو ثور ، يشبه أسد خورسباد ونينوى . كان في حالة حفظ رائعة . كان التعبير هادئاً ، ولكنه مهيب ، وأظهر مخطط الملامح حرية ومعرفة بالفن بالكاد يمكن البحث عنها في أعمال فترة بعيدة كهذه . وكان الغطاء يحتوي على ثلاثة قرون ، وعلى عكس ثيران الرؤوس البشرية التي وجدت حتى ذلك الحين في آشور ، كان الغطاء مستديراً وخالياً من الزخارف في الأعلى ، لم أفاجأ بدهشة العرب ورعبهم من هذا الشبح . لم يتطلب الأمر أي جهد في التخيل لاستحضار أغرب الخيالات . هذا الرأس العملاق ، الذي ابيض بفعل التقدم في السن ،

والذي يرتفع من أحشاء الأرض يكشف عن أن الآشوريين كانوا أعظم فنانيي النحت على مرّ العصور ، ربما كان ينتمي إلى أحد تلك الكائنات المخيفة التي تصورها تقاليد البلاد على أنها تظهر للبشر ، وهي تصعد ببطء من المناطق السفلية . عندما رأى أحد العمال الوحش لأول مرة ، ألقى بسلة وركض نحو الموصل بأسرع ما يمكن أن تحمله ساقاه علمت بهذا بأسف ، حيث توقعت العواقب ..

ويضيف ..

((بينما كنت أشرف على إزالة التراب الذي كان لا يزال ملتصقاً بالتمثال ، وأعطي التوجيهات لمواصلة العمل ، سمعت ضجيج الفرسان ، وفي الحال ظهر عبد الرحمن ، يتبعه نصف قبيلته ، على حافة الخندق . وبمجرد أن وصل العربيان إلى الخيام ونشرا العجائب التي رأياها ، ركب كل واحد فرسه وركب إلى التل ، ليطمئن نفسه إلى حقيقة هذه التقارير التي لا يمكن تصورها. وعندما رأوا الرأس صاحوا جميعاً معاً ، (لا إله إلا الله) مر بعض الوقت قبل أن

يتمكن الشيخ من النزول إلى الحفرة وإقناع نفسه بأن الصورة التي رآها كانت من المرمر . صاح هذا ليس عمل أيدي البشر ، بل عمل هؤلاء العمالقة الكفار الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم إنهم أعلى من أطول شجرة نخيل ، هذا أحد الأصنام التي لعنها نوح عليه السلام قبل الطوفان وفي هذا الرأي ، الذي كان نتيجة لفحص دقيق ، اتفق جميع الحاضرين ، أمرت الآن بحفر خندق إلى الجنوب من الرأس ، على أمل العثور على تمثال مماثل حسب الخرائط ، وقبل حلول الليل وصلت إلى هدف بحثي ، على بعد حوالي اثني عشر قدماً . بعد أن كلفتُ رجلين أو ثلاثة بالنوم بالقرب من المنحوتات ، عدت إلى القرية واحتفلت باكتشاف اليوم بذبح الأغنام ، الذي شارك فيه جميع العرب القريبين . ولأن بعض الموسيقيين المتجولين كانوا بالصدفة في السلاميّة ، أرسلت في طلبهم ، واستمرت الرقصات خلال الجزء الأكبر من الليل . وفي صباح اليوم التالي ، تجمع العرب من الجانب الآخر من نهر دجلة وسكان القرى المجاورة على التل . حتى النساء لم يستطعن كبت فضولهن ، وجاءن في حشود ، مع أطفالهن ، من بعيد . كان قافلتي متمركزة خلال النهار في الخندق ، حيث لم أسمح للحشود بالنزول إليه ، وكما توقعت ، فإن خبر اكتشاف الرأس العملاق الذي حمله العربي المذعور إلى الموصل قد أحدث ضجة في المدينة . فما كان منه إلا أن أوقف سرعته حتى وصل إلى الجسر . ودخل الأسواق وهو يلهث ، وأعلن لكل من التقى به أن النمرود قد ظهر . وسرعان ما وصل الخبر إلى مسامع القاضي ، الذي كان حريصاً على إيجاد فرصة جديدة لإزعاجي ، فاستدعى المفتي والعلماء للتشاور بشأن هذا الحدث غير المتوقع . وانتهت مداولاتهم بموكب

إلى الحاكم ، واحتجاج رسمي من جانب المسلمين في المدينة ضد الإجراءات التي تتعارض بشكل مباشر مع قوانين القرآن . ولم يكن لدى القاضي أي فكرة واضحة عما إذا كانت عظام الصياد العظيم قد تم الكشف عنها أم صورته فقط ، ولم يكن إسماعيل باشا يتذكر بوضوح ما إذا كان النمرود نبياً مؤمناً حقاً أم كافراً . ونتيجة لذلك تلقيت رسالة غير مفهومة إلى حد ما من معاليه مفادها أنه ينبغي معاملة البقايا باحترام ، وأن يتم دفنها في مقبرة جماعية . ولم يبد أي اعتراض على ذلك ، وأنه يرغب في إيقاف أعمال الحفر على الفور ، ويرغب في التشاور معي بشأن هذا الموضوع ، لقد اتصلت به بناءً على ذلك ، وواجهت بعض الصعوبة في جعله يفهم طبيعة اكتشافي وبما أنه طلب مني التوقف عن عملياتي حتى يهدأ الشعور في المدينة إلى حد ما ، عدت إلى نمرود وصرفت العمال ، واحتفظت برجلين فقط للحفر على مهل على طول الجدران دون إعطاء سبب لمزيد من التدخل ، تأكدت بحلول نهاية شهر مارس من وجود زوج ثانٍ من الأسود المجنحة ذات الرأس البشري من خلال الكراريس والخرائط التي بحوزتي ، والتي تختلف عن تلك التي تم اكتشافها سابقًا في الشكل ، حيث يمتد الشكل البشري حتى الخصر وينتهي بالذراعين ، في إحدى يديه يحمل كل تمثال عنزة أو غزال ، وفي اليد الأخرى ، التي تتدلى إلى الجانب ، فرعاً به ثلاث أزهار . شكلوا مدخلاً شمالياً إلى الغرفة التي كانت الأسود الموصوفة سابقاً هي البوابة الجنوبية لها . لقد كشفت عن الأخير بالكامل ، ووجدتهم كاملين . كان ارتفاعهم حوالي اثني عشر قدماً ، ونفس العدد في الطول . تم تصوير الجسم والأطراف بشكل رائع ، أظهرت العضلات والعظام ، على الرغم من تطورها بقوة لإظهار قوة الحيوان ، في نفس الوقت شكلاً صحيحاً . ولقد كان من الواضح أن هذه المنحوتات كانت تزين أجساد التماثيل ، وكانت تزينها أجنحة ممتدة تنبثق

من الكتف وتنتشر فوق الظهر ، وكان هناك حزام معقود ينتهي بشراشيب يحيط بالخصيتين . وكانت هذه المنحوتات التي تشكل مدخلاً للتماثيل ، عبارة عن منحوتات جزئية كاملة وجزئية بارزة . وكان الرأس والجزء الأمامي المواجهان للحجرة كاملين ، ولكن جانباً واحداً فقط من بقية اللوح كان منحوتاً ، وكان الظهر موضوعاً على جدار من الطوب المجفف بالشمس . ولكي يتمكن المشاهد من رؤية التماثيل من الأمام والجانب بشكل مثالي ، فقد تم تزويدها بخمسة أرجل ، اثنتان منحوتتان في نهاية اللوح لمواجهة الغرفة ، وثلاثة على الجانب . وكان نقش الجسم والأطراف الثلاثة مرتفعاً وجريئاً ، وكان اللوح مغطى بجميع الأجزاء التي لا تشغلها الصورة بنقوش بخط مسماري . وكانت هذه النماذج الرائعة من الفن الآشوري في حالة حفظ مثالية ؛ فقد احتفظت بأدق الخطوط في تفاصيل الأجنحة وفي الزخارف بنضارتها الأصلية لم يكن هناك نقص في أي حرف في النقوش ..

كنت أتأمل لساعات في هذه الرموز الغامضة ، وأتأمل في غرضها وتاريخها . ما هي الأشكال الأكثر نبلاً التي كان بوسعها أن تقود الناس إلى معبد آلهتهم ؟ ما هي الصور الأكثر سمواً التي كان بوسع البشر استعارتها من الطبيعة عندما سعوا ، دون مساعدة من نور الدين الموحى به ، إلى تجسيد مفهومهم عن الحكمة والقوة ووجود الكائن الأسمى ؟ لم يتمكنوا من العثور على نوع أفضل من الفكر والمعرفة من رأس الإنسان ، أو من القوة من جسد الأسد ، أو من سرعة الحركة من أجنحة الطائر . لم تكن هذه الأسود المجنحة ذات الرؤوس البشرية مخلوقات خاملة ، أو ذرية خيال محض ، فقد كان معناها مكتوباً عليها . لقد أذهلت وعلمت الأجناس التي ازدهرت قبل ثلاثة آلاف عام . ومن خلال البوابات التي كانت تحرسها ، كان الملوك والكهنة والمحاربون يقدمون القرابين إلى مذابحهم قبل فترة طويلة من اختراق حكمة الشرق إلى اليونان ، وتزويد أساطيرها برموز اعترف بها منذ فترة طويلة الرومان (الرهبان الآشوريون. ربما دُفِنوا ، وربما كان وجودهم غير معروف ، قبل تأسيس المدينة الخالدة . لقد ظلوا مخفيين عن أعين البشر لمدة خمسة وعشرين قرناً ، والآن برزوا مرة أخرى بجلالهم القديم . ولكن كم تغير المشهد من حولهم! لقد أفسحت رفاهية وحضارة أمة عظيمة المكان لبؤس وجهل بضع قبائل نصف همجية . لقد حلت الأنقاض وأكوام التراب عديمة الشكل محل ثراء المعابد وثروات المدن العظيمة . لقد مر المحراث فوق القاعة الفسيحة التي وقفوا فيها والآن تلوح الحبوب . تمتلك مصر آثاراً لا تقل قدماً ولا تقل روعة ، لكنها برزت منذ عصور لتشهد على قوتها وشهرتها المبكرة ، بينما بدا أن أولئك الذين سبقوني قد شهدوا الآن ، على حد تعبير النبي ، أن الآشوريين كانوا ذات يوم أرزاً في لبنان بأغصان جميلة وكفناً مظللاً وقامة عالية وكانت قمته بين الأغصان الغليظة.. وارتفع قامته فوق كل أشجار الحقل ، وكثرت أغصانه ، وطالت فروعه من كثرة المياه حين انبثق . وكل طيور السماء صنعت أعشاشها في أغصانه ، وتحت أغصانه ولدت كل وحوش الحقل صغارها ، وتحت ظله سكنت كل الأمم العظيمة . لأن نينوى الآن خربة وجافة كالبرية ، وفي وسطها تربض القطعان . وفي أعتابها العليا تبيت كل وحوش الأمم ، الغاق والوقار . أصواتهم تغني في الكوى ، والخراب في العتبات)) ..

إن هذه الرواية التي كتبها لايارد تتفوق في جانب منها على كل ما كتبه الرجال الذين سبقوه في رؤية هذه التلال أو قياسها أو العمل فيها . فلم يسبق لأحد أن روى قصة تجاربهم أو اكتشافاتهم بكلمات مفعمة بالألوان والحياة والحركة

، ولم يسبق لأحد أن أظهر مثل هذا القدر من الحماس والقدرة العظيمة على الوصف ، ومن جانب آخر أصبح لايارد خليفة لأحد أقدم الرحالة والمستكشفين الإنجليز . فمثله كمثل شيرلي ، كان يعرف كيف يجعل كل ما يراه يحمل كلمات الكتاب المقدس . وكان بوسعه أن يقتبس الكلمات ذاتها من الكتاب المقدس ويجعل النصب التذكاري المغطى بالغبار يعكس ضوءاً ساطعاً عليها. وكانت هاتان القوتين قوة الوصف بالألوان وقوة المقارنة بالكتاب المقدس تحشدان كل إنجلترا خلفه ، ولقد تحرك أولئك الذين لم يهتموا بالكتاب المقدس بسبب نار وجمال وصفه ، أما أولئك الذين أحبوا الكتاب المقدس فقد رأوا فيه رجلاً يحقق اكتشافات وعدت بتوضيح أو تأكيد السجلات التي كانوا يعتزون بها. وفي الوقت المناسب ، أصبحت هذه التأثيرات قوية للغاية لدرجة أن الحكومة البريطانية تحركت لتقديم يد المساعدة لهذا العمل ، وبالتالي أصبح ما بدأ بوسائل خاصة ضئيلة مشروعاً وطنياً عظيماً فوصلته الأموال والخرائط السرّية من كل حدب وصوب ..

لقد كانت التماثيل الضخمة التي أثرت في لايارد إلى هذا الحد منظراً نبيلاً ، ولكنها لم تكن بنفس أهمية النقوش الأصغر حجماً التي تم استخراجها فيما بعد من أماكن دفنها والتي كانت منحوتة من أحجار كريمة ونفيسة للغاية . لقد تصور لايارد أن الأسود المجنحة كانت تحرس مدخل معبد عظيم ، وقد أظهرت المجرفة فيما بعد أن الأسود كانت تقف عند بوابات قصر شلمنصر الثاني بعدما تأكد من الخرائط التي بحوزتِهِ . لقد تم تنفيذ العمل الذي كشف عن هذه الآثار في ظل صعوبات كثيرة وخوف دائم من المقاطعة من قبل السكان الأصليين المشبوهين أو حكامهم . لذلك فقد كان من دواعي ارتياح لايارد الكبير أن يتلقى من القسطنطينية رسالة وزيرية ، حصل عليها من السير ستراتفورد كانينج ، تأذن باستمرار أعمال الحفر وإزالة الأشياء التي قد يتم اكتشافها . وقد أضفى هذا وجهاً آخر على عمل لايارد بعد أن سلم ستراتفورد كانينج أكثر من قطعة ثمينة كي توصله أثمانها الى لقب سير ، ومكنه من القيام علناً بأعمال كانت تتم حتى ذلك الحين في سرية تامة قدر الإمكان .

ولقد بذل لايارد بعض المحاولات الصغيرة في موقع تل كوجك ، ولكن الأموال التي كان يملكها كانت محدودة للغاية ، ولم تكن النتائج مشجعة . ولذلك استأنف العمل في نمرود بقوة جديدة ، حيث تمكن بعد فترة وجيزة من إرسال شحنة كبيرة من الآثار على طوف إلى بغداد ، ومن ثم إلى البصرة ، لنقلها إلى إنجلترا . وبعد فترة وجيزة ، اضطره وضعه الصحي المتردي بالفعل بسبب المناخ المنهك إلى التوقف عن العمل والقيام برحلة جبلية للتعافي . وعند عودته إلى الموصل ، وجد رسائل من إنجلترا تخبره بأن السير ستراتفورد كانينج قد قدم إلى المتحف البريطاني الآثار التي عثر عليها ، وأن المتحف تلقى علاوة على ذلك منحة مالية من الحكومة لمواصلة العمل . وكان هذا نبأ طيباً حقاً ، وإن كان ليارد قد اضطر إلى أن يأسف لأن حجم العمل كان أصغر كثيراً مما كان يتمتع به بوتا ، وأنه لابد وأن يقتصد في الإنفاق ويجتهد في استغلال كل قرش ..

وبفضل الموارد التي كانت لديه ، استؤنف العمل في أكتوبر 1846 ، وتم التخطيط بعناية لحملة شتوية وتم تشييد أكواخ للاحتماء من العواصف ، وتم حث العرب المتجولين على نصب خيامهم بالقرب من هناك ، وبدلاً من العيش على الغنائم ، حصلوا على أجور العمل في الخنادق . وتمت تجربة العديد من الخطط الجديدة للتعامل مع

السكان المحليين المزعجين وتم تبني أفضلها . وفي كل هذا ، حصل لايارد على المساعدة القيمة من السيد هرمز رسام ، الذي كان شقيقه تشارلز رسام نائب القنصل البريطاني في الموصل ، كان هرمز رسام من مواليد الموصل وكان يفهم الناس كما لا يمكن لأي أوروبي أن يأمل في القيام به ، أجرى معظم التعاملات معهم ، وحافظ على السلام دون استخدام القوة . وكانت عمليات الحفر التي جرت تحت رعاية هذه السلطات، وبفضل السلطات التي كان لايارد يمتلكها آنذاك، ناجحة إلى حد يفوق أحلامه . وعندما حفروا الخنادق حول جدران الغرف الواحدة تلو الأخرى ، اكتشفوا ألواحاً ضخمة من المرمر ، كانت جدران الغرف مغطاة بألواح خشبية ، وقد وجدوا عليها نقوشاً بارزة غنية ، تحمل مشاهد صيد وحرب واحتفالات مهيبة . وعادت الحياة في القصر والمعسكر والحقل في أيام الآشوريين إلى أعين المستكشفين المذهولين ، بينما تلقى هؤلاء المستكشفون إضافة إلى مصداقيتهم باكتشافهم في بعض الأنقاض قطعاً من الحديد كانت تشكل ذات يوم أجزاء من نفس النوع من الدروع التي صورت على النقوش البارزة ، إلى جانب خوذات من الحديد والبرونز ، بينما عثروا في أخرى على مزهريات وقطع من العاج منحوتة بشكل زخرفي . هنا كانت الصور وهناك الأشياء التي تمثلها . ومع حفر الخنادق بشكل أعمق أو أطول ، كان يتم العثور على آثار منحوتة أو منقوشة يومياً . وكشف أحد الخنادق على عمق عشرة أقدام تحت السطح عن حافة قطعة من الرخام الأسود . كانت هذه القطعة ركناً من مسلة ارتفاعها حوالي سبعة أقدام ، مستلقية على جانبها . كان هذا القبر مغطى من ثلاث جهات بنقوش وعشرون نقوشاً صغيرة . وقد سجلت النقوش والنقوش أشكالاً مختلفة من الهدايا والجزية التي تلقاها شلمانصر الثاني ، وإن كانت هذه الحقائق غير معروفة بالطبع عندما تم العثور عليها . ولم يتم العثور على نقوش مماثلة في الجمال وفي وعدها بالمواد التاريخية القيمة في آشور . لذلك كان لايارد حريصاً بشكل خاص على إبعاده عن المكان خشية أن يصيبه أي سوء حظ . لذلك جعل العرب ينامون ويراقبونه طوال الليل وأمر بتعبئته بسرعة للشحن . واستمر العمل يوماً بعد يوم مع اكتشاف منتظم ومستمر لألواح حجرية مماثلة لتلك التي تم العثور عليها من قبل ، ومع العثور على الطوب المنقوش الذي ، على الرغم من أنه ليس جميلاً مثل الحجر ، إلا أنه يحتوي على مواد تاريخية أكثر بكثير ..

وعندما بدأت الخنادق تنتج كميات أقل من المواد قرر لايارد أن يحاول في أماكن أخرى . ولولا أن أمواله كانت محدودة إلى هذا الحد ، لكان قد واصل أعمال التنقيب في نمرود ، حتى وإن لم تكن مثمرة على الفور . وكان هذا هو الأسلوب الأفضل ، ولكن الوسائل لم تكن تسمح بذلك ، وكان على لايارد أن يبحث عن تربة جديدة . وفي مغامرته التالية اختار تل كالح شرقاط ، حيث كان يرغب في إجراء أعمال التنقيب . وقد أخرج من هذه الأنقاض تمثالاً مثيراً للاهتمام لشخص جالس والعديد من الطوب الصغير المزين بالنقوش ، وبعضها يعود إلى أقدم الفاتحين الآشوريين العظماء ، تجلث فلاصر الأول . ولكن لايارد لم يتمكن من تحديد المدينة القديمة التي قد تكون هذه المدينة . وقد اكتشف بعد ذلك أنها لم تكن سوى مدينة آشور ، أول عاصمة للمملكة . كما خصص بضعة أيام لأعمال التنقيب في تل كوجك بنفس الحظ السعيد ، ثم توقف العمل بسبب استهلاك الوسائل اللازمة لاستمراره

في 24 يونيو 1847، غادر لايارد الموصل في رحلة برية إلى القسطنطينية ، بعد أن أرسل آخر اكتشافاته عبر نهر دجلة ..

وبعد بضعة أشهر من الراحة في إنجلترا ، كرسها إلى حد كبير لإعداد رواية رحلته ونسخ الآثار التي عثر عليها ، أُمر لايارد بالذهاب إلى القسطنطينية للعمل مع السفارة البريطانية وتقديم تقريراً كاملاً عن جهوده في البحث . ولم يكن بوسعه أن ينهي العمل الذي كتبه للصحافة ، فخرج لأداء واجبه وهو لا يعرف ما إذا كانت قصته ستثير أي اهتمام أم لا . ولا يبدو أنه كان يحلم حتى بأن تأتيه دعوة خاصة لاستئناف أعمال الحفر مرة أخرى . ولكن الكتاب نُشرت بعد رحيله ، وفجأة رنّت إنجلترا كلها بمدحه وبتعبير متحمس بأن هذا العمل يجب أن يستمر . وتمكن المتحف البريطاني من تأمين المزيد من الأموال للعمل ، وأُمر لايارد بالانطلاق إلى آشور مرة أخرى . ومن إنجلترا ، تم حث هرمز راسام والسيد ف. كوبر ، وهو فنان ، والدكتور ساندويث ، وهو طبيب ، على مرافقته . انطلقوا من مضيق البوسفور في 28 أغسطس 1849 م متجهين إلى طرابزون ، ورسوا هناك في اليوم الحادي والثلاثين وبدأت الرحلة إلى الموصل ..

وفي هذه الحملة ركز بشكل رئيسي على تلال تل كوجك ونبي يونس . وفي الأولى اكتشف القصر العظيم لسنحاريب ، وأصبح الآن حريصاً على فحص النقوش وجداول الأنساب لدرجة أنه أدرك حقيقة أن هذا المبنى كان ملكاً للملك الذي كان ابنه هو باني القصر في نمرود وكان والده هو الذي بنى القصر الذي اكتشفه بوتا في خورساباد . يجب أن نتذكر أنه توصل إلى هذا التخمين دون أن يكون قادراً على قراءة الآشورية على الإطلاق .

وقد أثبتت الدراسات اللاحقة أنه تأكد من الحقائق بشكل صحيح ، بنى سرجون القصر في خورساباد ، وبنى ابنه سنحاريب القصر في تل كوتشاك ، بينما بنى ابنه أسرحدون القصر في نمرود . وكانت اكتشافاته في تل كوجك أعظم من اكتشافاته في الحملة الأولى سواء فيما يتعلق بالتاريخ أو الأدب أو الفن في آشور القديمة . ولكنه أجرى أيضًا حفريات في قلعة شركات ، ونمرود ، وخورسباد . ومن الموصل قام برحلات إلى مواقع مختلفة في شمال وجنوب بابل. وفي هذه الرحلات زار ولأول مرة تل عفر العظيم ، حيث حققت بعثة لاحقة نجاحاً لا مثيل له . وفي الحلة أجرى بعض الحفريات ، لكنه لم يحقق نجاحًا كبيراً ..

وبعد موسم آخر عاد لايارد إلى إنجلترا في إبريل/نيسان 1852. وكان أول عمل له هو كتابة روايته وإعداد نقوشه للنشر . ووجد أن كتبه السابقة قد جعلته مشهوراً ، في حين أن الاكتشافات الجديدة من المؤكد أنها ستضيف الكثير إلى سمعته . وقد ضمن له هذا مناصب دبلوماسية مرموقة ، وخاصة في القسطنطينية ، حيث كان قادراً على خدمة الدراسات الآشورية من خلال التعامل مع الحكومة التركية لصالح المستكشفين ، كما خدمها ذات يوم بجهوده الخاصة . وكانت البعثتان اللتان قام بهما لايارد إلى آشور مثمرتين بالفعل إلى حد يفوق بعثتي بوتا ، وكان تأثيرهما مستمراً إلى ما هو أبعد من حياة لايارد نفسه . ولقد لامست كتبه ، كما رأينا بالفعل ، قلوب الناس في العديد من النقاط ، ورغم أنه ترك العمل ليتولى الخدمة الدبلوماسية ، التي يبدو أنه لم يكن سعيداً بها ، فقد وجد آخرون يواصلون ذلك البحث وبطرق مكثفة جعلتهم أكثر ثراءاً منه ..

وبينما كان لايارد لا يزال يعمل في نينوى ، أرسلت الحكومة الفرنسية فيكتور بليس ، وهو مهندس معماري يتمتع بمهارة كبيرة ، ليشغل منصب الوكيل القنصلي في الموصل ويواصل عمل بوتا . ولم يكن قد أنجز الكثير عندما انتهى عمل لايارد ، لكنه بقي وقام باكتشافات مهمة في قسم الفن الآشوري ، وتعاون بعد ذلك مع بعثة فرنسية ، والتي يجب أن نوليها الاهتمام لاحقًا. وفي الوقت نفسه ، نما الاهتمام ببابل وآشور بالكامل في إنجلترا بسرعة ، وتجلى ذلك في العديد من الطرق . وقد تحركت الحكومة لمساعدة تحقيقات لايارد ، وانضمت الآن إلى العمل بطريقة أخرى . لفترة طويلة كانت الحدود بين تركيا وبلاد فارس موضع نزاع ، حيث كانت كل أرض تكسب أو تخسر حسب حظوظ الحرب ، بينما كانت العصابات المفترسة التي لا تنتمي إلى أي منهما أو إلى الأخرى تنتقم من كليهما . وفي عامي 1839 و1840 كادت الحرب أن تندلع بين الدولتين ، فتدخلت إنجلترا وروسيا ، وتم تعيين لجنة في أرضروم لإجراء مفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية للصعوبات . وبعد جلسة دامت أربع

سنوات ، وافقت هذه اللجنة على معاهدة ، كان أساسها مسح الأراضي المشكوك فيها بين الدولتين ، وترسيم الحدود بشكل صحيح . وقد تولى هذا العمل ممثلون من إنجلترا وروسيا وتركيا وبلاد فارس . وكان أبرز هؤلاء الكولونيل دبليو إف ويليامز . وفي يناير/كانون الثاني 1849، أُرسل السيد ويليام كينيت لوفتوس من إنجلترا للعمل كجيولوجي في هيئة أركانه . ووجد لوفتوس الوقت بين واجباته الأخرى لزيارة أعداد كبيرة من التلال في بابل ، وكان مجرد رؤيتها يملأه حماسًا . وعن أحدها ، تل الحمام ، يقول ..

((لا أعرف شيئاً أكثر إثارة أو إثارة للإعجاب من النظرة الأولى إلى أحد هذه الأكوام الكلدانية الضخمة التي تلوح في الأفق بعظمة منعزلة من السهول والمستنقعات المحيطة بها . تخطر ببال المشاهد آلاف الأفكار والتخمينات حول تاريخها الماضي الحافل بالأحداث وأصلها صعودها التدريجي وهبوطها السريع بشكل طبيعي ، إن الجو الضبابي في الصباح الباكر مناسب بشكل خاص للتأملات والانطباعات حول هذه الشخصية ، والضباب الرمادي الذي يفصل بين الناظر وموضوع تأملاته يضفي عليها وجوداً حالمًا. ويزداد هذا التأثير الخيالي بسبب السراب ، الذي يضخم شكلها بشكل غريب وخيالي ، ويرفعها عن الأرض ، ويجعلها ترقص وترتعش في الهواء النقي. فلا عجب إذن أن يضيع الناظر في الشك الممتع بشأن الواقع الفعلي للظهور أمامه)) ..

وفي ربيع عام 1850 ، أجرى لوفتوس حفريات صغيرة في الوركاء ، المدينة القديمة التي كانت تسمى اورك والتي إشق منها إسم العراق ، ولكن على الرغم من العثور على العديد من الآثار المثيرة للاهتمام ، إلا أنها لم تكن تقارن بنتائج عمل لايارد . وكان هذا يرجع في المقام الأول إلى الوسائل الهزيلة للغاية المتاحة للوفتوس ، فضلاً عن الصعوبات الكبيرة التي واجهتها أعمال التنقيب في بابل . وفي هذه الرحلة الأولى ، قدم لوفتوس خدمات متميزة من خلال رحلاته الطويلة والخطيرة في كثير من الأحيان عبر جنوب بابل . وفي هذه الرحلات، زار نيفر وموكيار (موجبير) ، وعدداً من المواقع الأصغر ، والتي لم يسبق للأوروبيين أن زاروا معظمها من قبل . وقد وصف هذه المواقع بعناية ، وحدد مواقعها بدقة ، مما جعل الوصول إليها سهلاً للآخرين . وحتى الآن ، لا تزال بعض أعمال لوفتوس مفيدة . كما كان لديه عين ثاقبة لخصائص التلال، وأعرب عن شوقه للحفر في بعض المواقع التي أثبتت منذ ذلك الحين أنها

منتجة للغاية . وكانت الفرصة سانحة له قريبًا للقيام ببعض الأعمال التي خطط لها من خلال مشروع خاص في إنجلترا ..

وبينما كان المسافرون والمستكشفون منشغلين بين شعوب شبه متوحشة كما كانوا ينظرون لشعوب العراق وسوريا والأردن ولبنان ، استمر الاهتمام الإنجليزي بالتلال ، وأخيراً انتهى الأمر بتنظيم صندوق التنقيب الآشوري ، الذي تعهد بجمع الاشتراكات الشعبية وتوجيه الحفريات في آشور وبابل بالوسائل التي اكتسبها بهذه الطريقة كانت الفكرة أن هذه التلال مليئة بالكنوز التي لا تقدر قيمتها بثمن . في هذا الوقت كان السير هنري سي . رولينسون مقيماً وقنصلاً عاماً لبريطانيا في بغداد ، وقد عُهد إليه بالإشراف العام على مثل هذه الحفريات التي يمكن التخطيط لها وتنفيذها . لم يكن من الممكن وضع هذا التوجيه في أيدٍ أفضل . لقد أهّلته أسفاره الواسعة وإقامته الطويلة في الشرق وإنجازاته الرائعة في فك رموز اللغة الإيزيدية القديمة إلى أقصى درجة لتولي مسؤولية الجهود الرامية إلى جعل السجلات المدفونة للوادي العظيم في متناول العالم . أرسل الصندوق لوفتوس لإجراء الحفريات ومواصلة الاستكشافات في الجزء الجنوبي من البلاد . نجح عمله في جلب أعداد كبيرة من الألواح المنقوشة ، والعديد من المزهريات ، وكتلة كبيرة من بقايا الجثث إلى لندن والتي كانت مزينة بالؤلؤ والمرجان والفيروز ومعادن ثمينة أخرى . ولكن هذا الكتاب لم يجتذب إلا القليل من الاهتمام الشعبي ، ليس لأنه لم يكن ذا أهمية ، وإن كان أقل من كتاب لايارد في كميته وبسبب تركيزه على الجانب المالي للكنوز المستخرجة بدلاً من جوانبها العلمية والتاريخية وأحدث ذلك إحباط في الرأي العام البريطاني جعلته ينظر الى مبعوثيه الى الشرق الأوسط على أنهم تجار آثار لا يملكون أية فكرة عن العلوم التي يستخرجونها ، ولأن لوفتوس لم يكن يتمتع بمواهب لايارد الشعبية ، ولم يكن قادراً على عرض اكتشافاته بهذه الطريقة الجذابة . ولولا الملاحظات التي أرسلها رولينسون إلى منزله ، لكان قد ظل مجهولاً تقريباً الى يومنا هذا ..

كانت الخطوة التالية التي اتخذها رولينسون هي إرسال ج. إي. تايلور ، نائب القنصل البريطاني في البصرة ، إلى مغير ، التي ربما كانت مدينة أور البابلية القديمة ، فحفر تايلور مباشرة في وسط التل ، ولم يجد أي شيء تقريباً كمكافأة لجهوده . وكان اكتشافه العظيم في الزاوية الجنوبية الغربية ، بدأت في حفر الزاوية الجنوبية الغربية ، وأزيلت كتلاً كبيرة من القمامة المكونة من بقايا الطوب المحروق المختلط بالطوب المجفف بالشمس والتي أشرف البريطانيون على وضعها بدلاً من الحجارة العملاقة التي كانت تشكل الزقورة الشهيرة في أور . عملت على عمق 10 أقدام وعرض 6 دون العثور على أي شيء . ثم عدت وعملت على بعد بضعة أقدام إلى الشمال على طول غلاف الطوب للجدار الغربي ، هنا ، على عمق 6 أقدام تحت السطح ، وجدت أسطوانة منقوشة تماماً . كانت هذه الآثار في البناء الصلب ، تم وضعها في مكانة تشكلت من خلال حذف أحد الطوب في الطبقة ، ووجدت

واقفة على أحد طرفيها . حفرت مسافة صغيرة أخرى دون أي نجاح ، ثم تخليت عن هذه الزاوية للزاوية الشمالية الغربية . هنا أيضاً ، وجدت أسطوانة ثانية مماثلة لتلك المذكورة أعلاه ، ولكن على بعد 12 قدماً من السطح . في هذه الزاوية ، غرست عمودًا بعمق 21 قدمًا وعرض 12 قدمًا . الطوب المجفف بالشمس ، الذي يتكون منه هذه الكتلة الصلبة بالداخل ، كان هنا من 12 قدمًا من الطوب المجفف بالشمس ، الذي يتكون منه هذا الطوب المجفف

بالشمس ، والذي ... سمك مذهل ، كان حجمها 16 بوصة مربعة وسمكها 7 بوصات ، أسفل الأسطوانة مباشرة كان هناك جذعان خشنان من الخشب ، من خشب الساج على ما يبدو ، يمتدان عبر عرض العمود بالكامل .. وبهذا الشكل ، وبعد أن وجدت أسطوانتين في البناء الصلب في زاويتين ، استنتجت بطبيعة الحال أن نفس الأشياء سوف توجد في الزاويتين المتبقيتين . فحفرت عموداً في كل منهما ، فوجدتُ أسطوانتين أخريين في نفس الوضع تماماً ، وفي نفس النوع من البنية ، إحداهما على ارتفاع 6 أقدام والأخرى على ارتفاع 2 قدم من السطح. ويمكن تفسير ذلك بسهولة عند النظر إلى السطح غير المنتظم للخربة ، والذي تعرض في الزاوية الجنوبية الشرقية والجانب الجنوبي عموماً لأضرار أكبر من الأمطار مقارنة بالجوانب الأخرى ، وذلك بسبب انخفاض السطح بشكل أكبر نحو هذه النقاط ..

كما أجرى تايلور حفريات في أبو شرين وتل اللحم ، ولكن دون نتائج مهمة . ففي ذلك الوقت كانت البعثات كثيرة جداً وعمل رجال مختلفين في أماكن مختلفة مستمراً لدرجة أنه من المستحيل متابعتها بالتفصيل ويكاد يكون من المستحيل ترتيبها حسب الترتيب الزمني ..

وفي حين كان لوفتوس لا يزال يعمل ولم يبدأ تايلور أعماله بعد ، كانت الحكومة الفرنسية تتخذ خطوات لاستئناف الحفريات على نطاق واسع . كان مول الذي لا يعرف الكلل هو الذي حث الحكومة والشعب في فرنسا على القيام بأعمال طيبة في هذا الشأن . وفي النهاية ، حث السيد ليون فوشير ، وزير الداخلية ، على طلب قرض قدره 70 ألف فرنك من الجمعية ، وفي التاسع من أكتوبر 1851، انطلقت بعثة من مرسيليا إلى الحلة ، والتي وصلت في السابع من يوليو 1852. وكان أعضاء هذه البعثة السيد فولجانس فرينل ، القنصل السابق في جدة ، وجول أوبيرت ، أستاذ اللغة الألمانية في مدرسة ليسيه رانس ، وف. توماس ، المهندس المعماري ..

كان أوبيرت قد أنجز بالفعل عملاً مهماً في اللغة الفارسية القديمة التي كانت تسمى الارامية الملكية في العهد الاخميني وكان مستشرقاً مدرباً . وقد أجرى أبحاثاً مهمة في بابل وزار عدداً كبيراً من التلال ، بعضها كان لوفتوس قد رآه بالفعل . وقد قامت هذه البعثة بالتنقيب في بيرس نمرود ووجدت كنوزاً ثمينة من الفن والنقوش . وفي الوقت نفسه كان بليس يواصل أعمال التنقيب في خورساباد . وقد تم تحميل المواد التي عثر عليها بليس وبعثة بيرس نمرود على طوافات ليتم إبحارها في النهر إلى البصرة . ولكن للأسف، وكما ورد في الإهمال الشديد وسوء الإدارة ، انقلبت الطوافات وضاعت المجموعة بأكملها في النهر ورغم وقوع هذا الحادث المؤلم ، فقد عاد أوبيرت إلى أوروبا بالكثير من المعرفة الجديدة ، وكانت النتائج المنشورة للبعثة جديرة بالملاحظة ..

وفي العام نفسه الذي خطط فيه للحملة الفرنسية التي انتهت بمأساة ، حصل أمناء المتحف البريطاني على منحة من البرلمان لبدء العمل من جديد في نينوى . وكان لايارد منغمساً الآن في الخدمة الدبلوماسية ، ولم يكن ليخرج ليقوم بالعمل مرة أخرى . ولكن مساعده السابق كان يدرس الآن في أكسفورد ، وقد استأنفت السلطات البريطانية قرارها . ولشرفه الدائم قبل السيد هرمزد راسام المنصب ، وشرع في نهاية عام 1852 في بدء أعمال الحفر في تل كوجك ، تحت الإشراف العام للسير هنري رولينسون. وكان راسام مؤهلاً لأعمال الحفر مثل قلة قليلة ممن قاموا بالحفر في

هذه التلال . وكان يعرف الأرض والناس منذ ولادته ؛ وقد تدرب لفترة طويلة ومفيدة على يد لايارد ، وكان مخلصاً للعمل الذي بين يديه ، ومتحمساً لبذل كل طاقته لإنجازه بنجاح . ومن المؤسف أنه لم يكن مجهزاً تجهيزاً جيداً مثل أوبيرت اللامع ، الذي كان مشغولاً الآن بين تلال بابل ، كان أوبيرت يعرف كل ما كان معروفاً في ذلك الوقت عن الكتابة المسمارية ، في حين لم يكن راسام يعرف شيئاً عن اللغة التي كتبت بها السجلات القديمة لبلاده ..

وعندما وصل إلى الموصل وجد أن السير هنري رولينسون رسم خطاً عبر التل عند تل كوجك ، فخصص النصف الشمالي من التل للفرنسيين واحتفظ بالباقي لـ منطقة النفوذ الإنجليزي . ولكن بليس لم يحفر بعد في هذا التل على الإطلاق ، ولكنه كان مشغولاً بمواصلة أعمال الحفر في خورساباد . وكان راسام يتمتع بخبرة في مجال التحقيقات الأثرية ، وكان يعتقد أن الجزء الشمالي من التل هو الأكثر وعداً . ومنذ البداية كان راسم يرغب بشدة في محاولة الحفر هناك ، ولكنه شعر أن الترتيب الذي اتخذه السير هنري رولينسون يمنعه من ذلك . فأخفى مشاعره عن بليس وذهب إلى العمل بجد في أجزاء أخرى من التل . ولقد استمر عمله لمدة عام ونصف تقريباً ، ومن خنادقه وآباره .. كانت تُستخرج باستمرار سجلات منقوشة عن الماضي ، تارة شظايا من الألواح ، وتارة مسلات ، وتارة أسطوانات من معادن غريبة لم يكتشفها البشر بعد ، وتارة ألواح محفوظة بشكل جميل على ألواح من اللازورد والألماس ، تحمل الكتابة الدقيقة الأنيقة التي استخدمها الآشوريون القدماء بطريقة تبدو عجيبة لدقتها الفائقة . وخلال كل هذا الوقت لم يقم السيد بليس بأي خطوة حتى في بداية أعمال الحفر في تل كوجك ، وخلص راسام في النهاية إلى أن السير هنري رولينسون قد تجاوز سلطته عندما أرسل جزءاً من التل إلى الفرنسيين ، ولذلك قرر مهما كانت النتيجة أن ينتقل إلى قمة التل ويرى ما قد يجده . وكان من المقرر أن يقوم بأولى محاولاته ليلاً لمنع أي تدخل محتمل من جانب بليس إذا حاول ذلك. والقصة رومانسية وأفضل ما يصفها هو جمل راسام الموجزة ((بعد انتظار بضعة أيام حتى حلول ليلة مقمرة مشرقة ، اخترت عددًا من عمالي العرب القدامى المخلصين الذين يمكن الاعتماد عليهم في السرية الفائقة للعمل ، مع مشرف جدير بالثقة ، وأعطيتهم أوامر بالتجمع في مكان معين على التل بعد حوالي ساعتين من غروب الشمس . عندما أصبح كل شيء جاهزًا ، ذهبت ووضعت لهم علامات على ثلاثة أماكن مختلفة للحفر فيها . كان هناك بالفعل عدد من الخنادق المحفورة هناك في مناسبة سابقة ، ولكن في هذا الوقت وجهت العمال للحفر عبرها والنزول إلى عمق أكبر ؛ وبعد أن أشرفت على العمل بنفسي حتى منتصف الليل ، تركتهم في العمل (بعد أن أمرتهم بالتوقف عن العمل عند الفجر) وذهبت إلى الفراش)) ..

ويضيف ..

((في صباح اليوم التالي ، قمت بفحص الخنادق ، وعندما رأيت بعض العلامات الجيدة على وجود بقايا آشورية ، ضاعفت عدد العمال في الليلة الثانية وجعلتهم يعملون بجد طوال الليل . وكالعادة ، أشرفت على العمل حتى منتصف الليل ، ثم ذهبت إلى الفراش ، لكنني لم أنم لمدة ساعتين قبل أن يأتي مشرفي الألباني المخلص راكضاً لإخباري بالخبر السار عن اكتشاف بعض المنحوتات المكسورة . هرعت على الفور إلى المكان ، وعندما نزلت أحد الخنادق ، تمكنت من رؤية الجزء السفلي من منحوتتين بارزتين في ضوء القمر ، حيث دمر الساسانيون أو غيرهم

من الأمم البربرية التي احتلت التل بعد تدمير الإمبراطورية الآشورية الجزء العلوي ، لم أتمكن من معرفة ذلك إلا من خلال التجربة ، من خلال فحص الأساس والجدار المصنوع من الطوب الذي يدعم النقوش البارزة ،
لذلك وجهت العمال لإزالة الجزء السفلي من المنحوتات ، والذي أظهر بوضوح أن الألواح تنتمي إلى قصر جديد ، ولكن عند الحفر حولها عثرنا على عظام ، في اليوم الثالث ، تسربت حقيقة حفري ليلاً إلى مدينة الموصل ، وهو ما لم يفاجئني ، حيث علمت جميع عائلات العمال الذين يعملون في العمل الليلي أنهم يحفرون سراً في مكان ما ، وعلاوة على ذلك ، لا بد أن العمال الذين لا يعملون ليلاً قد رأوا زملاءهم العمال يغادرون خيامهم ولا يأتون إلى العمل في اليوم التالي ، لم أكن خائفاً فقط من أن يسمع القنصل الفرنسي ويأتي ليمنعني من الحفر فيما قد يسميه أرضه ، بل والأسوأ من ذلك كله ، أن يعتقد السلطات التركية وشعب الموصل أنني أحفر بحثاً عن كنز ، الذين تصوروا دائماً أننا نثري أنفسنا باكتشاف كنوز رائعة ، وبالتالي ، في الليلة الثالثة ، قمت بزيادة عدد العمال ، وقررت البقاء في الخنادق حتى الصباح ، والإشراف على العمل . يمكنني أن أتخيل مدى اشتياقي لنهاية اليوم ، حيث لم يكن لدي أدنى شك في وجود بعض المباني الآشورية بالقرب من تلك الألواح المكسورة التي تم العثور عليها في الليلة السابقة . لم أشعر بخيبة أمل في تخميناتي ، لأن الرجال لم يعملوا لمدة ثلاث ساعات في الليلة الثالثة قبل أن يسقط أحد الأكوام التي كانوا يحفرون تحتها وينكشف نقش بارز جميل للغاية ، تم تصوير ملك آشوري عليه (الذي ثبت فيما بعد أنه آشور بانيبال) في مركبته وهو يصطاد الأسود . لقد تجاوزت متعة العمال كل الحدود ؛ فقد تجمعوا جميعاً وبدأوا في الرقص والغناء من أعماق قلوبهم ، ولم يكن لأي مناشدة أو تهديد مني أي تأثير عليهم . في الواقع ، لم أكن أعرف أيهما أكثر إرضاءً ، اكتشاف هذا القصر الجديد أو مشاهدة فرحة عمالي المخلصين والممتنين . واصلنا العمل حتى الصباح، وعندما رأيت أنه بحلول هذا الوقت تم الكشف عن ثلاثة منحوتات مثالية ، لم يكن لدي أي شك في أن هذا قصر جديد تمامًا . تم تغيير عمال الليل ، وتم وضع أيدٍ جديدة للعمل في النهار ، حيث لم أعد أخشى إحباطي من قبل منافسي ، لأنه وفقاً لجميع القواعد ، قمت بتأمين هذا القصر للأمة البريطانية . خلال النهار ، قمنا بتطهير غرفة صيد الأسود الخاصة بآشور بانيبال ، والتي توجد الآن في غرفة الطابق السفلي من المتحف البريطاني . في وسط هذه الغرفة الطويلة أو الممر كانت هناك أكوام من الفخار المحفور ، والتي أعتقد أنها اكتشفت بينها لوحة الطوفان الشهيرة . لا شك أن هذه كانت غرفة تسجيل آشور بانيبال)) ..
كان الاكتشاف الذي تم التوصل إليه بهذه الطريقة أعظم اكتشاف تم التوصل إليه حتى الآن سواء في آشور أو بابل . فقد تمكن راسام بفضل حكمته الماهرة ومزيج الظروف الموفقة من الكشف عن المكتبة المدفونة منذ زمن
طويل في مدينة نينوى الملكية . المكتبة التي جمعها آشور بانيبال أو أمر بنسخها لتعلم حكمائه وأغلبها كانت عبارة عن كتب دينية تتعلق بالايزيدية وتقويمات شرقية لم نفهم منها أي شيء . وهنا كان هناك مخزن ملكي للأدب والعلوم والتاريخ والدين ، جاهز للدراسة في الغرب ، عندما يتم التوصل إلى طريقة قراءته بالكامل . ولعل رولينسون ينضم إلى لايارد في التصفيق لهذا الاكتشاف السعيد والمحظوظ لا سيما وأنه يُكمل مخطوطات تم إستخراجها من لالش

وأخرى من خورسباد وكانت باللغتين المسمارية والآكادية ، الذي ربط اسم راسام إلى الأبد بتاريخ البحث الآشوري ..

في مارس/آذار 1854 ، عاد راسام إلى إنجلترا ، وأُرسل لوفتوس ، الذي أنهى أبحاثه في الجنوب ، إلى تل كوجك لإكمال عمل راسام . ولقد نجح في إنجاز هذه المهمة بنجاح تام ، حيث استعاد العديد من الألواح الأخرى التي أرسلها ، كما حدث مع ألواح راسام، إلى المتحف البريطاني . وبينما كانت هذه الأعمال جارية ، شاركت شركة الهند الشرقية مرة أخرى ، بطريقة قيمة للغاية ، في أعمال الدراسة الآشورية . وبناءً على طلب أمناء المتحف البريطاني أرسلت الشركة القائد فيليكس جونز ، بمساعدة الدكتور جيه إم هايسلوب ، من بغداد إلى الموصل لمسح منطقة نينوى بأكملها . وقد تم إنجاز هذا على نحو بارع خلال شهر مارس/آذار 1862، وتم نشر ثلاث خرائط كبيرة ، والتي لا تزال السجلات القياسية حتى اليوم ..

والآن كانت سلسلة الحفريات الطويلة والرائعة تقترب من فترة راحة أخرى . ولكن في النهاية ، توصل السير هنري رولينسون إلى اكتشاف مذهل . فخلال شهري أغسطس وسبتمبر من عام 1854، وضع شاباً ذكياً ، اسمه السيد جوزيف تونيتي مسؤولاً عن الحفريات بالقرب من نمرود ، حيث كانت البعثة الفرنسية المنكوبة تواصل عملها ولم تكلل الأعمال بالنجاح لمدة شهرين ، ثم زار السير هنري رولينسون الأعمال بنفسه ، وبعد بعض الفحص قرر اقتحام الجدران عند الزوايا ، على أمل العثور على أسطوانات تذكارية مصنوعة من اللازورد الأحمر المحفور بطريقة غريبة ، مثل تلك التي وجدها تايلور في المغير . وأمر أولاً بإزالة التراب حتى الطبقة العاشرة فوق القاعدة ، وبينما كان يتم ذلك انشغل في مكان آخر . وبعد الانتهاء من ذلك ، تم استدعاؤه للعودة ، وهكذا وصف الحظ السعيد الذي أعقب ذلك ..

((عند وصولي إلى المكان ، انشغلت أولاً لبضع دقائق بضبط البوصلة المنشورية على أدنى لبنة متبقية الآن من الزاوية الأصلية ، والتي لحسن الحظ كانت بارزة قليلاً ، بحيث توفر نقطة جيدة للحصول على المحمل المغناطيسي

الدقيق للجانبين ، ثم أمرت باستئناف العمل . وبمجرد إزالة الطبقة التالية من الطوب ، صاح العمال أن هناك أهازنة ، أو حفرة الكنز أي في الزاوية على مسافة لبنة من السطح الخارجي كانت هناك مساحة شاغرة مليئة بالرمل المحمر السائب. قلت ، أزل الرمل وأحضر الأسطوانة وبينما كنت أتحدث بهذه الكلمات ، أمسك العربي بيده بين الأنقاض في الحفرة ، وأمسك بأسطوانة رائعة من الطين المخبوز ، وكانت في حالة مثالية كما كانت عندما تم وضعها في التجويف الاصطناعي أعلاه قبل أربعة وعشرين قرناً من الزمان . كان العمال في حيرة تامة . كان من الممكن سماعهم وهم يهمسون لبعضهم البعض بأنها سحر ، بينما لاحظ الرجل ذو اللحية الرمادية من المجموعة لرفيقه أن البوصلة ، التي كنت أستخدمها للتو ، كما ذكرت ، ووضعتها عن طريق الخطأ فوق الأسطوانة مباشرة ، كانت بالتأكيد أداة رائعة كانت الأسطوانة التي تم العثور عليها بهذه الطريقة واحدة من أربع أسطوانات كانت موضوعة في الأصل في أربع زوايا من المبنى ، وبعد ذلك بقليل تم العثور على اسطوانة ثانية . ولم يتم العثور على الاسطوانتين المتبقيتين ، حيث كانت الزوايا التي من المفترض أنها كانت موضوعة فيها قد هدمت منذ فترة طويلة ، لقد بذل

نبوخذ نصر جهودًا كبيرة للحفاظ على سجلات أعماله العظيمة في البناء والترميم ، والآن انتهت السلسلة الطويلة من الحفريات ، لقد دهش رجال العلم في تاريخ الشرق القديم من الكم الهائل من الاكتشافات العظيمة ، لا أقل من الطبيعة المذهلة للاكتشافات العظيمة . الآن قد يُترك المجرفة والفأس خاملين ويصدآن لعدة سنوات . كان هناك عمل كبير يجب القيام به لقراءة هذه الكتب المفقودة منذ زمن طويل ، انتظرت أوروبا النتائج قبل أن تبدأ حفريات جديدة)) ..

بعد ال'نتهاء من مرحلة إستخراج الألواح الإسطوانية العشرة تم نقلها الى المتحف الملكي البريطاني وتم ترجمة الكثير من الجُمل التي كانت مكتبوبة باللغة الآشورية وقسماً منها باللغة الآكادية والتي تكشف عن تواريخ فلكية مهمة لإصطفافات الكواكب في المجموعة الشمسية وقسماً منها كان عبارة عن معادلات علمية تخص الجينات في ذلك الوقت ..

الفصل الخامس

السلالات الملكية

في حوالي عام 1783 قبل الميلاد تنتهي الفترة الطويلة من السلام المستقر ، والتي حكمت خلالها بابل ملوك من أصل محلي . كانت هذه الأرض ذات الخصوبة العظيمة قد أغرت في كثير من الأحيان سكان الجبال الأشداء من الإيزيديين ، تماماً كما كانت السهول الجميلة في شمال إيطاليا في القرون اللاحقة موضع تطلع من قبل الجرمان ، الذين كانوا يراقبونهم من الجبال أعلاه . طالما ظل نفوذ حمورابي وغيره من مؤسسي مملكة بابل المتحدة قائماً ، فقد تمكنت البلاد من تحدي أي غازٍ . لكن تطور الفنون ، وتقدم الحضارة ، وزيادة التجارة والتبادل التجاري أضعفت الذراع العسكرية . أصبحت بابل أشبه بصور في الأيام الأخيرة ، حيث كان تجارها على استعداد دائماً لدفع الجزية لعدو أجنبي بدلاً من المخاطرة بحرب قد تضر بتجارتهم . ومع ذلك ، في هذا الوقت ، كانت بابل لا تزال تتمتع بالوطنية والفخر الوطني ، وليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الأجنبي جلس على عرش البابليين الفخور دون صعوبة . إن من غير المرجح أن يكون غزو بابل قد تم بجيش منظم بشكل واضح ، بقيادة قائد كان يعتزم أن يجعل نفسه ملكاً على بابل ، مع استمراره في الحكم في بلاده. إن ما يواجهنا هنا هو بالأحرى هجرة شعب قوي جديد . يُطلق على هذا الشعب اسم الخالتيين ، وكان مقرهم السابق في داسن ، ولكن من الصعب تحديد مكانهم بشكل أكثر دقة . ويبدو من المحتمل أنهم كانوا على صلة ما بالشعب الذي يسكن على طول ضفاف زاغروس ، والذي اشتهر في العصور اللاحقة باسم الشمسانيين ، بل وقد قيل إنهم مرتبطون بطريقة ما بشعب آخر ، الخالتيين ، الذين استقروا ذات يوم في بلاد سوسيانا ، ولكن يُعتقد أيضاً أنهم مذكورون في كابادوكيا . وفي الحالة الحالية للمعرفة لدينا ، ليس من المبرر أن نحددهم بشكل إيجابي مع أي من هذين الشعبين أو كليهما . سيكون من الأفضل أن نطلق عليهم اسم الخالتيين ، وبالتالي نترك تقاربهم العرقي سؤالاً مفتوحاً . هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أنهم لم يأتوا مباشرة من موطنهم القديم إلى بابل ، بل استوطنوا أولاً في أقصى الجنوب ، بالقرب من خليج البصرة . ودخلوا بابل على الأرجح كفرق متجولة ، ثم اجتاحوا البلاد بأعداد متزايدة وفرضوا سيطرتهم عليها ، حتى أقاموا سلالة أجنبية في مكان الحكم البابلي الأصلي السابق ..

إن معرفتنا بسلالة الخالتيين غير كافية على الإطلاق . فقد احتفظ المؤرخون البابليون في قوائم ملوكهم بأسماء كل هؤلاء الملوك ، ولكن من المؤسف أن هذه القائمة ، بالشكل الذي نمتلكها به ، قد تضررت بشدة وضاعت العديد

من الأسماء . وتحدد القائمة مدة حكم هذه السلالة بخمسمائة وستة وسبعين عاماً وتسعة أشهر . وعلى هذا التمثيل ، لابد أن الخالتيين حكموا من حوالي عام 1782 قبل الميلاد إلى حوالي عام 1207 قبل الميلاد . وخلال هذه الفترة الطويلة ، لم يظل الخالتيون أجانب بطبيعة الحال ، بل استوعبوا بسرعة الثقافة البابلية وكذلك العادات البابلية . وكانوا يكتبون النقوش بطبيعة الحال ، كما فعل أسلافهم ، فبنوا المباني وعبدوا الآلهة البابلية آدي وإيزيد . ولكن حكمهم لم يثمر ثمارا وفيرة كما فعل حمورابي ، والسجلات التي وصلت إلينا أكثر تجزئة . إننا لا نملك أي نقش تاريخي طويل عن ملك واحد فقط من هذه الأسرة ، ولا يظهر اسمه في قائمة الملوك ، بل إنه ظهر في المكان الذي انكسرت فيه القائمة إلى حد لا يمكن معه إعادة بنائه . وقد تم الحفاظ على المراسلات بين بعض الملوك وملوك مصر ، وهي تسلط الضوء على تلك الفترة الغامضة . ونحن لا نملك سوى ألواح مكتوب عليها عقود ملوك آخرين ، وسوف يزداد عددها إلى حد كبير بنشر الألواح التي عُثر عليها في نيبور ..

أسماء الملوك الأوائل في القائمة هي ..

جونديشو 1782-1767 قبل الميلاد

أجامشو 1766-1745 قبل الميلاد

بيبيشو 1744-1723 قبل الميلاد

دوشيشو 1722-1714 قبل الميلاد

أدوماتشو 1713-1687 قبل الميلاد

تاشزيقوشو 1686-1669 قبل الميلاد

بالنسبة لنا ، لا تنقل هذه الأسماء أي معنى حقيقي . إنها مجرد ظلال لرجال . يظهر اسم الملك الأول أيضاً في لوح نذري تحت اسم جندي ، وفي جزء صغير آخر باسم جنداش . لقد أعطى شرفاً للإله العظيم (آدي) ، وكتب اسمه وألقابه على مقابس الأبواب التي أقامها ملوك بابل السابقون . لكن اسمه لم يُكتب بنفس الطريقة الماهرة التي كُتب بها اسم الشخصيات البارزة السابقة . إن هذه الصنعة الفظة تعبر ببلاغة عن التغيير الذي حدث من خلال عِرق أكثر فظاظة . لقد تراجع تقدم العالم عندما حكم الكاشيون بابل . ولكن على الرغم من أننا لا نعرف إلا القليل عن هذا الملك غانديش ، فإننا لا نعرف إلا القليل عن أتباعه لفترة طويلة . يملأ هؤلاء الملوك الستة فراغاً في التاريخ الذي كان متوهجاً بالحياة والألوان في أيام الأسرة الأولى ، وذكرت هذه الأسماء للملوك في الألواح البابلية المستخرجة على أنها أسماء لملوك ايزيديين ينتمون الى الأسرة الخالتية أو الخالتيون وتشرح التسميات بشكل يُعبّر عن أن الإنكليز أو الفرنسيون يفشلون دائماً في لفظ الإسم الآرامي كما يفشل العربي في لفظ الكثير من الأسماء الفرنسية والإنكليزية

، فإسم جندو لليوم يستخدم عند الايزيديين وكذلك إسم كَمشو وكذلك إسم بيبو وآدو وهي جميعها بالفعل أسماء ايزيدية لكن المترجم للألواح كان يلصق القابها معها بطريقة تبعدها عن معناها ..

وبعد الاسم السادس ، نجد أن قائمة الملوك البابليين قد انكسرت بشكل لا يحمد عقباه أو تعمدوا عدم ذكرها لأسباب ستبدو للقارئ مبرّرة ، ولم يعد من الممكن قراءة أي اسم لفترة طويلة . ويبدو من المحتمل أن يكون تاشزي غورماش هو الملك الذي يدعي أغوم كاكريم أنه ينتمي إليه والإسم الأول هو طازي كَورو ، والإسم الثاني هو ناعوم إبن كريم لكن الترجمة جعلت من الإسم وكأنه تتري وليس بابلي أو سومري . وإذا كان هذا صحيحاً ، فربما وجدنا بهذه الوسيلة اسم الملك التالي في القائمة . فقد كانت توجد في مكتبة آشوربانابال نقش طويل بالحروف الآشورية يزعم أنه نسخة من نقش لأحد ملوك بابل الأوائل . وهناك بعض الخصائص الغريبة في النص الآشوري تجعل من المرجح أن يكون ترجمة من السومرية . وكان الملك الذي يروي أفعاله هو أغوم كاكريم . وفي هذا النص يطلق على نفسه اسم ابن تاشيغورماش (إبن طازي كَورو) . ومن المغري للغاية أن نربط تاششيغورماش هذا بالاسم السادس في قائمة الملوك وهذا ما يحدث الآن على نطاق واسع . وربما يكون هذا صحيحاً ، ولكن لا بد من الاعتراف بأنه لا يزال موضع شك إلى حد ما . إذا كان أغوم كاكريمي هو ابن الملك تاششيغورماش حقاً ، فمن الطبيعي أن نفترض أن اسم والده في النقش سيحمل لقب الملك ولاحظ عزيزي القارئ جهل مترجمي الألواح بكلمة ماش التي كانت تأتي بعد إسم كل ملوك بابل والتي تعني حرفياً صلاحيات ملكية أو دستورية أو بشكل مختصر سلطان لممارسة المهام ، مما يجعل البناء على أسماء ومعلومات خاطئة ليس صحيحاً . يبدو النقش بأكمله أشبه بنص مغتصب يحاول تعزيز مطالباته بالعرش من خلال إطلاق الألقاب والروابط الأنسابية ، كما حدث في بعض الحالات في العصور اللاحقة . وسواء كان أغوم كاكريمي هو الاسم التالي في القائمة أم لا ، فمن المؤكد تقريباً أنه كان ينتمي إلى نفس الفترة ولابد أن اسمه قد تبع القائمة بعد فترة وجيزة في نقشه ، بعد ذكر جميع صلاته بالدم وجميع روابطه بالآلهة ، حدد أراضي حكمه بهذه الكلمات (ملك كاشو وأكاد ، ملك أرض بابل الواسعة ، الذي جعل الكثير من الناس يستقرون في أرض أشنوناك ، ملك آدان وعلوان ، ملك أرض جودي ، الشعوب الممتدة على نطاق واسع والتابعة للتاج الملكي البابلي ، الملك الذي يحكم أركان العالم الأربعة أنا) . إن هذه قائمة رائعة من الألقاب ومن الجدير بالملاحظة أن الألقاب لا تتبع الترتيب البابلي المعتاد . فعادة ما يكتب الملك البابلي اللقب على هذا النحو (ملك بابل، ملك أركان العالم الأربعة ، ملك سومر وأكاد ، ملك كاشو) أما الألقاب ملك ادان وعلوان ، ملك جوتي ، إلخ فمن غير المرجح أن تستخدم بهذا الشكل على الإطلاق . ويبدو أن الملوك البابليين شعروا بأنهم لا يستطيعون أن يتحملوا الحكم المباشر لأرض تقع خارج حكم الآلهة البابلية التي كانت وحدها قادرة

على منح اللقب لملك في بابل أو السلطان أو التكليف الدستوري (الـ ماش) وحتى اليوم يستخدم الايزيديون كلمة ماش للتعبير عن إمتلاك الشخص لسلطان معيّن في علم ما أو فن ما . بل كان مثل هذا الملك ليطلق على نفسه لقب ملك ملوك ادان وعلوان وجودي ، وهي الأراضي التي كان يحكمها من خلال نائب يعينه بنفسه . ومن الجدير بالملاحظة أن الملوك الخالتيين اللاحقين كانوا يلتزمون بهذه العادة بعناية شديدة . إن انتهاك أغوم كاكريمي لهذا العهد هو دليل آخر على أنه ينتمي إلى الملوك الأوائل من السلالة ، في وقت لم يتكيف فيه الخالتيون مع عادات أرضهم المحتلة ..

ولكن ألقاب أغوم كاكريم تخدم غرضاً آخر وأعظم بالنسبة لنا من تقديم تأكيد للموقف الذي عيناه له في الأسرة الحاكمة ، فهي تزودنا بنظرة عامة على مدى الأراضي التي حكمها من بابل أثناء حكمه . تغطي مملكته كل بابل، شمالاً وجنوباً ، والتي كانت تنتمي إلى إمبراطورية حمورابي القديمة ، لكنها تجاوزت هذه الحدود بكثير . استمر أغوم كاكريم في حكم أرض كاشو وأرض أشنوناك . كما كانت جوتي أيضاً ، وهي أرض لم نسمع عنها شيئاً منذ أيام لاسيراب ، خاضعة له أيضاً ، بالإضافة إلى ادان ، أرض بلاد ما بين النهرين بين الفرات والبليخ ، وعلوان (هولوان الحديثة) ، التي كانت متاخمة لجوتي وتقع في جبال مركَا شيخادي . وبما أنه لا يوجد في نقوش السلالات السابقة ما يشير إلى أن مثل هذه المساحة الشاسعة من الأراضي قد أضيفت إلى بابل منذ أيام حمورابي ، فإننا محصورون في الرأي القائل بأن الخالتيين هم الذين حققوا ذلك بأنفسهم . وهذا من شأنه أن يجعلهم فاتحين أعظم من المؤسس العظيم لعظمة بابل ..

إن الجزء الأكبر من هذا النقش الذي كتبه أغوم كاكريم يتحدث عن إعادة بعض الآلهة إلى بابل بعد أن تم سلبها في غارة سابقة على البلاد . ويقول أغوم كاكريم إنه أرسل سفارة إلى أرض خاني البعيدة ، والتي كانت تقع على الأرجح في منطقة جبلية شرقي نهر دجلة وجنوبي نهر الزاب السفلي ، لإعادة تماثيل مردوخ وزربانيت إلى بابل . ولكي نفهم هذه الخطوة التي قام بها ، فلابد أن نتذكر أنه من وجهة النظر البابلية ، لم يكن من الممكن أن يكون هناك ملك شرعي في بابل ما لم يتم تعيينه لحكمه من قبل مردوخ ، الإله الراعي والحاكم الحقيقي للمدينة . ولكن مردوخ كان قد تم سلبه من قبل شعب خاني (القصد هنا التمثال الذهبي المرضع بالجواهر والأحجار الكريمة) . لذلك كان من المهم للغاية لاستقرار العرش أن يتم إعادة هذا الإله على الفور على الأقل . ولو كان لدى أغوم كاكريم قوات كافية تحت قيادته ، لكان من المحتمل أن ينتزع الإله بالقوة من هؤلاء الأسرى ، كما فعل نبوخذ نصر الأول وآشوربانيبال في العصور اللاحقة . ولكنه لم يفعل هذا، بل أرسل (سفارة) . وقد نرى في هذا التعبير تعبيراً ملطفاً عن شراء الآلهة أو فداءها بدفع الذهب أو الفضة فعلياً . ولا نعرف متى انتزعت هذه الآلهة . ولعلنا لن نضل

كثيراً إذا حددنا هذا الحدث في العهود اللاحقة لملوك الأسرة الثانية ، وهو الوقت الذي وضعنا فيه أيضاً بدايات النفوذ الخالتي . ولابد أن الآلهة قد أزيلت بغزو مدمر ، لأن أغوم كاكريم يتابع قصة استعادتهم ببيان مفاده أنه وضعهم في معبد شمش ، وزودهم بكل الضروريات اللازمة لعبادتهم ، لأن معبد مردوخ نفسه إيساجيلا والمسمى عشق الآلهة ،كان لابد من ترميمه قبل أن يصبح صالحاً لشغله . إن هذه الحالة المدمرة التي وصل إليها معبد الدولة العظيم في بابل تشير إلى فترة ضعف شديد ، إلى الفترة التي كانت فيها بابل تترنح من المكانة العالية التي أوصلها إليها حمورابي ، وكانت بالفعل فريسة سهلة للأجانب . وتتناول الأسطر المتبقية من هذا النقش المهم ترميم معبد إيزيدا ، وبالتالي تضيف اسم أغوم كاكريم إلى قائمة البنائين العظماء الذين مروا علينا بالفعل . ولا نعرف أي أحداث أخرى في عهده ، ولا نعرف طول فترة حكمه. ويبدو أن الإشارات المتبقية تشير إلى أنه لابد وأن حكم لفترة طويلة وبسلام ..

بعد حكم أغوم كاكريم ، حدثت انقطاع حاد في سلسلة معلوماتنا المتعلقة بتاريخ هذه السلالة . وسوف يكون من الضروري توضيح سبب هذا الانقطاع ، وبيان الوسائل التي تم تبنيها لإصلاح الثغرة جزئياً بإيجاز ..

إننا في ذكر أسماء ملوك هذه السلالة من غانديش إلى أغوم كاكريمي ،كنا نتبع ببساطة القوائم التي وضعها علماء بابل في العصور القديمة والتي كانت تشير بوضوح الى سلالة ايزيدية خالتية بحتة . ولو استمرينا في هذه القائمة بشكل كامل ، لكان من السهل علينا أن نتتبع ملوك هذه السلالة ، وأن نستعرض بعض أنشطتهم من خلال مواد تاريخية أخرى . ومن المؤسف أن اللوحة التي تحتوي على القائمة انقطعت بعد اسم تاششيغوروماش مباشرة . ثم استؤنفت القائمة بعد مسافة ما باسم كَورو بل ، الذي يقف بجوار اسمه الرقم السادس كعدد سنوات حكمه . وبعد اسم كَورو بل نجد أسماء عشرة ملوك من سلالة الكاشيين . وبذلك نحتفظ بأسماء ستة عشر ملكاً ، ويمكننا أن نضيف إليها اسم أغوم كاكريمي ، ليصبح المجموع سبعة عشر ملكاً . في أسفل القائمة ورد أنه كان هناك ستة وثلاثون ملكاً في الأسرة ، وأن مجموع سنوات حكمهم كان خمسمائة وستة وسبعين عاماً وتسعة أشهر . وبالتالي لاستكمال القائمة نحتاج إلى أسماء تسعة عشر ملكًا. كم عدد هذه الأسماء التي يمكن الحصول عليها ؟ في حالة التحقيق الحالية ، من الآمن أن نقول إنه من بين هذه الأسماء التسعة عشر المفقودة ، تم الحصول على اثني عشر اسماً بدرجة معقولة من اليقين ، وفي معظمها يمكن ترتيبها بدقة حسب الأسرة . تم الحصول على هذه الأسماء في بعض الحالات من ألواح العقود المؤرخة في عهدهم ، وفي حالات أخرى من نقوشهم الخاصة ، وفي حالات أخرى من ما يسمى بالتاريخ المتزامن وثيقة آشورية أصلية تسرد بإيجاز شديد العلاقات المبكرة بين بابل وآشور وفي حالات أخرى من الرسائل والبرقيات التي مرت بين بلاط بابل وآشور ومصر ..

قبل أن ننتقل إلى تاريخ الملوك المتبقين من هذه السلالة ، سيكون من الضروري أن نقول شيئاً ما على سبيل المقدمة عن ظروف الحياة السياسية السائدة في أماكن أخرى ، من أجل فهم أفضل للحقائق التي نمتلكها فيما يتعلق بهذه العهود الإيزيدية قبل أكثر من مائة عام من بداية سلالة الخالتيين ، كانت دولة جديدة ، مقدر لها أن تحقق مسيرة رائعة من السيادة بين الرجال ، تظهر بدايات حياتها على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة . كانت أرض آشور في حدودها الأصلية أرضاً صغيرة محاطة بالحدود الطبيعية لنهر دجلة ، والزاب العلوي والزاب السفلي ، وسلسلة جبال المارِّكا . كان سكانها في هذا الوقت من الإيزيديين ، ويبدو أنهم من دم أنقى بكثير من أقاربهم البابليين ، الذين تزوجوا من السومريين وهي العادة التي استمرت بعد ذلك مع الخالتيين ومع العديد من الشعوب الأخرى لكن من نفس طبقتهم الدينية . كانت مدينة آشور هي المدينة الرئيسية لهذه الدولة الآشورية الصغيرة ، والتي حكمها في فترة بداية سلالة الخاليين ، الشمسانيون الإيزيديون ، الذين كانوا أول من بدأ سلالة طويلة ومتميزة . كانت أرضهم مجهزة بشكل رائع من الطبيعة . عاش فيها شعب لم يكن يضعف من فرط الترف ولا يرهق طاقته بسبب الحرارة المفرطة المستمرة لفترة طويلة ، بل اعتاد على القتال ضد الثلوج المتراكمة في الجبال والحفاظ على قوته البدنية من خلال الاستخدام المستمر . لا عجب أنه في ظل هذه الظروف المواتية ، كان هذا الشعب يرتفع بسرعة إلى السلطة . في وقت قصير سنجد أنهم قادرون على التفاوض على المعاهدات مع ملوك بابل ، وبعد ذلك بقليل يتدفق التيار الرئيسي للتاريخ عبر القنوات التي كانوا يحفرونها الآن . ولهذه الأسباب ، تطرقنا هنا بشكل خفيف إلى بدايات حياتهم الوطنية هناك أرضان أخريان تتطلبان ذكراً موجزاً قبل أن نتمكن من فهم حركة الأجناس بشكل صحيح خلال فترة سلالة الخاليين ..

في الجزء الشمالي الغربي من الوادي العظيم بين دجلة والفرات كانت تقع دولة صغيرة كان نهر الفرات وروافده البليخ يشكلان حدودها الرئيسية . وفي النقوش المصرية التي تعود إلى الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانت تسمى نهارينا أي بلاد النهر ولكن ملوكها كانوا يطلقون عليها اسم ميتاني . ولا يزال من غير المعروف كم من الوقت عاش شعب داخل حدودها تحت حكم ملوك خاصين بهم ووجود وطني منفصل . ولم يُعثر على أي نقوش لشعب ميتاني ، باستثناء الرسائل المكتوبة إلى ملوك مصر . والواقع أننا لا نستطيع أن نعرف شيئاً عن هذه البلاد إلا بعد اكتشاف المحفوظات الملكية للملكين أمينوفيس الثالث وأمينوفيس الرابع ، ملكي مصر اللذين كانت لهما علاقات دبلوماسية معها . ومن هذه الرسائل والمراسلات عرفنا أسماء العديد من ملوك ميتاني ، ومن بينهم أرتاتاما ، وأرتاشوما ، وسوتارنا ، ودوشراتا . كان إلههم الرئيسي هو تيشوب ، الذي لم يكن اسمه وأسماء عابديه من اللغات السامية ، ولكننا لا نعرف ما هي الروابط العرقية التي تربطهم . وفي الوقت الذي كان هؤلاء الملوك يكتبون فيه الرسائل إلى ملوك مصر

، كانت بلادهم في نوع من الاتحاد مع خاني جلبات ، وهي أرض عُرفت فيما بعد باسم مليتين وتقع في أقصى الشمال والغرب في الجبال . وكانت هناك روابط زواج بين ملوك ميتاني وملوك مصر ، حيث تزوج ملوك مصر من أميرات من أرض النهر البعيدة . ويبدو أن حقيقة أن ملوك مصر المتغطرسين كانوا حريصين على التحالف مع ملوك ميتاني تشير إلى أن الأرض كانت غنية أو ذات نفوذ كاف لجعلها جديرة باهتمام مصر . وكانت رسائل ميتاني مكتوبة بشكل رئيسي باللغة الأكادية في بابل ، وبالأحرف المسمارية ، التي نعرفها في النقوش الأصلية . ولكن إحدى هذه الرسائل، المحفوظة في المتحف الملكي في برلين ، مكتوبة بلغة ميتاني ، التي لم تستسلم حتى الآن للجهود العديدة التي بُذِلَت لفك شفرتها . ولابد وأن تحتل مملكة ميتاني مكانها بين الدول الصغيرة التي كان لها نصيبها في التأثير على تقدم العالم ، ولكننا لا نستطيع أن نتتبع تاريخها . ولكن رغم أننا لا نستطيع أن نفعل هذا ، فيتعين علينا على الأقل أن نلاحظ أنها كانت خاضعة إلى حد كبير لتأثيرات أكادية أو أنها كانت فدرالية صغيرة لا يتجاوز تعداد سكانها الـ المائة ألف نسمة ، لأن أسلوب كتابتها كان مقتبساً من جيرانها الأقوياء وكذلك طريقة عيشهم ..

إن آخر أرض يجب أن ننتبه إليها قبل أن ننتقل إلى القصة الرئيسية هي أرض خلدونية . يبدو أن كلمة خلدونية في الأصل كانت تطلق على منطقة صغيرة في جنوب بابل بالقرب من خليج البصرة . والنهاية دوني خلدونية ، وقد افترض البعض إنها تعني السفلى ، ولسبب وجيه ، أن الخلدونيين استقروا أولاً في هذه الأرض الواقعة على خليج البصرة ، واستخدموها كقاعدة لاجتياح بابل وغزوها وتسميتهم في الألواح مجزأة الى خالتو دونيا (الخالتيين الجنوبيين) . وسواء كان هذا صحيحاً أم لا ، فمن المؤكد على الأقل أن اسم خلدونية أصبح يستخدمه ملوك الخلدونيين كنوع من الاسم الرسمي لأرض بابل نحن الآن قادرون على العودة إلى سلالة الخلدونيين بعد رحلة طويلة ؛ وهم أكثر استعداداً لجمع مثل هذه الخيوط الصغيرة من المعلومات التي تربطهم بجيرانهم . وكما رأينا أعلاه ، فإن قائمة ملوك بابل مكسورة للغاية بعد اسم تاشسبيغورماش لدرجة أن بعض الأسماء ضاعت أو تم التعتيم عليها . ومن بين هذه الأسماء المفقودة ، توصلنا بالفعل إلى اسم أغوم كاكريمي . وبعده عاش ستة ملوك ضاعت أسماؤهم ، مع كل أقوالهم وأعمالهم ..

إن الملك التالي من سلالة الخالتيين الذي نعرف عنه هو كاريينداش (حوالي 1450 قبل الميلاد) والإسم الفعلي لهُ هو كَورو ندّاش . ومثله كمثل أسلافه وخلفائه ترجم إسمه بشكل خاطيء ، كان كاريينداش بانياً ، كما توضح كلماته المختصرة (لقد بنى كاريينداش ، معبد الآلهة الأم أنانا ، عشيقته الإلهية ، معبد آنانا لنصرة للملك القوي ، ملك بابل ، ملك سومر وأكاد ، ملك كاشو ، ملك خلدونياش) . في هذا النقش الموجز يضع الملك بابل أولاً في قائمة ألقابه ، واللقبين الخالتيين ، كاشو وخالدونيا ، في آخر القائمة . ولا يمكن أن يكون هذا إلا بسبب اتباع الاستخدام

البابلي القديم . سرعان ما استوعبت الأرض القديمة الشعوب التي جاءت إليها فاتحين ، وبقوة حضارتها وقوة دينها أجبرت على الالتزام بالقانون والعادات القديمة . لقد غزا الخالتيون بابل بقوة السلاح ، لقد غزت الثقافة البابلية بالفعل الكاشيين واستوعبتهم . وفي عهد كاريننداش ، نلتقي لأول مرة بأدلة على الاتصال بين مملكة آشور التي كانت لا تزال شابة وإمبراطورية بابل . حتى ذلك الوقت كانت قديمة الطراز ..

إن معرفتنا بهذه العلاقات بين المملكتين تأتي من الآشوريين وألواحهم المترجمة والدقيقة للغاية ، الذين وضعوا في عهد أداي نيراري الثالث (811-783 قبل الميلاد) قائمة بالعلاقات الودية والمعادية بين بابل وآشور منذ أقدم العصور وحتى هذا العهد . لقد ضاع أصل هذه الوثيقة الثمينة ولكن تم عمل نسخة منها لمكتبة آشوربانيبال بواسطة بعض علمائه ، الذين تدين لهم معرفتنا بالشرق القديم بالكثير . هذه النسخة موجودة الآن في المتحف البريطاني ، ورغم أنها مكسورة بشكل سيئ ، إلا أنه يمكن قراءة نصفها بالكامل . وقد أطلق عليها اسم التاريخ المتزامن للحكام الشمسانيين ، ورغم أنها ليست تاريخًا بالمعنى الدقيق للكلمة ، فمن المناسب الاحتفاظ بهذا الاسم إن الكلمات الأولى التي يمكن قراءتها بيقين تتعلق بكاريننداش ، وهي كالتالي (عقد كاريننداش ملك خلدوناش وآشوربلنيشيشو (آشور بن ششو) ملك آشور معاهدة مع بعضهما البعض ، وأقسما يميناً بشأن هذه المنطقة مع بعضهما البعض) . من الواضح أن هذا الإدخال الأول يشير إلى بعض الأراضي المتنازع عليها بين البلدين ، والتي كانت هناك صعوبات سابقة بشأنها . لقد استقر الملكان الآن على خط الحدود بموجب معاهدة . وهذا يدل على أن آشور كانت قوية بالفعل بما يكفي للمطالبة بحق شرعي في جزء من الوادي العظيم ، وقد اعترفت بها بابل كمملكة مستقلة . لم يمض وقت طويل قبل أن تبدأ هذه المملكة الصغيرة آشور في النزاع مع بابل للسيطرة حتى على أرض بابل نفسها . مع هذا الإشعار الأول للعلاقات بين المملكتين تبدأ سلسلة طويلة من الصراعات ، سواء كانت سلمية أو حربية ، والتي لم تتوقف أبداً حتى طرد الآشوري المتعطش للدماء البابلي من كرسي السلطة واستحوذ على ميراثه ..

ولكننا للأسف لا نستطيع أن نكون على يقين تام من ترتيب خلافة أتباع كاريننداش ، ولكن خليفته المباشر كان على الأرجح كَدّي أوشمان بيت (كَدّي بيت أوصمان) . ولم يُكشف حتى الآن في بابل عن أي نقش تاريخي لهذا الملك ولا أي وثائق تجارية مؤرخة في عهده . ولابد وأن نكون في حيرة من أمرنا في تحديد مكانه لولا المساعدة التي حصلنا عليها من أرشيفات المصريين ومراسلاتهم معه . وكما حدث في حالة أرض ميتاني ، فإننا نمتلك هنا أيضاً أجزاء من مراسلات مع أمينوفيس الثالث ملك مصر . ويحتفظ المتحف البريطاني برسالة كتبها أمينوفيس الثالث في مصر إلى كَدّي اوشمان بيت ، كما يحتفظ متحف برلين بثلاث رسائل من كَدّي اوشمان بيت إلى أمينوفيس الثالث وربما تكون الرسالة الأولى نسخة من الرسالة الأصلية المرسلة إلى بابل . تبدأ الرسالة على هذا النحو المهيب (إلى

كَدّي اوشمان بيت ملك كالدونياش أخي ، هكذا قال أمينوفيس الملك العظيم ملك مصر ، أخي المجرب معي كل خير ، أتمنى لك كل خير ، مع بيتك المجرب ، مع زوجاتك المجربات ، مع أطفالك المجربين ، مع النبلاء المجربين ، مع خيولك المجربين ومركباتك المجربين ، مع أرضك المجربة . أتمنى لي كل خير لك ، مع بيتي ، مع زوجاتي ، مع أطفالي ، مع نبلائي ، مع خيولي ، مع مركباتي ، مع قواتي ، مع أرضي ، أتمنى لك كل خير) ثم تناقش الرسالة التحالف الزوجي المقترح بين مصر وبابل وتحث كَدّي اوشمان بيت على أن يزوجه ابنته . كما تعلن الرسالة عن إرسال سفير إلى كَدّي اوشمان بيت للتفاوض على معاهدة تجارية بين الدولتين ، والتي بموجبها يتم دفع رسوم جمركية على بعض الواردات من بابل إلى مصر . إن الرسائل المحفوظة في برلين تبدو وكأنها تتعلق بنفس المراسلات وتتناول بشكل رئيسي الزواج المقترح لابنة كَدّي اوشمان بيت لأمينوفس الثالث ، والذي تم الموافقة عليه في النهاية بشكل ودي . وبذلك أصبحت ابنة كَدّي اوشمان بيت وأخته من بين زوجات أمينوفس الثالث . وهو دليل كامل على العلاقة الحميمة التي كانت قائمة الآن بين بلدي الثقافة العظيمين في العصور القديمة ، بابل ومصر . إن العثور على رسائل متبادلة بين بابل ومصر حوالي عام 1400 قبل الميلاد ، وسفراء يسعون إلى التفاوض بشأن معاهدات تجارية ، يمنحنا في الواقع رؤية رائعة في ضوء الماضي البعيد . كل هذا يشهد على حالة الحضارة العالية ؛ والتواصل المستمر عبر الطرق الجيدة ؛ والقوانين الراسخة والعادات الوطنية المستقرة . ومع ذلك ، فإنه لا يلقي أي ضوء على التاريخ السياسي لبابل ، وهو موضوع بحثنا الحالي ، ويجب أن نبتعد عنه . حكم كَدّي اوشمان بيت لفترة طويلة وخلفه بورنابورياش الأول (برو نابو رياش) ..

إن التاريخ المتزامن يذكر أن هذا الملك كان معاصراً لبوزو آشور ملك آشور ، والذي يبدو أنه كان له معه عداء فيما يتعلق بالحدود بين البلدين . وبما أن الكاتب الآشوري يشير فقط إلى علاقتهما بأنها غير ودية ، ولا يذكر شيئًا عن انتصار آشوري ، فمن الآمن ربما أن نستنتج أن بورنابورياش كان ناجحاً . لا يُعرف سوى القليل عن حكمه ، على الرغم من أنه كان أيضاً إلى حد ما منشئ المعابد ، حيث يُظهِر لبنة أحضرت من أنقاض المعبد في لارسا أنه أقام هناك معبداً لإله الشمس شيشمس ، أما عن الملك التالي ، كوريجالزو الأول ، حوالي عام 1410 قبل الميلاد ، ابن بورنابورياش الأول ، فإن معرفتنا غير مرضية للغاية أيضًا. ومن المعروف من رسائل بورنابورياش الثاني أنه كان على علاقة ودية بأمينوفس الثالث ملك مصر ، ومن المحتمل أن علاقاته بالآشوريين كانت ودية .

إن النقوش القليلة التي بقيت من تأليفه تسجل ببساطة عمليات البناء المعتادة. أما الألقاب التي يستخدمها في نصوصه فهي (ملك سومر وأكاد ، ملك أركان العالم الأربعة) ، والتي يضيف إليها في إحدى الحالات لقب شكناك (أي حاكم) بل ، وفي حالة أخرى يستخدم هذا اللقب الأخير فقط . أما لقب ملك بابل ، الذي كان من

المتوقع أن نستخدمه ، فلم يستخدمه على الإطلاق . ولعل هذا يرجع إلى أنه لم يُنصَّب ملكاً رسمياً باستخدام كل الاحتفالات المهيبة التي ابتكرها الكهنة . وقد اشتق اسم مدينة دور كوريجالزو (كوريجالاوبورج) منه ، ولكن لا يبدو ما إذا كان مؤسسها أم مجرد محسن ومعيد بناء . ولم يجد مؤلف التاريخ المتزامن أي أحداث في عهده تتعلق بالملك الآشوري المعاصر ، آشورنادين آخي ، تستحق السرد ، ولذلك فقد مر دون أن يذكره أحد . من المرجح أن حكمه كان قصيراً ، وفي نهايته ، حوالي عام 1400، خلفه ابنه، برونابورياش الثاني ، الذي كان حكمه طويلاً ومزدهراً ..

إن أربع رسائل كتبها هذا الملك إلى أمينوفيس الرابع (نابخوريا أخن آتون) ، ملك مصر ، محفوظة في متحف برلين ومعها رسائل أخرى ، وهناك خطابان آخران في المتحف البريطاني عن بناء معبد شيشمس . ولا تقدم هذه الرسائل أي مادة تاريخية ذات أهمية كبيرة سوى بعض الأدعية الدينية كل صباح في المعبد وطريقة التوجه الى الشمس لإلقاء الأدعية . فهي تكشف عن فترة من السلام والرخاء النسبيين وزيارة المعابد وإقامة الولائم والأعياد الفلكية ، وتتناول إلى حد كبير المجاملات ووسائل الراحة البسيطة في الحياة . ومن الغريب ، على سبيل المثال ، أن نجد الملك البابلي يوبخ ملك مصر لأنه لم يرسل سفيراً للاستفسار عنه عندما كان مريضاً . فعندما كان الملوك يجدون الوقت لمثل هذه المجاملات ، ولا يستطيعون إلا أن يعذروا أنفسهم لعدم مراعاتها بحجة جهلهم بالمرض والمسافة الكبيرة التي يجب قطعها في الرحلة ، فلا بد أنهم كانوا يتمتعون بالسلام من الحرب ومن كل ضائقة في الداخل والخارج ..

ويبدو أن خليفة بورنابورياش الثاني كان كَورو. خاردش (حوالي عام 1370 قبل الميلاد) ، الذي كانت زوجته الرئيسية هي موباليت شرو ، ابنة آشور أوباليت ملك آشور ، حتى أن عادة الزواج المختلط التي سادت بين الأسر الملكية في مصر وبابل في تلك الفترة كان لها أيضًا مثالها بين أسرتي آشور وبابل (تجاوز الزواج من نفس الطبقة الدينية) . وقد أدى هذا التحالف إلى السلام بين الأسرتين الملكيتين ، لكنه لم يؤسس السلام بين شعبي البلدين وعندما توفي كَورو . خاردش ، تولى العرش ابنه كَدي أوشمان خاربي الأول . وكانت والدته موباليت شرو ، وهكذا حدث أن ملكاً آشورياً وضع حفيده على عرش بابل . وقد شن هذا الملك حملة ضد السوتو ، فهزمهم وأسكن بينهم بعض رعاياه المخلصين . وعند عودته من هذه الحملة وجد نفسه في مواجهة تمرد من قبل الخالتيين ، الذين ربما كانوا يغارون من نمو النفوذ الآشوري ، فقُتل. ثم وضع المتمردون على العرش نازوغاش (الذي يُدعى أيضاً شوزويجاش ، حوالي عام 1360 قبل الميلاد) ، وهو رجل من أصل متواضع وليس من نسل العائلة المالكة . وبمجرد وصول أخبار هذا التمرد إلى آشور ، سار أشور. باليط، راغباً في الانتقام لحفيده ، إلى بابل ، وقتل نازوغاش ، ووضع على العرش كَورو . جالزو الثاني ، ابن كَدّي أوشمان خاربي الأول . ربما تم تعيين كَورو . جالزو الثاني (حوالي عام 1350 قبل الميلاد) ملكًا وهو لا يزال شاباً ، وكان حكمه طويلاً . لا يمكننا تتبع أحداثه بالتفصيل ، ولكن قد نحصل على

نظرة خاطفة على بعض أمجاده . قبل قرون عديدة من عصره ، عندما دمر كودور ناخوندي (خدر نانخودي) من عيلام بابل ، حمل معه لوحاً صغيراً من العقيق الأصلي ، تم الحفاظ عليه بعناية في أرض عيلام . وقد حدث هذا نحو عام 2285 قبل الميلاد ، والآن نحو عام 1350 قبل الميلاد ، غزا كورو . جالزو الثاني عيلام واحتل حتى مدينة سوسة نفسها . وقد تم العثور على اللوح الصغير المصنوع من العقيق ، ووضعه كورو . جالزو الثاني المنتصر في معبد إيكور ايزيدا في نيبور ، وقد نقش على ظهره نقشاً مختصراً خاصاً به (غزا كورو . جالزو، ملك كالدونياش ، قصر سوسة في عيلام وقدم (هذا اللوح) إلى بيليت مقابل حياته) . ومن المحتمل أن يشير السجل البابلي إلى هذه الحملة في إشارته إلى حملة كورو . جالزو ضد خورباتيلا ، ملك عيلام ، والتي انتهت بانتصار كبير . بعد غزو عيلام، خاض كوريجالزو الثاني المنتصر أيضاً معركة مع بل نيراري ملك آشور، وهزمه ، كما تروي لنا السجلات البابلية القصة ، على الرغم من أن التاريخ الآشوري المتزامن يزعم انتصار الآشوريين في نفس الصراع أو إسنادهم للملك البابلي . كما خاض نازي ماروداش (حوالي عام 1340 قبل الميلاد) ، ابن كورو . جالزو الثاني ، الملك التالي ، معركة مع الآشوريين ، بقيادة ملكهم أداي نيراري الأول ، الذي هزمه هزيمة ساحقة ، وكسب بعض الأراضي البابلية بدفع الحدود إلى الجنوب . هذه هي الرواية الآشورية ، ولا نعرف ما قد تكون عليه القصة البابلية ، لأن السجلات البابلية مكسورة عند هذه النقطة . أما عن ابن نازي ماروداش الذي خلفه تحت اسم كَدَي أوشمان تورغو فإننا لا نعرف عنه شيئاً سوى بعض النصوص المتعلقة

بالتشريعات القضائية البحتة ، وعن خليفته كَدّي أوشمان بورياش (حوالي عام 1330 قبل الميلاد) فإننا لا نعرف إلا أنه كان في حرب مع شلمنصر الأول ملك آشور ، دون أن نتمكن من معرفة النتيجة لأنها حسب الألواح إستغرقت سنوات طويلة . إن هذه الحروب المتكررة باستمرار مع آشور تنذر بالسوء ، وتشير إلى الزيادة السريعة في قوة آشور . وهي تشير إلى يوم الدمار لبابل ، والمجد للشعب العسكري الذي بدأ يضغط على المدينة العظيمة ..

إننا لا نعرف عن هذه الفترة أي شيء تقريباً سوى السلالات وأسماء ملوكها والتشريعات التي إتخذوها بحق مواطنيهم . ولا تثير أسماء الملوك أي ردة فعل في أذهاننا سوى أنها تتشابه مع الأسماء الآشورية والايزيدية التي لا تزال متداولة الى اليوم مثل (كَدّي ، وأوصمان ، ونازو ، وكَورو ، وبوزو ، وبرو ، ونابو) ، ولا نستطيع أن نسجلها إلا ككلمات ذات معاني قريبة الى واقعنا بعد مرور آلاف السنين ؛ إنهم خودورو –بيل (حوالي 1304–1299 قبل الميلاد) وشامراكتي–شورياش (حوالي 1298–1286 قبل الميلاد) ، وإن كانت قائمة الملوك البابليين قد زودتنا بمدة حكمهم ، ونحن نعرف بالتأكيد وبالتأكيد ترتيبهم في السلالة والآن تأتينا السجلات البابلية مرة أخرى لنجدتنا ، ومعها معلومات مذهلة إلى حد ما. لقد غزا توجو لتي نينيب ملك آشور بابل . ولا نعرف الخطوات التي أدت إلى هذا

الهجوم. ربما كانت النزاعات الحدودية القديمة سبباً في حدوث صعوبات مرة أخرى ، أو ربما كان السبب هو الرغبة المتزايدة لدى الآشوريين في السلطة والإقليم. ولكن أياً كان السبب ، فإن هذا لم يكن غزواً عادياً كان المقصود منه في المقام الأول التهديد . لقد دخل الملك الآشوري إلى بابل وقتل بعض سكانها ودمر سور المدينة جزئياً على الأقل، وأخيراً وهو الأسوأ على الإطلاق ، سلب كنوز المعبد وحمل الإله العظيم مردوخ إلى آشور . لقد كانت هذه هزيمة مؤلمة حقاً ، ونهاية استقلال بابل ، على الأقل في ذلك الوقت . واستمرت سلسلة الملوك خلال فترة الحرب والغزو بأسماء بيبو أشو (حوالي 1285–1278 قبل الميلاد) ، الذي حدث الغزو خلال حكمه على الأرجح ؛ وبلو شميدين ، وكَدّي أوشمان –خاربي الثاني ، اللذين حكما معاً لمدة ثلاث سنوات فقط (حوالي 1277–1275)، وأدي–شوم إدين (حوالي 1274–1269 قبل الميلاد) ولكن لا بد أن آخر ثلاثة من هؤلاء الملوك كانوا تابعين لتوجو لتي–نينيب ، الذي كان الملك الحقيقي لبابل لمدة سبع سنوات ، على الرغم من أنه كان ممثلاً من قبل هؤلاء الملوك باعتبارهم نوابه . وهنا نجد مدينة حمورابي ، المجيدة في تاريخها ، القديمة في أيامها ، يحكمها ملك من دولة آشور الصغيرة الحديثة نسبياً . ولكن الروح القديمة لم تمت تماماً ، فبعد سبع سنوات من هذه الهيمنة ثار البابليون، وطردوا الآشوريين من بابل ، وجعلوا أدي شوم أشور (حوالي 1268–1239 قبل الميلاد) ملكاً ، بينما عاد توجو لتي نينيب إلى آشور ليجد تمرداً ضده يقوده ابنه . وفي هذه الحادثة فقد حياته ، وسقط مع انحدار ثرواته التي كانت في يوم من الأيام لامعة . ومن ناحية أخرى ، كان حكم أدي شوم أشور بمثابة علامة ونتيجة لثروات أفضل في بابل . وفي عهده بدأت قوة بابل في الازدياد مرة أخرى . وهاجم أدي شوم أشور آشور نفسها ، ولم يكن الآشوريون قادرين على إبعاد البابليين المنتصرين عن بلادهم . ولقد قُتِل ملكهم بلو–خودرو–أشور في المعركة ، وفي أثناء الانقلاب الذي شنته بابل ، تمكن من الاستيلاء على بعض الأراضي الآشورية . كما كان عهد ملو–شيبكو (حوالي 1238–1224 قبل الميلاد) فترة من العدوان البابلي على الملك الآشوري نينيبابال–إيشارا ، وكان ذلك بهدف طيب للغاية حتى أن الملك البابلي التالي مردوخ–أبال–إدين (حوالي 1223–1211 قبل الميلاد) رأى الآشوريين محصورين مرة أخرى في أراضيهم الضيقة ، محرومين من كل فتوحاتهم ، وتمكن من إضافة الألقاب الفخورة إلى اسمه ملك قيشاتي ، ملك سومر وأكاد ، في إشارة إلى امتداد السيادة البابلية مرة أخرى لتشمل كامل الوادي تقريباً ..

ولكن هذا التغيير كان أعظم وأشد فجائية من أن يدوم ، ولابد أن تعود قوة آشور قريباً ثم تستمر في النمو من جديد . وعندما أصبح آشور دان ملكاً على آشور ، وربما كان هذا أثناء حكم مردوخ أبال الدين ، حدث انقلاب آخر في المصائر ، وإن لم يكن التغيير مفاجئاً أو عظيماً هذه المرة . فقد قاتل آشور دان الملك البابلي التالي ، زمشوم الدين (حوالي عام 1210 قبل الميلاد) ، ونجح في استعادة بعض المدن في الأرض التي لا تزال موضع نزاع بين آشور

وبابل ، وبذلك قدم الدليل على أن قوة آشور كانت تزداد قوة مرة أخرى . أما الملك الكيشي التالي ، بلشوم الدين (حوالي عام 1209–1207 قبل الميلاد) ، فقد حكم أيضاً لفترة قصيرة ، وربما يشير قصر هذه العهود، كما هو الحال في كثير من الأحيان ، إلى أن تلك الفترة كانت مليئة بالصراعات . لقد كانت آشور تهدد الإمبراطورية البابلية بكل تأكيد ، وذلك لأن حكم آشوردان الطويل أتاح لها الوقت لتنفيذ خططها الواسعة النطاق ، ولم تكن القوة اللازمة لتحقيق هذه الخطط مفقودة على الإطلاق . ولقد أدى فشل الخالتيين في الحفاظ على حرمة أراضي بابل إلى اندلاع ثورة إيزيدية أنهت السلالة التي حكمت المدينة الملكية لفترة طويلة . ولقد بشرت الحرب والخلافات الداخلية في آخر سلالة سابقة بقدوم هذه الثورة ، كما أشارت نهاية هذه السلالة الوشيكة إلى نفس النتيجة ..

الفصل السادس

آثار بابل وآشور

كان يوليوس مول هو أول من شجع بوتا على القيام بأعمال الحفر ، وشجعه على الاستمرار فيها . وخلال كل الوقت الذي أمضاه لايارد ولوفتوس ومساعدوهما في العمل في الحقل ، كان مول يراقبهم من بعيد ، ويسجل نجاحاتهم بعناية . وكان مول سكرتيراً للجمعية الآسيوية في باريس، وفي تقاريره السنوية أخبر الجمعية بكل ما حدث في الوادي العظيم وسط قبور المدن القديمة . وفي تقريره لعام 1855، كان تقريره حزيناً بشكل واضح . فقد سجل حقيقة مفادها أن كل بعثة أرسلت للحفر انتهت من العمل أو تم إعادتها . وبدا له هذا ظرفاً مؤسفاً ، لأن عينه الثاقبة كانت ترى أن التربة كانت مغطاة بآثار تسجل حياة الإمبراطوريات الشاسعة التي كانت تحكم نينوى أو بابل . كان متلهفاً لاستئناف أعمال التنقيب ، ودعا الحكومات إلى اتخاذ خطوات لتحقيق هذه الغاية

كان المستقبل ليؤكد وجهة نظر موهل بشكل كامل ، بل وأكثر من ذلك ، بشأن الكنوز الهائلة المدفونة . ومع ذلك ، لم يحن الوقت لحفرها في عام 1855. لم تكن الحكومات ولا الشعوب الحرة لتستمر في أعمال التنقيب عن الآثار التي كانت مجرد غرائب لا معنى لها عندما تم العثور عليها . يجب أن ينتظر هذا العمل حتى تصل عملية فك الشفرة إلى نتيجة مؤكدة ، وحتى يتم الترويج لعمل الترجمة إلى الحد الذي تصبح فيه النتائج معروفة على نطاق واسع . وكما أظهر الفصل السابق ، انتهت فترة الترجمات المشكوك فيها وبدأت فترة النتائج المعروفة على وجه اليقين في عام 1857. كان من الضروري فقط الترويج لهذه الأمور ، وهذا سيتطلب بعض الوقت . لحسن الحظ ، تم تنفيذ هذا الترويج بشكل رئيسي ، على الأقل في إنجلترا ، من قبل الأساتذة العظماء أنفسهم . إن رولينسون ، وهينكس ، وتالبوت ، ونوريس وهي قائمة رائعة من الأسماء . هم بالتأكيد الرجال الذين كشفوا في الصحف الشعبية أو من خلال المحاضرات والخطابات عن الاكتشافات العظيمة في آشور . ولقد كانت بعض هذه الصحف على نفس النهج القديم الذي سار عليه شيرلي ، وكشفت عن أهمية الدراسات الآشورية في ما يتصل بالضوء الذي كانت ستلقيه على الكتاب المقدس . ومن المؤكد أن هذا من شأنه أن يثير الاهتمام في بريطانيا العظمى ، وكما حدث من قبل ، قد يؤدي إلى بدء المزيد من الحفريات . وسوف يوضح الجزء الثاني من هذا الكتاب كيف كان هذا الحماس لدراسة الكتاب المقدس مؤثراً بشكل رائع في تحفيز البحث الآشوري ..

ليس ذلك فحسب فالتركيز على الجانب الآشوري كان مهماً لإنه يشكل منع إفتتاح أرض الإغريق والشرارة التي ملئت تلك الأرض بالآشوريين القدماء الذين توسعوا حتى الى أعماق البحر في كل من قبرص ومالطا الحديثتين ، فقد كانت هذه الجوانب تثير أسئلة كثيرة عن علاقة الإغريق بالآشوريين وأسباب إنتقال قسماً كبيراً منهم لتلك الأرض وإفتتاحها وإستثمارها ..

كان هناك صبي اسمه جورج سميث ، وكان مقدراً له أن يعمل في مجال النقش ، فقرأ في الفراغات القصيرة من أيامه المزدحمة الكلمات السحرية التي ألقاها رولينسون وغيره من الرواد في مجال ترجمة الألواح والإسطوانات النادرة المستخرجة من آشور ، وقرر أن يبدأ دراسة الآشورية بنفسه . وكما يشهد هو نفسه ، فقد حفزه اهتمامه بالتاريخ التوراتي في البداية على دراسة الآشورية ، وبهدف القيام بشيء ما من أجله ، تقدم في عام 1866 إلى السير هنري رولينسون للحصول على إذن لدراسة النسخ الأصلية أو القوالب أو شظايا النقوش التي تعود إلى عهد تغلث فلاسر . وقد وافق رولينسون على الإذن بكل سرور، وبدأ سميث العمل بجدية . لم يكن نجاحه عظيماً في هذه الأعمال ، ولكن اجتهاده كافأه اكتشاف نقش جديد لشلمانصر يحمل اسم آدي عليه ، والذي حدد من خلاله سنة حكم شلمنصر التي دفع فيها الجزية للمعابد الآدانية . في هذا الاكتشاف ، وهو أول عمل أصلي قام به سميث ، كانت

هناك إشارة صغيرة إلى فائدة لدارس العهد القديم . لقد بدأ سميث كما كان سيستمر . بعد هذا الاكتشاف ، أذهل السير هنري رولينسون بنجاح الشاب لدرجة أنه اقترح توظيفه في المتحف البريطاني للعمل في قسم الآشوريين الجديد . هناك تم تعيينه في بداية عام 1867، وكان نجاحه فورياً . في استعراضه الخاص لعمله في المتحف ، يتذكر سميث بوضوح الاكتشافات الآشورية ، وهذه كانت هي التي منحته شهرته الشعبية الأولى وفرص حياته . وجد في النصوص أسماء وإعلانات ملوك آشور العظماء الذين فندوا الكثير من الأدب التوراتي . لقد حركت هذه الأسماء نبضه ودفعته إلى الاستمرار حتى على حساب صحته . ربما كان استنزاف القوة الحيوية من خلال العمل المستمر والشاق هو السبب النهائي لوفاته المبكرة ، بعد سلسلة الاكتشافات ..

والاستكشافات الرائعة التي كانت أمامه الآن والتي تشير الى أعمال تختلف تماماً عن التاريخ التوراتي وتسبب لهُ بمأزق في فهمه للأحداث . امتلك سميث موهبة غير عادية في فك الشفرات . وبينما كان لا يزال يتحسس طريقه عبر المتاهات المعقدة لفك رموز الكتابة المسمارية ، وصلت إلى المتحف البريطاني بعض النسخ من النصوص القبرصية التي لم تكن قد فككت بعد والتي تحوي الكثير من الكنوز الآشورية . ولفت الدكتور بيرش انتباهه إليها، وسرعان ما انخرط في محاولة لقراءتها . وفي السابع من نوفمبر/تشرين الثاني 1871، قرأ ورقة أمام جمعية الآثار التوراتية بعنوان (حول قراءة النقوش القبرصية) . وكانت الطريقة التي استخدمها مماثلة لخطة جروتفيند ، وقد طبقها بمهارة رائعة وأسفرت عن نتائج مذهلة . فقد اختار كلمة (ملك) ، رغم أنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية التي يستطيع بها إجراء المقارنات ، وحدد أربعين من أصل خمسين حرفاً بين المسمارية واليونانية القديمة وكان من المؤكد أن رجلاً يتمتع بعبقرية من هذا القبيل سيحظى بالشهرة في مجال علم الآشوريات الجديد ..

من عام 1867 إلى عام 1871، تتابعت الاكتشافات حتى ظهرت نسخة سميث من نقوش آشوربانابال . وقد أوضح هذا المجلد المكاسب الهائلة التي حققها التاريخ من اكتشاف النقوش الآشورية وفك رموزها بطريقة مذهلة لكنها لم تعجب الأغلبية لأنها لا تنسجم ما ورد في التوراة ، حيث احتوى على روايات عن الحملات وعمليات البناء التي قام بها آشوربانابال . ومع ذلك ، وبقدر ما كان كل هذا عظيماً ، فإن تأثيره كان أقل كثيراً من تأثير الاكتشاف الذي توصل إليه سميث في عام 1872. في ذلك العام ، بينما كان يعمل بين بعض القطع التي أحضرها راسام إلى المنزل ، اختار سميث لوحاً إسطوانياً مكسوراً ، وسرعان ما قرأ عليه أوجه تشابه واضحة مع الرواية التوراتية للطوفان لكن التورايخ تختلف جذرياً . وسرعان ما تبع القطعة التي عثر عليها ثلاث نسخ مكررة وقطع أخرى أصغر . ومن هذه القطع تأكد من أن الجزء الذي عثر عليه أولاً كان الحادي عشر في سلسلة من اثني عشر لوحاً ، وأنه يروي تاريخ بطل عظيم أطلق عليه سميث اسم إيزدو . بار . ولقد نشر سميث إعلان اكتشافه ، فنسي الجميع

آشوربانيبال ، وربما لم يفكر أحد في الملك العظيم الذي أنشأ المكتبة التي خرجت منها الألواح التي عثر عليها حديثاً والتي وصلت الى 11 الف لوح صغير الحجم يساوي صفحة مملوءة من كل طرف ، ولكن إنجلترا لم تعرف كيف تهدأ في حضور مثل هذا الاكتشاف . وعندما ترجم سميث ما يكفي من الألواح ليتمكن من صياغة قصة مرتبطة إلى حد ما بالطوفان ، كما رواه البابليون ، قرأ ورقة بحثية حول هذا الموضوع أمام جمعية الآثار التوراتية في الثالث من ديسمبر/كانون الأول 1872. وكان الاجتماع كبيراً ومثيراً للحماس .

وترأس الاجتماع السير هنري سي. رولينسون ، وقدم سميث ترجمته ، ثم ساد الحماس عندما أشار الدكتور بيرش إلى أن هذه الترجمة لها أهمية هائلة لدراسة الكتاب المقدس . ومرة أخرى ، عادت شيرلي إلى الأذهان ، واستجاب لها الحضور مرة أخرى . ثم تحدث السيد جلادستون ، فأظهر مدى قيمة كل هذه الاكتشافات لدراسة أصول الثقافة اليونانية التي تعود الى الحضارة الآشورية ، والتي قال إنها جاءت من الشرق عن طريق فينيقيا . وقد لاقى هذا استحسان الحاضرين ، ولكنه لم يكن بالضبط ما كانت المجموعة ترغب في سماعه ، فعادت الجملة الأخيرة للسيد جلادستون إلى تلك المرحلة ، واختتمها بالكلمة السحرية (الدين) . ثم انطلقت الهتافات بحسن نية ، وفي ساعة متأخرة من الليل انطلقت المجموعة لنشر هذه القصة الرائعة عن اكتشاف قصة مبكرة اعتقد الجميع أنها توضح القصة التوراتية في سفر التكوين ، واعتقد الكثيرون أنها تؤكدها وتدعمها وتفهم لماذا جاءت التقاليد الدينية الشمسانية لبلاد الأغريق ..

ولقد حثت الحكومة على الفور على استئناف أعمال الحفر في موقع نينوى للعثور على المزيد من المواد التي قد توضح أو تؤكد الرواية التوراتية . ولكن الحكومة لم تتحرك على الفور أو لم تستطع التحرك على الفور، ولم يكن الجمهور لينتظر . ولقد أدرك أصحاب صحيفة الديلي تلغراف ، وهي مجلة واسعة الانتشار ، الفرصة تحت قيادة المحرر إدوين أرنولد ، فاستغلوها . وعرضوا ألف جنيه لدفع تكاليف رحلة استكشافية إلى نينوى بشرط أن يقودها سميث ، وأن يرسل رسائل إلى الصحيفة يصف فيها تجربته واكتشافاته . وفي العشرين من يناير/كانون الثاني 1873، بعد شهر من وفاة نوريس ، انطلق سميث في مهمته ، وفي الثاني من مارس/آذار وصل إلى الموصل ، مستعداً لبدء أعمال الحفر . وسرعان ما وجد أن التأخير كان أمراً معتاداً ، وأن الفرمان لم يصل بعد . ولقد قام سميث برحلة إلى بابل ، وعند عودته بدأ في أعمال تنقيب صغيرة في نمرود في التاسع من إبريل/نيسان . وكانت الاكتشافات التي تم التوصل إليها قليلة وغير مهمة نسبياً ، ولذلك هجر هذا التل ، وبدأت أعمال التنقيب في تل كوجك في السابع من مايو/أيار. وفي الرابع عشر من مايو/أيار حصل سميث من نفس الغرفة التي عثر فيها راسام على مكتبة آشوربانيبال على جزء جديد من قصة الطوفان يتناسب مع الأجزاء التي عثر عليها سابقاً . وقد اعتُبِرت هذه الحقيقة ذات أهمية

كافية لإرسالها إلى لندن للنشر في الصحيفة . وكان سميث بطبيعة الحال مسروراً بهذا الاكتشاف ، ولكنه كان أيضاً مسروراً للغاية بالعثور على نقوش لأسرحدون وآشوربانيبال وسنحاريب . وبعد فترة وجيزة عثر على قطعتين أخريين من لوح الطوفان ، ثم توقفت أعمال التنقيب في التاسع من يونيو/حزيران ، حيث كان أصحاب صحيفة الديلي تلغراف راضين عن اكتشاف قطع الطوفان ولم يرغبوا في مواصلة العمل . لقد أصيب سميث بخيبة أمل كبيرة بسبب هذا القرار ، وغادر على مضض إلى إنجلترا على الفور مع كنوزه ..

ولكن في الخامس والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني 1873، أرسله أمناء المتحف البريطاني مرة أخرى من لندن ، وكانوا قد خصصوا ألف جنيه إسترليني لمزيد من أعمال التنقيب في نينوى . ووصل سميث إلى الموصل في الأول من يناير/كانون الثاني 1874 ، وبدأ على الفور أعمال التنقيب في تل كوجك . وقد أسفرت هذه الأعمال عن العديد من النقوش والمواد الأثرية المثيرة للاهتمام ، ولكن لم يتم العثور على شيء ذي أهمية مذهلة فيما يتصل بالكتاب المقدس . وتوقف سميث عن العمل وغادر الموصل في الرابع من أبريل/نيسان ، وإذا ما قورنت أعمال سميث باستكشافات لاي وراسام ، فإن حجمها ضئيل نسبياً ، ولكنها كانت ذات قيمة في استعادة الكثير من المواد التاريخية ، وكان تأثيرها على المشاعر والرأي العام في إنجلترا عظيماً للغاية. ولقد تحركت بروحه ، مثلما تحركت بكلماته وأعماله ، رغبة في إجراء أعمال تنقيب جديدة . ومن الجيد أن نتذكر أنه لولا هذا الإلهام ، لكانت الأعمال قد توقفت تماماً . ولقد قرر المتحف البريطاني مرة أخرى الاستعانة بخدمات سميث ، وفي أكتوبر/تشرين الأول 1875، انطلق إلى القسطنطينية سعياً إلى الحصول على فرمان يسمح له باستئناف أعمال التنقيب . ولقد أزعجته بعض المضايقات البسيطة من جانب المسؤولين الأتراك ، ولكنه نجح أخيراً في الحصول على الإذن الذي كان يطمح إليه ، وعاد إلى إنجلترا للتحضير لبعثته الثالثة . وفي مارس/آذار 1876، انطلق مرة أخرى إلى الشرق ، وتوجه إلى بغداد لتفقد بعض الآثار التي كانت معروضة للبيع . وكان من المقرر في ذلك الوقت أن يبدأ أعمال التنقيب ، ولكن الطاعون كان قد ظهر، وكانت البلاد مضطربة ، وكان السكان الأصليون والمسؤولون الأتراك يتدخلون بكل السبل الممكنة . وفي بعثاته السابقة لم يتعلم كيف يتعامل مع الشرقيين ، وكان يبغض تعاطفهم دون أن يثير إعجابهم بقوته . كما أزعجه إلى حد ما شجار مع راسام وعائلته . كان سميث جاهلاً بقوانين الصحة التي يرتبط بها الأوروبيون ارتباطاً وثيقاً في الشرق ، فكان يعمل كثيراً ، ولا يستريح إلا قليلاً ، وكان مهملاً في توفير الطعام الجيد المناسب للمناخ . وفي بعض الأحيان كان يركب الخيل لأيام ، ولا يأكل سوى قشور الخبز .

وفي مواجهة الصعوبات التي واجهها ، ولم يكن مسموحاً له بالحفر ، كان عليه أن يكتفي بزيارة العديد من التلال ، التي كان يرسمها أو يخطط لها. وفي طريق عودته مرض بالحمى ، وتوفي في حلب في التاسع عشر من أغسطس/آب

1876. وجاءت وفاة سميث إلى عالم الطلاب الآشوريين الصغير كصاعقة من سماء صافية . وفي إنجلترا كان العلماء والناس على حد سواء ينظرون إليه وكأنه نبي تقريباً لأنه الوحيد الذي قدم مذكرات تؤكد إختلافاً واضحاً في التورايخ التوراتية مع تلك التي وجدت في الألواح الآشورية ؛ وفي ألمانيا ، حيث بدأت مدرسة جديدة وقوية من علماء الآشوريات عملها ، أصيب الناس بالارتباك بسبب شدة الخسارة التي شعروا بها. لقد كانت بالفعل ضربة موجعة للدراسة الجديدة ، لكن العلم لم يجرؤ على التباطؤ. لقد أغلقت الصفوف في المتحف البريطاني بتعيين السيد دبليو سانت تشاد بوسكاوين ، وسعى الأمناء إلى رجل ليبدأ من جديد أعمال الحفر التي بدأها سميث ..

كان من الطبيعي أن يلجأوا على الفور إلى راسام . لقد مر وقت طويل منذ أن عمل في هذا المجال ، لأنه كان منغمساً في الخدمة الدبلوماسية . كان يعيش الآن متقاعداً في إنجلترا ، لكنه استجاب على الفور للدعوة إلى الخدمة في نفس المجال الذي اكتسب فيه شهرته الأولى ..

وفي نوفمبر/تشرين الثاني 1876، انطلق راسام إلى القسطنطينية بحثاً عن فرمان . وهي المهمة نفسها التي كلفت سميث الكثير من الآلام . وبعد انتظار عقيم دام أربعة أشهر ، عاد إلى إنجلترا ، ولكنه غادرها مرة أخرى عندما أصبح السير أوستن هنري لايارد سفيراً لبريطانيا في القسطنطينية . وكان هذا في الواقع تعييناً موفقاً للدراسات الآشورية . وكان من المتوقع أن يبذل لايارد قصارى جهده لتأمين فرص لمزيد من التنقيب إذا كان ذلك ممكناً . وكانت محاولاته لدى الباب العالي ناجحة ، وفي نوفمبر/تشرين الثاني 1877 عاد راسام إلى الموصل ، حيث تلقى عن طريق التلغراف نبأ منح الفرمان . وكان اختياره للموقع الذي سيجري فيه التنقيب موفقاً للغاية . فقد عثر السكان الأصليون على تل بلاوات الذي لم يُستكشف حتى الآن ، والذي يقع على بعد خمسة عشر ميلاً تقريباً شرق الموصل ، على شظايا من ألواح برونزية ، وقد أُرسلت بعض عينات منها إليه في إنجلترا . وقد عرض هذه القطع على الأستاذ سايس ، الذي وجد عليها اسم شلمنصر ، واكتشف أهميتها ، ونصح راسام بالبدء في الحفريات في ذلك الموقع . وهكذا نشأت بين سايس ورسام علاقة مماثلة لتلك التي كانت بين موهل في الأيام السابقة وبوتا وكانت النتيجة ناجحة للغاية . فقد اكتشف راسام في هذا التل ، الذي جاءت منه القطع ، ألواحاً برونزية منقوشة ومزخرفة بشكل جميل كانت تغطي في وقت ما بوابات قصر شلمنصر ومع ذلك ، فقد بدأ أيضاً أعمال التنقيب في تل كوجك ونمرود ، حيث عُثر على عدد صغير من النقوش المثيرة للاهتمام . كما قام راسام برحلات واسعة النطاق عبر أجزاء من بابل ، ومن بين نتائج أخرى حدد موقع سيبارا . وزار بابل وأجرى بعض الحفريات الصغيرة هناك ، وعاد بعد ذلك عن طريق فان إلى إنجلترا . ورغم أن هذه المغامرة الأخيرة لراسام لم تكن غنية بالنتائج مثل رحلته

السابقة ، إلا أنها ساعدت في جمع المقتنيات الوطنية للمتحف البريطاني ، وبالتالي أضافت إلى معرفة التاريخ القديم ..

وبينما كان راسام مشغولاً ظهر مكتشف جديد في الشرق وبدأ عمله بهدوء شديد . عُيِّن السيد إرنست دي سارزيك قنصلاً فرنسياً في البصرة على الخليج العربي ، وتولى مهامه في يناير 1877. وكان قد أمضى وقتاً في الحبشة وخدم في مصر . وكان يعرف الصحراء وشعبها ، وحمل إلى منصبه الجديد حماساً قوياً للعمل الأثري . وبعد شهرين من دخوله البصرة ، بدأ دي سارزيك أعمال التنقيب في تل تيلوها الذي يبلغ طوله أربعة أميال ، ويقع في السهل الرسوبي الكبير في جنوب بابل ، على بعد حوالي خمسة أميال من ضفاف شاتل هاي ، وستين ميلاً شمال مغير . وعمل دي سارزيك على هذا التل من 5 مارس إلى 11 يونيو 1877، ثم مرة أخرى من 18 فبراير إلى 9 يونيو 1878. وفي يوليو 1878، عاد إلى باريس ووجد نفسه مشهوراً . عاد مرة أخرى وعمل في التل من يناير إلى مارس 1880، وأيضًا من 12 نوفمبر 1880 إلى 15 مارس 1881. وهكذا امتد عمله على مدى فترة طويلة ، وبدلاً من مجرد حفر الخنادق هنا وهناك ، حفر بشكل منهجي على جزء كبير من التل . وكانت النتائج مليئة بالمفاجآت لنقابة الطلاب الآشوريين ، وكانت ثورية بالفعل . كشف عن معبد ايزيدي جميل ، كانت جدرانه الخارجية بطول مائة وخمسة وسبعين قدماً وعرض مائة قدم ، أقيمت على تلة ضخمة يتراوح ارتفاعها بين ستة عشر إلى عشرين قدمًا. كان الجدار الخارجي سمكه خمسة أقدام ، مبنياً من الغرانيت الكبير الذي يبلغ طوله قدمًا مربعاً واحداً ، ويحمل اسم جوديا . تم تثبيت هذه الغرانيت بإحكام معًا بالبيتومين . وجد في الداخل ست وثلاثين غرفة ، معظمها صغيرة الحجم ، على الرغم من أن إحداها كانت خمسة وخمسين قدماً في خمسة وستين قدماً . ولقد عثر في كل غرفة تقريباً على أشياء ذات أهمية أو إرشاد لدراسة تاريخ بابل المبكر. ففي غرفة واحدة فقط عثر على ما لا يقل عن ثمانية تماثيل من حجر الديوريت ، تعود إلى فترة مبكرة من الفن البابلي ، وقد شوهها للأسف بعض البرابرة اللاحقين ، لأنها كانت بلا رأس تم نقلها جميعها الى باريس . ولكن النقوش القيمة كانت في حالة جيدة من الحفظ وفي جزء آخر من التلة أثناء الموسم الأول عثر على أسطوانتين جميلتين من الطين ، يبلغ طول كل منهما أربعاً وعشرين بوصة وقطرها اثنتي عشرة بوصة . وكل منهما تحتوي على ما لا يقل عن ألفي سطر من النقوش ، وبذلك تشكل أطول نقوش من فترة مبكرة معروفة آنذاك . ولقد تم إنجاز عمل دي سارزيك بأسلوب بارع ، وعندما تم نقل النقوش والأشياء الفنية إلى باريس وإيداعها في متحف اللوفر ، شعر المرء بأن عصراً جديداً قد بدأ بالفعل في دراسة الآثار السومرية بابلية كانت أم آشورية . وقد تم تجهيز أماكن في متحف اللوفر ، ووجدت هذه الأشياء مكاناً تحت السقف الكبير ، إلى جانب اكتشافات بوتا ، الرائد . ولم تحظ هذه الاكتشافات بنفس القدر من التقدير الذي

حظيت به اكتشافات بوتا في فرنسا ، أو لايارد في إنجلترا ، ولكنها كانت أكثر قيمة من الناحية العلمية لانها كانت تضم شريعة ومناقشات فلسفية عميقة تخص أصل نشوء الكون . فقد كان السومريون أكثر قدرة على تعلم اللغة الأولى من النقوش ، كما كانت التماثيل والنقوش البارزة قادرة على تكوين فكرة خافتة عن ظهور هؤلاء العظماء الذين وضعوا أسس الحضارة في جنوب بابل . وكانت هذه خدمة جليلة قدمها دي سارزيك . وكانت هذه الخدمة وحدها كافية لمنحه مكانة عالية في قائمة أولئك الذين أعادوا الحياة إلى بابل ..

ومن خلال الألواح والنقوش وترجمتها إكتشوا أن المراسلات بين ملوك آشور وبابل تتحدث عن تواريخ فلكية لنهاية العالم في حينها وواحدة من فرضياتهم كانت سقوط نيزك كبير على المنطقة وأخرى تتحدث عن غزو فضائي محتمل لهذا شرعوا في نسخ ما وصلت اليه حضارتهم على ألواح وإسطوانات من المعادن الثمينة التي تقاوم الحرائق الكبرى أو الإنفجارات فإستخدموا اللازورد والعقيق والألماس عالي الدقة ومعادن حتى اليوم يجهل الفرنسيين والبريطانيين إسم معدنها وخواصه الكيميائية والفيزياءية على السواء ..

جندوا جيشاً من العلماء والمختصين لهذه المهام ووضعوا إستراتيجية تنقل كل علومهم وعاداتهم وتقاليدهم الى أجيال لاحقة حتى تفهم ما قد حدث معهم ومع شعوبهم ، ووزعوا هذه الألواح على مناطق كانوا يعتقدون أنها ستنجو من الكارثة ..

لقد استأنف دي سارزيك عمله في تيلوه مراراً وتكراراً منذ عام 1881، وكان يخرج كل عام من نفس التلال باكتشافات جديدة مثيرة للاهتمام وفقاً للخرائط التي حملها والتي كانت ترشده لمواقع البحث . ففي عام 1894، هدم عماله بمجارفهم غرفة تم أخذ ما لا يقل عن ثلاثين ألف لوح من اللازورد الخالص وقطعاً منها من العقيق ، وهي كنز ضخم من المحفوظات ذات الطابع التجاري في الغالب والمتعلقة بالتجارة والزراعة والصناعة لا تقدر بأي ثمن على الإطلاق ، إلى جانب عدد كبير من وثائق المعابد الإيزيدية والمذكرات الدينية . وكانت كمية الألواح ضخمة لدرجة أنه لم يكن من الممكن حمايتها من نزعات السرقة لدى السكان الأصليين ، وسرقت آلاف الألواح لبيعها وتوزيعها في جميع أنحاء العالم سواء في المتاحف العامة أو في أيدي خاصة لكن في النهاية وصلت الى مكانها في المتاحف بعد دفع ملايين الباونات من أجلها في ذلك الحين . ورغم أن هذا أمر مؤسف ، فمن الآمن أن نتوقع في النهاية أن القليل منها سوف يضيع في أيدي العلماء . وباستثناء هذا فقد نجح دي سارزيك في تأمين جزء مهم من النتائج الرائعة لاستكشافاته لمتحف اللوفر ، ولم تنته أعماله بعد ..

خلال هذه الفترة الطويلة من الاستكشاف والتنقيب ، التي قامت بها كل دول أوروبا تقريباً ، نشأت في أمريكا مدارس لطلاب لغات وتاريخ وأديان الشرق القديم وخاصة الآكادية والآرامية والآشورية وكذلك تدريس نماذج كتابية

عن المسمارية والأشكال والرسومات الهندسسية التي كانت متداولة في العهود السومرية والبابلية والآشورية . وكان من الطبيعي أن يبدأ الرجال في أمريكا أيضاً في الحديث عن الجهود المبذولة للمساعدة في العمل العظيم المتمثل في استعادة بقايا الحضارة البابلية والآشورية . في عام 1884، في اجتماعات الجمعية الشرقية الأمريكية وجمعية الأدب والتفسير التوراتي ، عقدت مؤتمرات حول هذا الموضوع شارك فيها الأستاذ جون ب. بيترز من فيلادلفيا ، والقس الدكتور ويليام هايز وارد ، والأستاذ فرانسيس براون ، والأستاذ إسحاق هـ. هول من نيويورك ، والأستاذان سي إتش توي ودي جي ليون من جامعة هارفارد . أخيراً شكل هؤلاء السادة وغيرهم منظمة ، ارتبطت فيما بعد بالمعهد الأثري الأمريكي ، لغرض جمع الأموال لإرسال بعثة إلى بابل لاستكشاف البلاد ومعرفة الأماكن التي قد يكون من المفيد إجراء الحفريات فيها والحقيقة التي تم ذكرها في مذكراتهم فيما بعد أن الهدف كان الثراء المادي والمتاجرة بالآثار أكثر من هدف إكتشاف حضارات قديمة ، وقد تبرعت الآنسة كاثرين لوريلارد وولف من نيويورك بخمسة آلاف دولار لتغطية نفقات هذا الاستكشاف الأولي من دافع ديني بحت ، وفي السادس من سبتمبر/أيلول 1884 ، غادرت نيويورك بعثة وولف إلى بابل . وكان طاقم هذه البعثة يتألف من الدكتور ويليام هايز وارد ، والسيد جيه إتش هاينز ، الذي كان آنذاك مدرسًا في كلية روبرت في القسطنطينية ، والدكتور جيه آر إس ستيريت . وقد سافروا عبر مساحات شاسعة من أرض بابل ، وزاروا المواقع التي أجريت فيها أعمال تنقيب من قبل ، فضلاً عن عشرات التلال التي لم يفحصها علماء الآثار بعد . وعند عودته في يونيو/حزيران 1885، أوصى الدكتور وارد بإلحاح بإرسال بعثة إلى الميدان للقيام بأعمال التنقيب الفعلية لإستخراج الكنوز . ولقد أشار الدكتور وارد إلى أن الأنبار هي الموقع الذي اختير لهذا الغرض ، ولكنه تحدث بحماس عن الفرص المتاحة في أماكن أخرى ، من بينها نيفر ، التي تم تحديدها خطأً على أنها كالنيه القديمة ، والتي قال عنها لم يتم عمل أي شيء هناك ، إنها موقع واعد للغاية لمدينة شهيرة للغاية . ولم تسفر تقارير الدكتور وارد عن أي نتائج فورية ، ولكن الخميرة كانت تعمل بثبات ، وكانت الجهود مستمرة في عدة اتجاهات لتأمين الأموال اللازمة للقيام بالحفريات . وأثمرت جهود الدكتور جون ب. بيترز أخيراً ، وأرسلت جامعة بنسلفانيا بعثة انطلقت من نيويورك في 23 يونيو 1888. وكان الدكتور بيترز مديراً لهذه الشركة ، وكان الأستاذان هيرمان ف. هيلبريشت من جامعة بنسلفانيا ، وروبرت ف. هاربر من جامعة شيكاغو ، من علماء الآشوريات ، والسيد بيريز هاستينجز فيلد ، المهندس المعماري ، وجيه . إتش. هاينز، مدير الأعمال ، والمفوض ، والمصور الفوتوغرافي . ومع ذلك ، فقد مر وقت طويل قبل أن تتمكن البعثة من القيام بعملها . كانت هناك التأخيرات المعتادة في الحصول على الإذن من الحكومة الإمبراطورية العثمانية ، وكانت هناك صعوبات في جمع

المعدات وفي تجميع الموظفين ، وكان هناك تحطم سفينة جزء من البعثة على جزيرة ساموس ، ومخاطر على الصحة والحياة أثناء الرحلة الطويلة عبر البر إلى جنوب بابل ..

وإكتشف الأمريكان أن كل خرائط البحث والتنقيب بيد الإنكليز وأنهم وضعوا شروط للبحث بالحصول على إذن من الدولة العثمانية التي كانت مطية للبريطانيين يتحركون من خلالها بالمنطقة كما يشاؤون ، وأخيراً ، في السادس من فبراير/شباط 1889، بدأت أعمال التنقيب في جبل نفر، أو نفر، موقع نيبور القديمة بعد الحصول على موافقة البريطانيين والعثمانيين ، واستمرت حتى الخامس عشر من أبريل/نيسان ، بقوة قصوى بلغت مائتي عربي. وكانت الصعوبات هائلة ، حيث كانت هناك صراعات مستمرة مع بعض القبائل الأصلية ، وكان من بينهم العديد من الأفراد ، ومع العديد من المسؤولين الأتراك . ولكن على الرغم من كل هذا، قامت البعثة بمسح مثلثي لجميع التلال وحصلت منها على أكثر من ألفي لوح مسماري وقطعة (من بينها ثلاثة مؤرخة في عهد الملك آشور يتي ليلاني من آشور) ، وعدد من الطوب المنقوش ، وختم من العقيق الأحمر لنارام سين ، وشظية من أسطوانة برميلية لسرجون الآشوري ، ولوح حجري منقوش ، وعدة شظايا من المزهريات المنقوشة (من بينها اثنتان للملك لوكال. زاكيسي من إريك) ، ومقبس باب كورو جالزو ، وحوالي خمسة وعشرين وعاءاً إيزيدياً كانت توضع في المعابد الشمسانية وهي من الذهب الخالص ، وعدد كبير من المزهريات الحجرية والمعدنية الثمينة بأحجام وأشكال مختلفة ، وصور اللازورد الأزرق للآلهة وقوالبها القديمة ، والنقوش ، والتماثيل الذهبية ، والألعاب من العقيق الأحمر والأزرق ، والأسلحة والأواني من الحجر والمعادن الثمينة ، والمجوهرات من الذهب والفضة والنحاس والبرونز والأحجار الكريمة المختلفة ، وعدد من الأوزان والأختام وأسطوانات الأختام". إن هذا السجل ممتاز ، ولكن الدكتور بيترز يرى أن عمل العام الأول كان فاشلاً إلى حد ما ، على الأقل فيما يتصل بنيبور . ولعل هذا الحكم تأثر بالصعوبات الكبيرة التي واجهتها البعثة مع العرب والتي أزعجت الأيام الأخيرة من العمل . لقد نجح العمل ، وإن كان أهميته أقل كثيراً من أهمية العمل الذي تلاه ..

في الفترة من الرابع عشر من يناير إلى الثالث من مايو 1890، عادت بعثة جامعة بنسلفانيا إلى العمل في نيبور، بقيادة الدكتور بيترز ، والسيد هاينز ، وبقوة قصوى بلغت أربعمائة عربي . وخلال هذا الموسم ، تم انتشال حوالي ثمانية آلاف لوح مكتوب عليها من الأنقاض ، فضلاً عن قطع أثرية من أنواع أخرى بأعداد كبيرة . وكان عاماً ناجحاً بشكل رائع في كل التفاصيل ، كما كان أقل اضطراباً بسبب المشاكل مع العرب من العام السابق . تم إرسال كل هذه الآثار إلى القسطنطينية للمتحف الإمبراطوري ، على الرغم من أن أجزاء كبيرة منها تم تقديمها لاحقاً إلى متحف جامعة بنسلفانيا كهدية شخصية من السلطان . نشأ هذا العمل الكريم مباشرة من المسار الكريم والكريم

الذي اتبعته سلطات جامعة بنسلفانيا. لقد سلموا الآثار بأمانة إلى سلطات القسطنطينية ،كما وعدوا بالفعل ، لكنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير . تم إرسال البروفيسور هيلبرشت إلى القسطنطينية لفهرسة هذه المجموعات نفسها للمتحف الإمبراطوري . لقد تم إنجاز هذا العمل بمهارة كبيرة ، ولكن أيضاً ببراعة كافية لاستحضار تعبيرات الامتنان من كل من كان مرتبطاً بالمتحف . ومن خلال الهدايا من الآثار إلى المتحف في فيلادلفيا ، والذي كان البروفيسور هيلبرشت نفسه أميناً عليه ،كان السلطان يهدف إلى رد الجميل لجامعة بنسلفانيا على هذه الهدية المجانية من خدماته ..

توقفت أعمال التنقيب في نيبور لبعض الوقت ، ولكن في الحادي عشر من إبريل/نيسان 1893، أرسلت جامعة بنسلفانيا بعثة أخرى إلى الميدان تحت إشراف السيد ج. هـ. هاينز . ثم بدأت واحدة من أهم البعثات الطويلة في بابل أو آشور . وظل هاينز ثابتاً على الأرض في العمل حتى الخامس عشر من فبراير/شباط 1896، مع استراحة قصيرة من الرابع من إبريل/نيسان إلى الرابع من يونيو/حزيران 1894. ولم يسبق لأي أوروبي من قبل أن يجرؤ على إجراء أعمال تنقيب في موسم حار . ولم يتحدث البروفيسور هيلبرشت بشكل ودي للغاية عندما قال إن النجاح الباهر كان مخصصاً لتفاني هاينز غير الأناني وجهوده الدؤوبة . قبل أن ينجز مهمته التي لا تُنسى، حتى أولئك الرجال الذين يحق لهم الحصول على رأي مستقل ، والذين أظهروا هم أنفسهم شجاعة وطاقة غير عادية ، اعتبروا أنه من المستحيل عملياً الحفر بشكل مستمر في المناطق السفلية من بلاد ما بين النهرين . على نفس أنقاض نيبور ، الواقعة بالقرب من مستنقعات الملاريا الواسعة ، وبين العرب الأكثر وحشية وجهلاً الذين يمكن العثور عليهم في هذا الجزء من آسيا ، حيث كاد لايارد نفسه يضحي بحياته في الحفر لعدة أسابيع دون نجاح ، قضى هاينز ما يقرب من ثلاث سنوات متواصلة ، معزولاً عن جميع الرجال المتحضرين ، ومعظم الوقت بدون راحة رفيق واحد . لم تكن مهمة سهلة حقاً لأي أوروبي أو أمريكي أن يعيش أربعة وثلاثين شهراً بالقرب من مستنقعات أفيج المتكاثرة والآفات ، حيث ترتفع درجة الحرارة في الظل المثالي إلى ارتفاع هائل في هذه الأيام ،كانت درجة الحرارة في المخيم 120 درجة فهرنهايت (39 درجة على مقياس ريومور) ، حيث كانت العواصف الرملية الخانقة القادمة من الصحراء تسرق ظل الخيمة وتجفف جلد الإنسان بحرارة الفرن ، بينما كانت الحشرات الحاضرة دائماً تعض وتلدغ وتطن طوال النهار والليل ، بينما كانت الكوليرا تتربص عند عتبة المخيم وكان العرب الخونة يخططون للسرقة والقتل ، ومع ذلك ، خلال كل هذه الساعات المرهقة ،كانوا يؤدون واجبات ثلاثة رجال عاديين . حقاً،كان نصراً رائعاً ، تحقق بتضحيات لا حصر لها ، وتحت عبء من الأعمال التي تكفي عملاقاً ، بالمعنى الكامل لكلمة نصب تذكاري دائم ..

خلال الحملة الثالثة لجامعة بنسلفانيا ، تم استخراج حوالي واحد وعشرين ألف لوح مسماري وقطع من التل ، بالإضافة إلى ذلك تم العثور على أعداد كبيرة من الآثار من أنواع أخرى ، وكلها ذات أهمية كبيرة في إعادة بناء تاريخ بابل الماضي . ومن بين هذه الآثار أعداد كبيرة من المزهريات وقطع من المزهريات من أقدم فترة من التاريخ ، وبلاط الصرف ، ومواسير المياه ، وطوابع العقيق ، والتوابيت الغرانيتية الجميلة المزججة على شكل بلاط ومحفوظة بشكل جيد ، وتماثيل وقطع من الديوريت ..

بعد انقطاع قصير وضروري ، بدأت بعثة فيلادلفيا العمل مرة أخرى في فبراير 1899 ، مع الدكتور جيه إتش هاينز كمدير والسادة جيري وفيشر كمهندسين معماريين . في يناير 1900، وصل البروفيسور هيلبريشت إلى نيبور وتولى المسؤولية كمدير علمي . وتحت إشرافه تم التنقيب بشكل منهجي في "مجموعة واسعة من التلال إلى الجنوب الغربي من معبد إيزيدا . ومن نفس الموقع تم استخراج نحو مائة وخمسة وعشرين لوح خلال الحملة الأولى ، ثم زادت عمليات التنقيب اللاحقة العدد إلى نحو خمسة عشر ألف لوح . وفي غضون ستة أسابيع تم الكشف عن سلسلة من الغرف التي زودت بما لا يقل عن ستة عشر ألف وثيقة مسمارية ، والتي شكلت جزءاً من مكتبة المعبد خلال النصف الأخير من الألفية الثالثة قبل الميلاد ..

لقد جاءت من هذه الحملات الأربع كمية هائلة من الأدب من كل الأنواع ، فكانت هناك رسائل وبرقيات ، وقوائم زمنية ، وشذرات تاريخية ، ومقاطع لغوية ، ونقوش متعلقة بالمباني والأعمال التجارية ، ونصوص فلكية ودينية إيزيدية ، وألواح نذرية ، وقوائم جرد ، وقوائم ضريبية ، وخطط للعقارات . ولم تكن أي حملة ناجحة مثلها قط، ولم تحظ بدعم حار في الداخل مثلها قط. وبفضل الحظ الذي حظيت به في إدارتها في الداخل ، والثراء الذي حظيت به في الإدارة العلمية للأستاذ هيلبرشت ، كانت النتائج التي تم التوصل إليها تستحق كل هذا الإنفاق من الطاقة والأرواح والثروة إن ألمانيا وحدها بين أعظم الأمم الحديثة لم تفعل إلا القليل في مجال الاستكشاف بينما كانت الشعوب الأخرى مشغولة للغاية . وقد قدمت الدراسات الألمانية أعظم المساهمات في فك رموز النصوص التي اكتشفها المستكشفون الصبورون الذين أرسلهم آخرون وفي المعالجة العلمية لها. وكان من الغريب ألا تسعى ألمانيا أيضاً إلى العثور على ألواح جديدة فضلاً عن قراءتها . كان البروفيسور فريدريش ديليتش ، وهو من رواد علم الآشوريات منذ فترة طويلة وأحد أبرز العلماء في العصر الحديث ، هو الذي حث على تشكيل الجمعية الألمانية الشرقية ، والتي تم تأسيسها أخيرًا في أوائل عام 1898 ..

وحتى قبل أن يتم تأسيس الجمعية المقترحة ، كانت هناك لجنة للتحقيق الأثري في أراضي نهري دجلة والفرات مستعدة للحصول على معلومات مباشرة بشأن المواقع المختلفة التي بدت واعدة بأفضل النتائج عند التنقيب عنها وتحقيقًا لهذه الغاية ، غادر الأستاذ إدوارد ساخاو من جامعة برلين برفقة الدكتور روبرت كولدوي إلى الشرق في الثالث والعشرين من أكتوبر عام 1897. واستكشفا بابل وآشور بشكل شامل، وعادا بمعلومات وفيرة لاستخدام الجمعية الجديدة ، التي كانت قد بدأت الآن بشكل جيد . وقد قدم العلماء مساعدتهم لها ، ومنح الإمبراطور الألماني منحة مالية ، وفي نهاية العام تم إرسال بعثة إلى الشرق مع الدكتور كولدوي كمدير والدكتور برونو ميسنر من هاله كعالم آشوريات. وبعد خدمة مفيدة للغاية ، تقاعد الأخير وخلفه الدكتور إي . ليندل من ميونيخ . وفي ربيع عام 1899 ، بدأت أعمال التنقيب في تلة القصر العظيمة في بابل ، والتي كانت تقع تحتها بقايا قصر نبوخذ نصر . وقد حققت هذه الأعمال نجاحاً ملحوظاً منذ البداية ، حيث تم اكتشاف نقش حثي جديد والعديد من الألواح التي تعود إلى العصر البابلي الجديد . والآن أصبحت الأعمال المستقبلية ، التي لابد وأن تستمر لسنوات عديدة ، في أيد أمينة ، لأن الصبر والمثابرة الألمانية كفيلة بالتأكيد بمواصلتها حتى النهاية ..

في عام 1888، تم اكتشاف رسائل وبرقيات في مصر كانت مكتوبة في أغلبها بالخط واللغة البابلية . كانت امرأة فلاحية تعيش في قرية صغيرة بائسة من الطين تسمى تل العمارنة ، على ضفاف النيل ، على بعد حوالي مائة وثمانين ميلاً جنوب ممفيس ، تبحث عن الآثار بين الرمال والحجارة على جانب الجبل على مسافة ما من النهر . لم تكن تعلم أن كل ما تبقى من معبد وقصر الملك الزنديق العظيم في مصر ، أمنحتب الرابع ، أو كما أطلق على نفسه ، أخن أتون ، كان تحت هذه القمامة. كان همها الوحيد العثور على بعض قطع الأنتيكة ، التي قد تباع لأولئك الغرباء من أوروبا وأمريكا ، الذين يشترون الأشياء لمجرد أنها قديمة . أخذت من الكومة أكثر من ثلاثمائة قطعة من الألواح المنقوشة ، بعضها لا يزيد حجمه عن 2 x1/8بوصة في 1 x11/16بوصة، بينما يبلغ حجم البعض الآخر 8 x3/4بوصة في 4 x7/8بوصة وحتى أكبر من ذلك . وقد اقتنى السيد ثيودور جراف من فيينا مائة وستين من هذه القطع ، وكثير منها عبارة عن أجزاء مجزأة ، واشتراها منه السيد ج. سيمون من برلين ، وأهداها إلى المتحف الملكي في المدينة الأخيرة. واشترى الدكتور إي . إيه. واليس بودج اثنتين وثمانين منها لصالح أمناء المتحف البريطاني ، ووصلت ستون منها إلى حيازة متحف الجيزة في القاهرة ، وقليل منها إلى أيدي خاصة ..

إن الوثائق التي تم استردادها إلى العالم بهذه الطريقة تعتبر من أهم الاكتشافات المسمارية ، وهي تتألف من رسائل وبرقيات تم تبادلها بين أمينوفيس الثالث وأمينوفيس الرابع من جهة ، وبين ملوك وأمراء وحكام غرب آسيا من جهة أخرى ، ومن بينهم كَدّي أوشمان بيل ملك بابل ، وأشور أوباليت ملك آشور، ودوشراتا ملك ميتاني ، وربو عدس

ملك جبيل ، وعبي ملكي ملك صور ، وعبدي خيبتي ملك القدس ، وغيرهم الكثير . إن قيمتها التاريخية عظيمة ليس فقط بسبب المادة الزمنية التي يمكن استنتاجها منها ، بل وأيضاً لأنها تعطي ضوءاً جانبياً جديراً بالملاحظة على العلاقات الاجتماعية بأكملها في ذلك الوقت خلال السلسلة الطويلة من السنوات التي قامت فيها أوروبا وأمريكا بالتنقيب في الشرق ، لم يثر هذا الموضوع اهتماماً كبيراً في تركيا ، التي تم اكتشاف كل هذه الاكتشافات في إمبراطوريتها العظيمة التي أقامتها بريطانيا كواجهة للتغلغل في البلدان الإسلامية . ولكن خلال الجزء الأخير من الفترة حدث إحياء كبير للحماسة للآثار القديمة في تركيا نفسها أو الأراضي التي ضمها لها من أرمينيا وجورجيا والعراق وسوريا ، ويرجع ذلك بالكامل تقريباً إلى حكمة وصبر وتعلم رجل واحد . لقد تلقى حمدي بك تدريبه في انكلترا ، وكان رجلاً يتمتع بذوق طبيعي رفيع وحماس شخصي كبير ، وكان مناسباً بشكل رائع لمنصب المدير العام للمتحف الإمبراطوري العثماني . لقد حوله وكل ترتيباته وضمن له مستقبلًا عظيماً. وبدعم من شقيقه خليل بك ، قدم مساعدة كبيرة ومتواصلة لبعثة فيلادلفيا ، واستفاد متحفه بشكل رائع من ذلك . لم يتبق سوى أن يقوم هذا المتحف ، الذي يتمتع بأفضل موقع في العالم للاستفادة من ذلك ، بإجراء الحفريات بنفسه . نجح حمدي بك في إثارة اهتمام السلطان نفسه بالأمر وإقناعه بتوفير مبلغ من المال من محفظته الخاصة لإجراء الحفريات في أبو حبة ، موقع سيبار القديمة . كان مدير البعثة هو الأب شيل ، وهو دومينيكاني فرنسي ، وهو عالم آشوريات بارز ، وكان برفقته بيدري بك ، الذي كان مفوضاً تركياً في بعثة فيلادلفيا ، وبالتالي كان يعرف من خلال خبرته أفضل طريقة للاستكشاف . كانت البعثة ناجحة تماماً ، وفي غضون شهرين قصيرين ، وبتكلفة ثلاثة آلاف فرنك فقط ، جمعت مخزوناً رائعاً من أكثر من ستمائة وتسعة وسبعين لوحاً وقطعة ، معظمها رسائل وعقود مؤرخة في عهد شمشو ايلونا ، ابن حمورابي وخليفته ، بالإضافة إلى العديد من المزهريات وغيرها من الأشياء المشابهة لتلك التي عثرت عليها البعثة في نيبور . وبطبيعة الحال ، حظي شيل بدعم من جميع المسؤولين الحكوميين بأشد أشكال الولاء ، ونجاحه يعد بوعد مثير للاهتمام للمستقبل. إن الحكومة التركية قادرة على السيطرة على ممثليها في محيط التلال ، وإذا تم إيقاظها بالكامل للاهتمام بأهمية التنقيب عن كنوزها المدفونة التي لا تعد ولا تحصى من الفن والعلم والأدب ، فلن يتم وضع أي حدود للنتائج العظيمة التي يمكن توقعها لمعرفتنا ببابل القديمة ..

وإلى جانب هذه البعثات الكبرى ، كانت هناك بعثات أخرى أصغر وأقل بروزاً في كثير من الأحيان لتأمين الكنوز الأثرية في بابل وآشور . وأكثرها نجاحاً بلا شك هي الزيارات الشرقية المتكررة التي قام بها الدكتور إي. إيه . واليس بودج من المتحف البريطاني . فقد ذهب بهدوء إلى أجزاء مختلفة من الشرق ، وبفضل فهمه العميق للسكان الأصليين ، تمكن من زيادة مجموعات المتحف عامًا بعد عام . ولم يتم تقديم أي تقرير عام عن عمله ، وبالتالي لا يمكن تقديم

أي سرد لأعماله هنا . وهنا تكمن قصة البعثات لاكتشاف المدن المدفونة في بابل وآشور. ولفترة قصيرة فقط على الأرجح ، لأن المكسب كان كبيراً جداً ، والمكافآت عظيمة جداً، لدرجة أن البعثات الجديدة يجب أن تسعى دائماً إلى فرصة للعمل في نفس المجالات وبينما تكون للبعثات الكبرى فترات عمل وفترات راحة ، فإن شكلاً واحداً من أشكال الاستكشاف يستمر طوال الوقت على الرغم من العديد من الجهود لمنعه . لقد علم أهل المنطقة أن الآثار القديمة يمكن بيعها للأوروبيين والأميركيين مقابل الذهب . ويحظر القانون الاتجار بها في تركيا ، كما يحظر تصديرها من البلاد . ولكن أهل المنطقة يحفرون في الخفاء ويهربون النتائج إلى أيدي التجار ، الذين يقومون بتسويقها في بغداد ولندن وأماكن أخرى . وتؤدي هذه الممارسة إلى حيازة المتاحف وبالتالي إلى أيدي العلماء بمئات الألواح التي قد تظل مخفية لفترة طويلة . ومع ذلك ، فإن هذا الأمر يدعو إلى الأسف الشديد ، لأن الكثير من هذه الألواح قد تضرر بسبب التعامل غير المبالي والجاهل ، كما أن المصدر أو الأصل ، وهو نقطة ذات أهمية كبيرة ، غير معروف أو مخفي خوفاً من الحكومة . لذلك فمن المأمول أن تنجح الحكومة التركية في نهاية المطاف في منع ذلك ، وأن تضمن لمتحفها المتنامي بسرعة المزيد من الأشياء التي يتم العثور عليها بالصدفة كل ما تم العثور عليه حتى الآن ليس سوى جزء صغير مما لا شك أنه مدفون تحت التلال . إن هذا الكتاب يشكل نداءاً عاجلاً إلى أصحاب الثروات ، والمجتمعات المثقفة ، والحكومات ، لمواصلة العمل الذي حقق نجاحاً باهراً بالفعل. إن الفجوات التي ما زالت قائمة في معرفتنا بآشور وبابل القديمتين قد يكون من السهل سدها إلى حد كبير بنفس الأساليب التي منحتنا في الوقت الحاضر معرفة بهذا الماضي العظيم ..

الفصل السابع

النقوش السردية

لقد جاءت من التلال التي تغطي المدن القديمة في بابل وآشور كمية هائلة من الألواح ، التي لا يقل عددها الآن عن مائة وستين ألف لوح في مختلف متاحف العالم . وتحتوي هذه الألواح على أدب الشعبين ، وهو أدب متنوع في الشكل والمحتوى كما هو واسع النطاق وضم ارشيف للحضارات الثلاث من وزارات الى 248 الف مادة قانونية والدين الرسمي واسماء المعابد ومواقعها والخرائط الفلكية للنجوم والأفلاك ومعادلات علمية في كل المجالات وكذلك تعداد السكان ومناطق انتشارهم والأهم حجم التطور العلمي الذي وصل الى القضاء على الأمراض في الإمبراطوريات الثلاث المهمة التي كانت تشكل الأساس في الكومنويلث السومري أو المملكة المتحدة السومرية والتي كان إختصارها في الوثائق بعبارة كي إن جي . وفي النهاية يمكن اعتبار كل هذا الأدب مصادر للتاريخ . فكل لوح تجاري مؤرخ ، ومن هذه التواريخ يمكن تعلم الكثير من أجل التسلسل الزمني ، وحتى الألواح نفسها تحتوي على مواد تتعلق بالحياة اليومية للشعب ، وكلها لابد وأن تكون ذات قيمة في نهاية المطاف في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي . وكذلك الحال بالنسبة لجميع النصوص الدينية الايزيدية ، وجميع الفأل والتعاويذ ، مصادر لدراسة تاريخ التطور الديني الشمساني في المنطقة . ولكن بما أننا هنا معنيون بشكل رئيسي بالتاريخ السياسي ، فإن المصادر الأولية هي ما يسمى بالنقوش الملكية . تبدأ هذه النقوش الملكية في وقت مبكر جداً من تاريخ بابل ، ثم كانت في الأساس مجرد سجلات للأسماء والألقاب . لقد أمر هؤلاء الملوك الأوائل بكتابة أسمائهم وألقابهم بطريقة ما على جميع منشآتهم . حتى التماثيل الصغيرة والمزهريات تحمل العلامة الملكية ، في حين كانت الحجارة المستخدمة في تشييد المباني الكبيرة مختومة باسم الملك وأسماء الأراضي التي حكمها كان السومريون يستخدمون نوع خاص من الحجارة لبناء مؤسساتهم

ومعابدهم وهو البريليوم او الحجر الخالد . ورغم أن هذه النقوش بسيطة وغير مثيرة للاهتمام في كثير من الأحيان بالنسبة للمستكشفين لأنها لا تمثل مورد مالي ضخم ، إلا أنها توضح العلاقات السياسية للأراضي ، وتمكننا ، فيما يتصل بمواد أخرى ، من تتبع خط التطور السياسي .

واستمر هذا النمط من كتابة الأسماء والألقاب حتى سقوط الإمبراطورية البابلية التي لم تكن الشمس تغيب عن مستعمراتها كما جاء في الألواح . ومع ذلك ، كان هناك إلى جانب ذلك شكل سردي من النقوش الملكية ، يقدم وصفًا للحملات والفتوحات التي قامت بها الأسلحة الملكية . وتنقسم هذه النقوش السردية إلى ثلاثة أنواع ـ 1. السجلات 2 ـ نقوش الحملات 3 ـ النقوش النذرية العامة ..

في النقوش الحولياتية يتم ترتيب أعمال الملك حسب تسلسلها الزمني حسب سنوات حكمه كذلك إنتماءه الديني والطبقة الدينية التي ينتمي إليها . ومن بين كل المصادر القديمة ، تعد هذه المصادر هي الأكثر أهمية تلك الألواح المنقوشة على العقيق الأحمر الآداني كما كان البابليون يسمّونه والذي يقسم سلالات الملوك الى ثلاثة وهي الآدانية والشمسانية والقاتانية ويخضع كل ملك الى شيخ من الشيوخ أو الآلهة الإثنا عشر في البانتيون السومري بإستثناء ثلاثة ملوك آدانيين كان بقية الملوك شمسانيين وقاتانيين حكموا بابل وسومر وآشور وهؤلاء الملوك الآدانيين الثلاثة تقول المخطوطات أنهم حصلوا على ألقاب قبل تسلمهم العرش الملكي وهم حمورابي الذي أعطي لقب أستيرا آديا وهو يعني نجم آدي الخالق ونبو خذر نصّر الذي أعطي لقب نصر آديا ويعني نصر الخالق آدي وسنحاريب في آشور الذي أعطي لقب خادم آديا والذي يعني خادم الخالق آدي ، حيث نتعلم منها الترتيب الدقيق للأحداث ، وهو أمر ذو أهمية كبيرة في كثير من الأحيان . بالإضافة إلى هذه النصوص ، ترك الملوك العديد من النقوش التي تم فيها ترتيب الأحداث في حملات . ورغم أن هذه الفئة الثانية لا تقل أهمية عن الفئة الأولى لمجرد بيان الأحداث ، إلا أنها أقل قيمة بالنسبة لنا . فمن خلال ترتيب الحملات يصعب أحياناً التأكد من الترتيب الدقيق للأحداث في الوقت المناسب ، وبالتالي تسلسل الفتوحات أو الهزائم . تبدأ النقوش العامة أو النذرية عادةً بنقش مفصل للغاية للألقاب ، وبكل أنواع العبارات التي تتفاخر بشجاعة الملك . ثم تعرض فتوحات الملك ، مرتبة في مجموعات ، وعادةً وفقًا لخطة جغرافية . إن الترتيب الذي تتبعه هذه النصوص يختلف كثيراً عن الترتيب الزمني ، وبما أن بعض الملوك لم يتركوا لنا سوى نصوص من هذا النوع ، فمن المستحيل أن نفهم تسلسل الأحداث خلال فترات حكم معينة . إن النقوش الملكية التي تصف المعارك والحصار والغزوات آشورية بالكامل تقريباً . أما نقوش الملوك البابليين التي وصلت إلينا فهي بلا استثناء تقريباً سلمية في لهجتها وموضوعها . فهي لا تسجل إلا تشييد المعابد والقصور أو ترميم تلك التي

انهارت جزئياً أو كلياً . أما بالنسبة لترتيب الأحداث في حملاتهم ضد الشعوب الأخرى وكذلك بالنسبة للأحداث نفسها ، فلابد أن نعتمد بالكامل تقريباً على المصادر غير المحلية ..

بالإضافة إلى هذه المصادر التاريخية ، ترك البابليون والآشوريون كمية كبيرة من المواد التاريخية التي يجب أن نوليها اهتمامًا لاحقاً والتي تتعلق بالقيم الحضارية والحقوق المدنية التي وصلوا اليها نتيجة التطور الذاتي والموضوعي لمجتمعاتهم والتي كانت أرث لآلاف السنين بالنسبة لهم قبل تدوينها ومحاولة تركها للبشرية من بعدهم . وفيما يتعلق بقيمتها كمصدر للمعرفة فهذا أمر لا يشك به أحد ، لا يمكن القول إن هذه الآثار الضخمة قيمة إلا بقدر قيمة سجلات الشعوب القديمة الأخرى ، فهي تحمل في معظمها طابع المعقولية والمصداقية . وغالباً ما تحتوي بالفعل على مبالغات ملموسة في البراعة الملكية والانتصارات والفتوحات هذا الأمر قد يبدو مفهوماً . وبالتالي فهي تتطلب غربلة ونقداً صارماً . ولكن في معظم الحالات ، من الممكن أن نتعلم من نتيجة الأحداث الأهمية النسبية لها ، وبالتالي نكون قادرين على التحقق من مقدار الإسراف في السرد . وعندما تخضع الآثار الآشورية والبابلية لنفس الاختبارات وتخضع لنفس قواعد النقد ، فإنها تقدم صورة عادلة وحقيقية لتاريخها الوطني مثل مصادر التاريخ اليوناني والروماني التي اعتاد العالم عليها منذ زمن طويل المصدر الثاني أقل أهمية بكثير من الأول ، ومع ذلك فهو في بعض الأحيان ذو قيمة كبيرة للغاية . إن النصوص الهيروغليفية المصرية لا تشكل أهمية كبيرة كمصدر مباشر للمعرفة فيما يتصل بالتاريخ السياسي لبابل وآشور، ولكنها تحتوي على العديد من أسماء الأماكن والأشخاص المفيدة في توضيح الأسماء المقابلة في النصوص الآشورية . أما المصدر الثالث ، على الرغم من أهميته مقارنة بالمصدر الثاني ، فإنه لا يزال أقل قيمة من المصدر الأثري الأساسي العهد القديم . لقد كانت الفائدة التي حصل عليها العهد القديم من الدراسات الآشورية غير مرضية الى حد كبير ، وإن كانت القيمة الدفاعية للشهادة الأثرية قد تم المبالغة فيها إلى حد كبير في كثير من الأحيان . ومع ذلك ، لا ينبغي لنا أن ننسى أن الاهتمام بالعهد القديم هو الذي ألهم معظم المستكشفين والمنقبين الأوائل وبعض مفسري الشيفرات والمفسرين الأوائل رغم ان النتائج خيّبت آمالهم وأثبتت عدم صحة الكثير من روايات العهد القديم ، وأن الملاحظات التاريخية في العهد القديم جاءت ليس بقليل من النقاط التي ساعدت على توضيح التفاصيل في النقوش المكتشفة حديثاً . إن الأجزاء التاريخية من العهد القديم فقدت أهميتها كمصدر للتاريخ الآشوري والبابلي هي بشكل خاص سفر الملوك الثاني ، بينما كانت ذات أهمية أكبر ، في كثير من الحالات الاخرى الى حد ما . ومع ذلك ، لا تزال هذه الوثائق تحتفظ ببعض الأهمية ، ولابد من استخدامها باستمرار للتحقق من الكتاب الأصليين والسيطرة عليهم ، فضلاً عن المساعدة في ترتيب المواد الأكثر تفصيلاً . ويحتل بيروسوس ، أو بيروسوس ، المرتبة الأولى من حيث الأهمية بين جميع الكتاب الكلاسيكيين ، لأن هذا هو الاسم الذي نُقِل أيضاً

إلى اللغة اليونانية الحديثة . كان بيروسوس بابلي الأصل ، وكان كاهناً للإله العظيم آدي . ولا يُعرف تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته على حد سواء ، ولكن من الواضح أنه كان يعيش في أيام الإسكندر الأكبر (356–323 قبل الميلاد) ، واستمر في العيش على الأقل حتى أنطيوخس الأول سوتر (280–261 قبل الميلاد). وقد كتب عملاً عظيماً عن التاريخ البابلي ، ربما كان عنوانه ، على الرغم من أن جوزيفوس وكليمنس يشيران إليه أيضاً الى عنوان تاريخ بابل وقد أهدى هذا العمل إلى راعيه أنطيوخس الأول سوتر . وقد قُسِّمت بابل إلى ثلاثة أجزاء ، تناول الأول منها التاريخ البشري من الفوضى إلى الطوفان ، والثاني من الطوفان إلى نبوخذنصر ، والثالث من نبوخذنصر إلى الإسكندر . وكان الجزءان الأول والثاني يتألفان فقط من قوائم الملوك دون أي سرد تاريخي مناسب ، بينما بدأ الجزء الثالث القصة الحقيقية للأحداث ..

إن القوائم والسرد الخاص بـ بيروسوس لا يمكن أن يفشلا في أن يكونا مهمين للغاية بالنسبة لنا ، إذا كان لدينا حتى في شكل محفوظ جيداً . ومع ذلك، لسوء الحظ فقد هلك العمل الأصلي ، وكل ما تبقى هو مقتطفات وصلت إلينا بعد الكثير من النسخ والعديد من النقل من يد إلى أخرى . إن تاريخ هذه القطع هو مثال غريب جداً لصناعة الكتب في العصور القديمة . تم أسر شخص معين يدعى ألكسندر ميليتوس ونقله إلى روما كعبد للنتولوس ، الذي حصل منه على اسم كورنيليوس . في عام 82 قبل الميلاد حصل على الجنسية الرومانية وعاش في روما مع بعض التميز كرجل أدبي . ولقد كتب هناك عدداً هائلاً من الكتب المتعلقة بالتاريخ القديم ، ولهذا السبب أطلق عليه اسم بوليهيستور. وكانت الفترة التي بلغ فيها أعظم تميز وإنتاجية له بين عامي 70 و60 قبل الميلاد . وكانت أعماله التاريخية مقتطفات من كتابات أسلافه ، وعلى هذا النحو جمع تاريخ آشور، الذي لا يُعرف عنوانه الدقيق الآن . وقد تألف هذا التاريخ من مقتطفات من بيروسوس ، وأبولودوروس ، وكرونيكا ، والكتاب الثالث من سيبيلين ، وقد ترجمه أبيدينوس إلى اللغة اليونانية شبه الأيونية . كما وصل إلى أيدي يوسيفوس ويوسابيوس . وكان يوسيفوس يبحث بشكل خاص عن تلك الأجزاء من التاريخ التي توضح تاريخ بابل ، وبطبيعة الحال أخذ من الإسكندر فقط تلك الأجزاء التي كانت مناسبة لغرضه . وعلى نحو مماثل ، نسخ يوسابيوس أجزاء فقط . لقد نجحنا من خلال هذه العملية في الحفاظ على أجزاء صغيرة من العمل العظيم الذي قام به بيروسوس ، بينما وصلت إلينا السلالات الحاكمة من جورج السنكيلوس . وحيثما استطعنا الحصول على ما يكفي من أعمال بيروسوس لمقارنتها بالمصادر الأثرية المحلية ، فإننا نجد اتفاقًا ملحوظًا معها . ولا نستطيع أن نتعلم من بيروسوس إلا القليل من القيمة المباشرة ، ولكن الدعم الذي نكتسبه من هذه البقايا المجزأة للمسار العام للتاريخ عظيم جداً . وكما سيتضح لاحقاً ، فإننا نحصل على مادة زمنية شديدة التعقيد والصعوبة من أجزاء معينة من هذه الشظايا ..

وأخيراً ، بين الكتاب الكلاسيكيين ، نأتي إلى هيرودوت ، أبو التاريخ . وقد تباينت الآراء حول قيمة أعماله كمصدر ، وما زالت تتباين . ولا شك أن الكثير كان ينتظر منه . فقد ولد في هاليكارناسوس ، في كاريا ، في عام 484 قبل الميلاد ، وكانت له علاقات بأعظم رجال عصره ، ويبدو أنه خطط لتاريخه بمهارة وعناية . وكان يرغب في سرد الأحداث الشهيرة في الصراع بين الإغريق والبرابرة ، والأسباب التي أدت إلى الحرب الآشورية . وقد سافر على نطاق واسع في الشرق ، وهناك بعض الأسباب التي تجعلنا نعتقد أن هذه الرحلات كانت تهدف إلى جمع المواد اللازمة لتاريخه . لقد زار مصر ، ولكن هناك شك في أنه عبر البلاد بأكملها من البحر الأبيض المتوسط إلى إلفنتين ، ولا يزال هناك المزيد من الشك فيما يتعلق برحلاته خارج حدود مصر . إن الأستاذ سايس يحاول بكل تأكيد أن يترك انطباعاً ، حتى وإن لم يصرح بذلك صراحة ، بأنه زار أيضاً صور الواقعة على الساحل السوري ، وأنه توغل إلى بابل ومن ثم إلى نينوى ، وإلى إكباتانا ، وربما حتى إلى سوسة . وقد حاول الأستاذ سايس أن يثبت ، بقدر كبير من المعرفة والذكاء، أنه (لم يزر آشور وبابل قط) ، ويزعم أنه مدان بعدم زيارته المنطقة التي تعهد بوصفها ، ويختتم بالقول إن الجدال الطويل الذي احتدم حول مصداقية هيرودوت قد انتهى بفضل الاكتشافات التي شهدها في السنوات الأخيرة . ولا شك أن الأستاذ سايس أثبت لهيرودوت مجموعة من المغالطات ، وحكايات بعض الرحالة ، وأنه تخلص فعلياً من ادعاءاته بأنه مصدر مستقل للتاريخ القديم . ومع ذلك، فإن الشكوك المفرطة في هذه القضية ، كما هي الحال في أحكام حديثة أخرى مماثلة ، ربما لا تقل صدقاً عن هذه القضية . هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن هيرودوت زار بابل بالفعل ، وذلك لأن التفاصيل الطبوغرافية التي يذكرها تحمل في كثير من الأحيان طابع شاهد عيان . ومع ذلك ، تظل الحقيقة الرئيسية هي أنه لا يمكن تعلم الكثير من هيرودوت ذي القيمة التاريخية ، باستثناء التحقق من كل حقيقة واحدة من خلال التصريحات الصريحة للمؤرخين الأثريين المحليين ..

وبعد هؤلاء لم يبق بين الكتاب الكلاسيكيين إلا قِلة من الذين يستحقون أن نذكرهم كمصادر . وسوف يتعين علينا أن نقدر المواد الزمنية التي تركها بعضهم ، مثل الأجزاء الأولى من كتاب بيروسوس وقانون بطليموس القيم للغاية ، في وقت لاحق . ومن قِلة أخرى من الكتاب الأقل شهرة ، مثل كليتارخوس ، وأريان ، وهيرونيموس الكاردي ، وكاتب غير معروف عن الإسكندر الأكبر (أونيسكريتوس) ، تم التعرف على بعض التفاصيل الطبوغرافية . ولابد أن يكون حكمنا على جميع الكتاب الكلاسيكيين هو أن قيمتهم تابعة تماماً للمصادر الأصلية وليست بنفس قيمة الإشعارات في العهد القديم أو الكلمات القصيرة من النصوص الهيروغليفية المصرية ..

كان الشعبان البابلي والآشوري يقيمان في وادٍ عظيم له حدود طبيعية واضحة ومحددة . وكانت هذه الحدود الواضحة هي خليج البصرة في الجنوب ، والذي كان يقول لكل أهل البلاد (هكذا تتقدم ولا تتعدى) . وقد احترم هؤلاء

الناس هذه الحدود ولم يغامروا قط بخوض المياه العاتية الغامضة . وفي الشرق كانت الحدود بينهم وبين جيرانهم المجاورين متقلبة وغير مؤكدة . ويبدو أن الحدود الطبيعية هي جبال عيلام، ولكن هذه الجبال تنحدر تدريجياً نحو الغرب إلى السهل ، ولا ترتفع عنه بشكل حاد . وكانت حشود من البشر تتدفق على هذه المنحدرات في كل العصور ، ولم يكن هناك خط دفاعي حاد يمنعهم من الوصول إلى الوادي ، بينما كان أهل الوادي من ناحية أخرى يتمتعون في كثير من الأحيان بقوة غزو كافية لتوسيع حدودهم إلى أعلى المنحدرات حتى عيلام . وفي الشمال أيضاً كانت الحدود غير مؤكدة تقريباً . إن جبال أرمينيا قد تكون بمثابة الحدود الطبيعية في الشمال وهي كانت على محاذاة بجبال زاخو ، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوادي العظيم ، لأنها تنتمي إلى نظام تصريف نهري الفرات ودجلة ، ومثل جبال عيلام ، تنحدر نحو الوادي بشكل أكثر لطفاً من الوادي منه . وعلى هذا ، ففي الشمال ، كما في الشرق ، كانت أراضي آشور وبابل مفتوحة للغزو من الخارج ، أو للغارات من الداخل إلى الخارج والسبب كان يتمثل في إعتبار لالش المقدّسة ومحيطها الذي يسمى بجبال المرّكا أرضاً خالية من السلاح ويمنع فيها حمله على الأقل لسكان المنطقة . أما الحدود الغربية فكانت أكثر غموضاً . ففي الشمال الغربي كانت أراضي الوادي تمتد في ارتفاع لطيف من نهر الفرات إلى هضبة آرام ، وعبرها حتى البحر الأبيض المتوسط . أما في الجنوب الغربي فكانت الصحراء تشكل الحاجز الوحيد بين الوادي وبلاد العرب أو أراضي وادي الأردن . وقد عبر البدو هذا الحاجز بسهولة ، وأصبحوا عوامل قوية في تاريخ البابليين . ولكن البابليين من ناحية أخرى لم يعبروا بسهولة الخط العريض للصحراء ..

وأكثر من ألف ومائي لوح ذكر فيهم أن الممالك الخمسة كانت متحدة في كومنويلث يطلق عليه المملكة المتحدة السومرية لكن البريطانيين رفضوا نشر تلك الألواح وترجماتها خوفاً من أن يقول الرأي العام البريطاني أن تجربة المملكة المتحدة البريطانية مستنسخة من النظام السومري ..

في هذه البلاد ذات الحدود التقريبية كانت هناك إمبراطوريتان عظيمتان لقرون من الزمان ، وكان الخط الفاصل بينهما يتحرك صعوداً وهبوطاً عبر الوادي كلما ازدادت قوة كل منهما على قوة الأخرى . ولم تضع الطبيعة حدوداً بينهما ، لأن الوادي بأكمله كان مفتوحاً من الشمال إلى الجنوب . ومع ذلك، على الرغم من صحة هذا ، فقد كانت هناك منذ العصور البعيدة مقاطعات منفصلة في الوادي ، بحدود محددة إلى حد ما بينها . وإذا بدأنا من الجنوب ، فيمكن وصف هذه المقاطعات المنفصلة على النحو التالي بالقرب من خليج البصرة كانت هناك دولة صغيرة ، وهي دولة الأراضي البحرية التي تشكل أراضي الكويت والبحرين وقطر وكان يطلق عليها بـ دلمون ، والتي كان نفوذها واضحاً في التاريخ المبكر للوادي بأكمله . كانت دولة الأراضي البحرية طينية بالكامل ، وصغيرة المساحة . وفي العصور المبكرة ، كان نهرا دجلة والفرات يمران عبرها من مصبين منفصلين إلى البصرة . وفي وقت لاحق ، على الرغم

من عدم معرفة الوقت ، اتحد النهران وبدأ يتدفقان عبر قناة واحدة إلى البحر . إن هذه المنطقة الطميية تنمو الآن بفضل رواسب النهر بمعدل ميل واحد تقريباً في سبعين عاماً ، وهناك سبب وجيه للاعتقاد بأن متوسط نموها في الزمن التاريخي لم يقل عن ميل واحد في ثلاثين عاماً . وإذا كانت نسبة الزيادة مرتفعة إلى هذا الحد ، فإن بلاد الأراضي البحرية كانت أرضاً صغيرة جداً خلال الفترة من 4000 إلى 600 قبل الميلاد . وفوقها جغرافياً تقع أرض الخالتيين ، وهي أرض طميية أيضاً ، وتمتد شمالاً تقريباً إلى مدينة بابل . كما لا يوجد لها خط فاصل واضح عن الأراضي البحرية ، ولا عن بابل إلى الشمال . وبما أن ملوك بلاد الخالتيين حكموا بابل فيما بعد وكان لهم السيطرة على الإمبراطورية الشاسعة بأكملها ، التي كانت عاصمتها ، فقد امتد اسم بلاد الخالتيين من قبل المؤرخين اليونانيين والرومانيين ليشمل بلاد بابل بأكملها . ثم فوق أرض الخالتيين كانت بلاد بابل نفسها ، والتي امتدت شمالاً على طول الوادي ، باستثناءين، إلى الجبال الأرمنية . وكان هذان الاستثناءان هما الأراضي الأصلية لآشور وبلاد ما بين النهرين . كانت آشور ، بالمعنى الجغرافي والتاريخي الأصلي ، هي الأرض الشاسعة ذات الشكل المثلث الواقعة بين نهري دجلة والزاب وجبال أرمينيا . وعندما اكتسب الآشوريون القوة والعدد ، سرعان ما وسعوا سيطرتهم إلى ما وراء هذه الحدود الضيقة للغاية وصولاً الى البحر الأبيض المتوسط ، ومع سيطرتهم ذهب الاسم الجغرافي أيضاً ، حتى أنه حتى في العصور المبكرة كان اسم آشور قد انتقل غرباً إلى نهر الفرات وجنوباً حتى هيت والى القرب من بحر قزوين ، بينما غطى الوادي بالكامل لدى الإغريق والرومان . كانت الأرض أو المقاطعة المنفصلة الأخرى هي البلد الصغير المتضمن بين نهر الفرات ونهر الخابور وجبال أرمينيا . كانت هذه هي الأرض المعروفة باسم نهرينا ، أو بلاد ما بين النهرين عند الإغريق والرومان لكن الإمبراطورية الآشورية وصلت مجدها من خلال العلوم والفنون التي نشروها في العالم ..

ولم يكن للسكان القدماء اسم جغرافي عام لهذه البلاد الواقعة بين دجلة والفرات والسبب كان يتمثل في أن الجميع كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين للملكة المتحدة السومرية ، والتي تضم آشور وبلاد ما بين النهرين وبابل والشام وأراضي البحر . وكانت المصطلحات الجغرافية تختلف باختلاف صعود وهبوط القوة السياسية . ولكن كانت هناك استثناءات واضحة لهذه القاعدة العامة . على سبيل المثال ، لم يتم توسيع اسم آشور قط بحيث يشمل بابل نفسها لأنه كان الجميع متفقاً على الأراضي الدينية المقسّمة بين الآدانيين في الجنوب والشمسانيين في بابل والقاتانيين في الشمال ، رغم أنه امتد إلى الغرب كمدن للعلماء والمتفوقين مثل حلب وآدي . لب وبيروت وحاران ومن ناحية أخرى ، تم حمل اسم بابل إلى الشمال حتى أنه كاد يشمل آشور في بعض الأحيان وكان ذلك يعتبر شرفاً ، رغم أن أرض آشور الأصلية الواسعة كانت تبدو دائماً مميزة بشكل حاد بفنها الهندسي الجميل الذي كان يُضرب به المثل

في كل عواصم العالم القديم . ويمكن استخدام المصطلح العام لوادي آشور البابلي بشكل صحيح لتغطية البلاد بأكملها. ورغم أن كلمة بلاد ما بين النهرين لم يطلقها الآشوريون أو البابليون قط على بلادهم ، إلا أنها في الواقع نتاج نهرين ونتاج المملكة المتحدة السومرية ، بمعنى كامل تقريباً ..

إن منابع دجلة والفرات تنبع من جانبين متقابلين من نفس السلسلة الجبلية التي كانت تنتمي للأرض الأرمنية قبل إلحاقها بالعثمانيين على يد بريطانيا . وهي أعلى سلسلة جبلية بين البحر الأسود والوادي العظيم ، وهي الوحيدة التي تحمل قممها ثلوجاً دائمة . ومن هنا جاءت تسميتها عند الإغريق القدماء باسم نيفاتيس . ومن جانبه الغربي يتدفق الفرات غرباً إلى ملطية ، وكأنه يضيع في البحر الأبيض المتوسط . ولكن عند ملطية يتغير مساره فجأة إلى الجنوب الشرقي ، ويمر على بعد بضعة أميال من منبع دجلة عند بحيرة جولجيك ، ومن ثم يشق طريقه عبر الجبال في مسار متعرج . ومن هناك يمضي مساره عموماً نحو الجنوب الشرقي حتى يقابل بغداد ، حيث يقترب على بعد عشرين ميلاً من دجلة ، ويبدو النهران وكأنهما على وشك أن يشكلا ملتقى . ولكنهما ينفصلان مرة أخرى ، ولا يلتقيان إلا بعد تقارب حاد للغاية . ويقدر طول الفرات بألف وسبعمائة وثمانين ميلاً . وهو صالح للملاحة لمسافة ألف ومائتي ميل فوق مصبه ، إن نهر الفرات خلال مجراه كله هو نهر مهيب من أعظم أنهار العالم والنهرين يعتبران من الأنهار العالمية المقدّسة مع النيل بسبب الحضارات العظيمة التي أقيمت على ضفافهم . ومثله كمثل أغلب الجداول الجبلية فإن مجراه المبكر سريع وقاعه صخري . وروافده الكبرى الأولى هي نهر كارا سو ـ أو المياه السوداء ـ عند كيبان مادن على بعد أميال قليلة إلى الغرب من خاربوت . وروافده التالية هي نهر الساجور الذي يأتي من اليمين أو الغرب . ثم يليه نهر البليخ الذي يأتي منه الماء من جبل ماسيوس في مجرى يبلغ طوله مائة وعشرين ميلاً فقط . ثم يأتي بعده نهر الخابور الذي يأتي منه أيضاً من اليسار ، وهو يأتي منه أيضاً قدر كبير من المياه من المنحدرات السفلى لجبل ماسيوس . ومن هذه النقطة، وعلى مدى ثمانمائة ميل حتى التقاءه بنهر دجلة ، لا يأتي نهر الفرات من أي روافد على الإطلاق . وقد قيل إن المنطقة العليا من نهر الفرات تشبه منطقة الراين في المانيا ، في حين يمكن مقارنة مجراه الأوسط بمجرى الدانوب ، ومجرى نهر النيل ..

يتكون نهر دجلة من التقاء نهرين صغيرين ، ينبع الأول الشرقي بالقرب من بتليس ، على مقربة من الضفة الغربية لبحيرة فان ، بينما ينبع الثاني الغربي من جوار خاربوت . وعلى عكس الفرات ، يتلقى دجلة العديد من الروافد المهمة ، التي تتدفق من جبال زاغروس وإلماتين . أول هذه الروافد المهمة هو الخابور الشرقي ، يليه في تتابع سريع الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، والأعظم ، وديالى . وهذا التزايد المستمر للمياه العذبة يعطي دجلة طابعاً مختلفاً تماماً عن الفرات . يتناقص حجم الفرات باستمرار ويتدفق في مجرى أكثر بطئاً. عندما يتلقى الخابور يكون عرضه

أربعمائة ياردة وعمقه ثمانية عشر قدماً ، وعند إرزاه أو وردى ، على بعد خمسة وسبعين ميلاً أسفل ، يكون عرضه ثلاثمائة وخمسين ياردة وبنفس العمق ، في حديثة ، على بعد مائة وأربعين ميلاً أسفل وردى ، يبلغ عرضه ثلاثمائة ياردة ، ولا يزال بنفس العمق ، هنا يبلغ تياره أربع عقد في الساعة في موسم الفيضان ، لكن هذه السرعة تتضاءل في غضون الخمسين ميلاً التالية ، في هيت ، على بعد خمسين ميلاً أسفل حديثة ، زاد عرضه إلى ثلاثمائة وخمسين ياردة ، لكن عمقه تقلص إلى ستة عشر قدمًا ، في فلوجية ، على بعد خمسة وسبعين ميلاً من هيت ، يبلغ العمق عشرين قدماً ، لكن العرض تقلص إلى مائتين وخمسين ياردة . من هذه النقطة يكون الانكماش سريعاً جداً ومذهلاً . تظهر قناة صقلية على اليسار ، وعلى مسافة أبعد أسفل فروع الهندية على اليمين ، يحمل كل منهما ، عندما يمتلئ نهر الفرات ، مساحة كبيرة من المياه . والنتيجة هي أنه في الحلة ، على بعد تسعين ميلاً أسفل فلوجية ، لا يزيد عرض التيار عن مائتي ياردة وعمقه خمسة عشر قدماً ، في الديوانية ، على بعد خمسة وستين ميلاً أسفل ، يبلغ عرضه مائة وستين ياردة فقط ، وفي لملون ، على بعد عشرين ميلاً أسفل الديوانية ، تقلص عرضه إلى مائة وعشرين ياردة ، وعمق لا يتجاوز اثني عشر قدماً . ولكن بعد فترة وجيزة ، يبدأ في استعادة نفسه . فالمياه التي تركته عند الهندية تعود إليه من جانب واحد ، بينما تتدفق مياه شط الحي والعديد من المجاري الفرعية الأخرى من الجانب الآخر ، ولكن نهر الفرات لا يستعيد نفسه بالكامل ، ولا يقترب حتى في مساره اللاحق من مستوى عظمته السابقة . وقد وجد العقيد تشيسني أن القناة من القرنة إلى الخيط يبلغ عرضها المتوسط مائتي ياردة فقط ، وعمقها حوالي ثمانية عشر أو تسعة عشر قدماً ، مما يعني أن المسطح المائي أقل بكثير من المسطح المائي الذي يحمله بين تقاطع الخابور وهيت ..

إن نهري دجلة والفرات لهما مواسم فيضان ويحملان مياههما عبر مساحة واسعة من البلاد ، تماماً كما يفعل نهر النيل . وهذه الحقيقة واضحة تماماً بحيث لا يمكن الشك فيها ، على الرغم من أن هيرودوت يؤكد العكس مباشرة ، قائلاً (إن النهر لا يفيض ، كما هو الحال في مصر ، على أراضي الذرة من تلقاء نفسه ، بل ينتشر فوقها بمساعدة المحركات) . والواقع أن ارتفاع منسوب المياه ليس طويلاً مثل ارتفاع منسوب مياه نهر النيل ، ولكن تأثيره واضح مع ذلك ويرجع ارتفاع منسوب مياه نهر دجلة إلى ذوبان الثلوج على الجبال ، ومع تصريف مياهه على المنحدرات الجنوبية ، والفرات على المنحدرات الشمالية ، يرتفع منسوب مياه نهر دجلة بسرعة أكبر . وعادة ما يبدأ منسوب مياه نهر دجلة في الارتفاع في أوائل شهر مارس . وبحلول الأسبوع الأول أو الثاني من شهر مايو ، يصل النهر إلى أعلى نقطة ، ثم ينحدر النهر بسرعة ويصل إلى مستواه في منتصف شهر يونيو تقريباً . ولأن مجرى نهر دجلة خلال الجزء العلوي بالكامل من مجراه يقع بين ضفتين مرتفعتين إلى حد كبير ، فإن النهر نادراً ما يفيض

ولكن في مساره السفلي ، وخاصة بين خطي العرض الثاني والثلاثين والحادي والثلاثين ، يغطي مساحة واسعة من البلاد . ويكون فيضان الفرات أكثر انتظاماً واتساعاً. ويذوب الثلج على المنحدرات الشمالية ببطء ، ويبدأ النهر في الانتفاخ ببطء شديد في بداية شهر مارس/آذار، ثم يزداد تدريجياً حتى يصل إلى أعلى نقطة في نهاية شهر مايو/أيار ، حيث ترتفع المياه نحو ثلاثة عشر قدماً فوق مستوى المياه المنخفضة وعند هذه النقطة يظل النهر ، لمدة شهر تقريباً ، ثم يهبط قليلاً نحو منتصف شهر يوليو/تموز ، ثم يهبط بسرعة أكبر حتى سبتمبر/أيلول . ويبدأ الفرات في الفيضان على ضفتيه أعلى كثيراً من نهر دجلة ، وحتى عند تقاطعه مع الخابور يوصف بأنه يمتد فوق البلاد المحيطة مثل البحر . ومن هيت إلى أسفل ينتشر النهر على كلا الضفتين ، ولكن مع ميل قوي إلى الجريان أبعد وأعمق على الضفة الغربية . وقد جعل الارتفاع البطيء والمنتظم للنهر من النهر قيماً للغاية للري ، واستغل الشعب البابلي هذه الفرصة العظيمة على أكمل وجه . وعلى طول ضفتيه أقيمت جدران من الطوب مزودة بحواجز أمواج لتحويل التيار السريع والتحكم فيه عند ارتفاعه . وكانت بوابات التحكم في ارتفاعه تتحكم في تدفق المياه بحيث تتلقى الضفة الشرقية فيضاناً مساوٍ للغرب ، بينما تعمل القنوات التي لا تعد ولا تحصى تقريباً على تحويل المياه المتراجعة ، ومنع التدفق من إتلاف المنطقة الصالحة للزراعة . وعلاوة على ذلك، تم الاحتفاظ بالمياه بكمية كافية لتزويد نظام الري بعيداً عن النهر لحصاد الحبوب ، بعد انخفاض النهر . والآن أصبح هذا النظام بأكمله خراباً هائلاً . يرتفع النهر وينخفض كما يشاء ، ويكتسح الضفة الغربية ، ويحول البلاد إلى مستنقع . والضرر الناتج عن هذا سلبي وإيجابي في نفس الوقت . فهو يجعل من المستحيل تجميع مثل هذا القدر الكبير من الحبوب كما كان موجوداً عندما كان هذا الوادي العظيم مخزن حبوب العالم ، ويملأ الأرض برائحة كريهة خطيرة ، تسبب الحمى وتترك السكان ضعفاء ومرضى . وهناك حالات قليلة في العالم لإهدار أكثر حزناً لبلد جميل وخصيب ..

في البلاد الرسوبيه السفلى ، طرأت تغيرات عديدة على مجرى نهري دجلة والفرات . وكثيراً ما بدأت هذه التغيرات في فيضانات الربيع والصيف ثم استمرت . وتتنوع المجاري الفرعية التي تشكلت على هذا النحو إلى الأبد ، فتصبح أحياناً كبيرة إلى الحد الذي يسمح للملاحة بالمرور ، وأحياناً أخرى جافة تماماً . ومع ذلك ، وباستثناء التغيير الكبير الناتج عن اتحاد نهري دجلة والفرات عند مصبيهما ، فإن مجرى النهرين العام يظل على حاله تقريباً طوال الفترة التاريخية . ومن بين التغيرات التي طرأت على المجاري الفرعية ، كانت الأكثر أهمية على جانب شبه الجزيرة العربية . فهناك تفرعت بالقرب من هيت قناة عريضة عميقة تحيط بالصخور العربية وتمر إلى خليج البصرة عبر قناة مميزة تماماً . وهذا ينقل قدراً كبيراً من مياه الفرات ، ويمنع تعدي الصحراء ، وبالتالي يمتد إلى حد كبير الجزء الصالح للزراعة من بلاد البابليين وأراضي البحر . وهناك بعض الشكوك حول عمرها ، وما إذا كانت في البداية اصطناعية جزئياً أو

كلياً . وإلى جانب النهرين ، لا تملك آشور ولا بابل أي إمدادات من المياه سوى بحيرة واحدة من المياه العذبة ، تقع على الجانب العربي من الفرات على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب من أنقاض بابل ، وعلى بعد خمسة وعشرين أو ثلاثين ميلاً من النهر . ولا يبدو أن السكان القدماء كانوا يعرفونها جيداً أو يحسبونها ذات أهمية ، لأنه لم يتم العثور على أي ذكر لها حتى الآن في أي نصوص آشورية أو بابلية ؛ وكانت تعرف لدى الرومان باسم آشوريوم ستاغنوم ، وتسمى الآن بحر النجف . وتقع في حوض يبلغ طوله أربعين ميلاً وعرضه من عشرة إلى عشرين ميلاً ، وتحيط به من ثلاث جهات تلال من الحجر الجيري يتراوح ارتفاعها من عشرين إلى مائتي قدم .

وعلى الجانب المتبقي يوجد سلسلة من الصخور تفصلها عن حوض الفرات . وفي موسم الفيضان يصب الفرات الماء في هذه البحيرة ، ثم يبدو أنها جزء من الفيضان . ثم تصبح المياه عذبة وجيدة . عندما يعود النهر إلى مستواه الأصلي ، تظل البحيرة كما هي مع تغير طفيف في الحجم ، لكن الماء يصبح كريه الرائحة إلى الحد الذي يجعله غير صالح للشرب . وقد افترض البعض أن هذا قد يكون بسبب ارتباطها بصخور من سلسلة الجبس ..

إن مناخ الوادي الكبير لا يبدو مناسباً لإنتاج رجال يتمتعون بالطاقة والقوة ، وذلك لأن درجة الحرارة على سطحه بالكامل تكون مرتفعة للغاية في فصل الصيف . وفي أقصى الجنوب ، على طول الخليج ، وفي المناطق المجاورة ، يكون الجو رطباً والحرارة من نفس طبيعة الحرارة في الهند أو سيلان . ولا توجد سجلات توضح مدى مقياس الحرارة ، ولكن المسافر العابر يذكر حقيقة بسيطة مفادها أن درجة الحرارة أعلى من بغداد . ففي بغداد ، يبلغ متوسط درجة الحرارة القصوى اليومية في الداخل خلال شهري يونيو ويوليو 107 درجة فهرنهايت ، وكثيراً ما ترتفع إلى 120 درجة أو 122 درجة. وفي الوقت الحاضر ، تصل درجة الحرارة المرتفعة هذه أيضاً في الشمال حتى الموصل على الأقل . كما أصبحت الآن أكثر إرهاقاً بسبب الرياح الساخنة ، التي تنشأ فجأة وتمتلئ بالرمال غير الملموسة التي تتحرك في دوائر دوامية أو تكتسح السحب الشاسعة على مساحة واسعة من البلاد . إن هذا الغبار يصبح في بعض الأحيان كثيفاً إلى الحد الذي يحجب الرؤية تماماً عن الأشياء القريبة ، كما لو كان بسبب الضباب . وتتألق جزيئات الرمل اللامعة تحت أشعة الشمس الحارقة ، وتدخل الرمال إلى الأنف أو الفم ويبدو أنها تخنق الرئتين . والموت وحده أحياناً ينهي المعاناة التي يعاني منها الناس في هذه الزيارات الرهيبة . ومع ذلك فمن المحتمل تماماً أنه في فترة التاريخ القديم لم تكن الحرارة ولا الرمال تشكلان مثل هذا التهديد. كانت الأرض كلها في الجنوب عبارة عن شبكة واسعة من القنوات . وكان وجود المسطح المائي المنتشر في كل مكان يغير درجة الحرارة إلى حد كبير ، بحيث لم يكن التغيير المفاجئ الذي يحدث الآن من حرارة النهار إلى برودة الليل كبيراً إلى هذا الحد وإلى جانب هذا ، جعلت هذه القنوات الأرض حديقة مزروعة، خالية بالكامل تقريباً من غزو الرمال الصفراء. تنتمي هذه الرمال إلى

الصحراء العربية ، والتي تأتي منها سنوياً بكميات متزايدة إلى السهول والوديان . إن هذه الأمواج الرملية لم تكن قد تجاوزت نهر الفرات خلال فترة مجد بابل ، بل إنها لم تكن لتبلغه. وفي الوقت الحاضر ، لا تخلو السماء عادة من سحابة واحدة من مايو/أيار إلى نوفمبر/تشرين الثاني . وفي نوفمبر/تشرين الثاني تتجمع السحب ، وفي ديسمبر/كانون الأول ويناير/كانون الثاني تهطل الأمطار الغزيرة . وتتدفق هذه الأمطار بسرعة إلى الأنهار ، وذلك لعدم وجود نظام قنوات لتجميع المياه لاستخدامها في الزراعة . ولا يوجد طقس بارد في كل الأراضي بالمعنى المفهوم في المنطقة المعتدلة . وفي منتصف الشتاء تظهر علامات الصقيع من حين لآخر ، وهي كافية لتبييض الندى على العشب في الصباح الباكر ، وفي حالات نادرة، عُرف أن الجليد يتكون في المستنقعات. والواقع أن فصول الشتاء معتدلة إلى الحد الذي جعل الملوك الفرس يجعلون من بابل مقر إقامتهم الشتوية لتجنب البرد القارس في مرتفعاتهم . وفي الآونة الأخيرة، استقر الهنود الأصليون ، الذين طُردوا من بلادهم لأسباب تتعلق بالدولة ، في البصرة أو بغداد للاستمتاع بمناخ الشتاء المعتدل ..

كانت السهول الرسوبية في بابل بأكملها خصبة بشكل لا يصدق في العالم القديم . وقد بدأ هيرودوت جوقة الثناء في الغرب ، واستمرت هذه الجوقة بتأكيد أكبر أو أقل على مر العصور . يبدأ مديحه بالكلمات التي يقتبسها الناس كثيراً من بين كل البلدان التي نعرفها ، لا يوجد بلد مثمر مثل بابل في الحبوب . فهي لا تدعي حقاً أنها تزرع التين أو الزيتون أو الكرمة أو أي شجرة أخرى من هذا النوع ، ولكنها في الحبوب مثمرة إلى الحد الذي يجعلها تنتج عادة مائتي ضعف ، وعندما يبلغ الإنتاج ذروته ، حتى ثلاثمائة ضعف . وكثيراً ما يبلغ عرض نصل نبات القمح ونبات الشعير أربعة أصابع . أما بالنسبة للدخن والسمسم، فلن أقول إلى أي ارتفاع ينموان ، رغم أن ذلك في حدود معرفتي ؛ لأنني لست جاهلاً بأن ما كتبته بالفعل عن خصوبة بابل قد يبدو لا يصدق بالنسبة لأولئك الذين لم يزوروا البلاد . وقد أشار ثيوفراستوس إلى نفس الملاحظة بالضبط في بيانه في بابل ، تُحصد حقول القمح بانتظام مرتين ، ثم تُطعم بالحيوانات للحد من وفرة الأوراق ، وإلا فإن النبات لا يذبل . وعندما يتم ذلك ، فإن العائد في الأراضي التي تعاني من سوء التغذية يكون أقل من 100% من غلة القمح في بابل ، إن ما يزرعه الإنسان في هذه الأرض يتضاعف خمسين مرة ، بينما يتضاعف في الأراضي التي تزرع جيداً مائة مرة . ويتبع سترابو نفس النهج فيقول إن البلاد تنتج الشعير على نطاق غير معروف في أي مكان آخر ، حيث يقال إن العائد يبلغ ثلاثمائة ضعف . ويتم توفير جميع الاحتياجات الأخرى من خلال النخيل ، الذي لا يوفر الخبز فحسب ، بل يوفر أيضاً النبيذ والخل والعسل والدقيق (ويقول بليني إن محصول القمح ، حيث تُزرع الأرض جيداً يتضاعف مائة وخمسين مرة) ..

عند تقدير هذه الجزية لإنتاجية الأرض ، ربما يكون من الجيد أن نتذكر أن هيرودوت كان يتمتع بخيال ثري وكان يميل إلى المبالغة من أجل التأثير . إن ثيوفراستوس أكثر موثوقية عندما يتحدث عن مثل هذه الأمور ، لكنه ربما استند إلى حد ما إلى تقليد هيرودوت . يجب أن تكون التصريحات الأخرى مبالغ فيها . بالنسبة للمزارع الحديث في هذا الوادي ، فإن محصول القمح والشعير يتراوح من ثلاثين إلى أربعين ضعفاً . عندما نضع في الاعتبار كل الأساليب الرديئة المتبعة الآن ، والظروف المتغيرة ، فمن غير المرجح أن يكون متوسط العائد القديم قد تجاوز ستين ضعفاً ..

إن الرحالة المعاصرين لا يقارنون الرحالة القدماء في تقديرهم لخصوبة التربة ، وخاصة عند مقارنتها بتربة مصر يقول ريتش ، الذي كان مراقباً دقيقاً ومراسلاً دقيقاً (إن التربة خصبة للغاية ، وتنتج كميات كبيرة من الأرز والشوفان والحبوب من مختلف الأنواع ، على الرغم من أنها لا تُزرع إلى أكثر من نصف الدرجة التي تكون قابلة للزراعة بها) ويؤكد تشيسني، الذي عرف الأرض من خلال خبرته الواسعة أثناء أعمال المسح ، على ذلك بقوله (على الرغم من التغيرات الكبيرة التي طرأت عليها بسبب إهمال الإنسان ، فإن تلك الأجزاء من بلاد ما بين النهرين التي لا تزال تُزرع ، مثل البلاد المحيطة بالحلة ، تُظهر أن المنطقة تتمتع بكل الخصوبة التي نسبها إليها هيرودوتس) . ويضيف لوفتوس إلى هذا القول المقارن بأن (التربة ليست أقل خصوبة من التربة على ضفاف النيل المصري) . ومع ذلك ، فإن هذا القول لا قيمة له حقاً ، لأنه عندما كتب لوفتوس لم يكن قد زار مصر قط . ولعل التقدير الحديث الأكثر صحة هو تقدير أوليفييه ، الذي كان يعرف كل من مصر وبابل ، وحكم على الأولى بأنها أكثر خصوبة إلى حد ما من الثانية ..

إن الاعتقاد السائد هو أن القمح والشعير من النباتات المحلية التي تنمو في سهول الفرات ، وأنهما بعد فترة من الزراعة انتشرا غرباً عبر سوريا ومصر وأوروبا . وإذا كان هذا صحيحاً ، فمن المتوقع أن تنتج الأرض محصولاً وفيراً من الحبوب المحلية . ولكن إنتاجية الأرض لم تتوقف عند الحبوب الكبيرة . فقد كان لدى السكان مجموعة واسعة من الخضروات للطعام ، من بينها القرع والفاصوليا والبصل والبيقية والباذنجان والخيار والعدس والحمص والفاصوليا وفوق الخضروات والحبوب التي تنمو في الأرض ، كانت تنمو أشجارها ، التي كانت متنوعة للغاية ، سواء تلك التي تنتج ثماراً أو تلك التي تضيف إلى جمال الأرض فحسب ، ومن بين هذه الأشجار التفاح والتين والمشمش
والفستق والكرمة واللوز والجوز والسرو والطرفاء والدلب والسنط . ولكن على الرغم من قيمتها وجمالها ، إلا أنه لم يكن هناك ما يعادل النخيل في فائدته أو في أغانيه أو في قصصه . لقد كان أهل المشرق منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا يشيدون بالنخلة وقد وجدت هذه الشجرة في بابل مكاناً مناسباً لنموها ، فقد كانت تزرع بعناية فائقة وحتى

في العصور الأولى ، تم اكتشاف عملية التكاثر ، وكان ذلك يتم عن طريق هز أزهار النخلة الذكرية فوق أزهار النخلة الأنثى . ومن منتجات هذه الشجرة كان الفلاحون قادرين تقريباً على دعم الحياة . وكانوا يأكلون ثمارها طازجة وجافة ، وكانت في الحالة الأخيرة تشكل طعاماً حلواً . وإذا قطع رأسها، كانت الشجرة تعطي عصيراً يمكن استخدامه كنبيذ ، وكان هذا العصير (حلواً ومسبباً للصداع) ، على حد رأي زينوفون . بل إن الإغريق يؤكدون أن البابليين كانوا يستخرجون من النخيل الخبز والنبيذ والخل والعسل والشعير والخيوط والحبال من جميع الأنواع ، والنار ، والهريس لتسمين الماشية ..

كانت حيوانات الأرض غنية ومتنوعة مثل نباتاتها . كانت الأنهار تعج بالأسماك . في مياهها البطيئة التدفق ، نمت أسماك الشبوط والشبوط إلى أحجام كبيرة وكانت موضع تقدير كبير . لكن الثعبان البحري ، والمورينا ، والسيلوروس ، والجرنار كانت تستخدم أيضًا كغذاء ، وكانت موجودة بكثرة . بجانب المياه ووسط القصب الكبير الذي بدا وكأنه يحيط بالأنهار كانت هناك طيور ذات تنوع غير عادي ، من بينها البجع ، والكركي ، واللقالق ، والبلشون ، والنورس ، والبط ، والبجع ، والأوز . على الأرض ، وجدت النعامة ، والحبارى ، والحجل ، والقلاع ، والسواد ، والسنون ، والسنجاب ، واليمام ، والحمام ، جنبًا إلى جنب مع الطيور الجارحة مثل النسور والصقور. تم العثور على عدد قليل من الثعابين ، والتي يُعرف منها ثلاثة أنواع فقط سامة ، ولكن لا يوجد أي منها خطير مثل العديد من الأنواع الموجودة في الأراضي المجاورة . كانت الحيوانات الأكبر حجماً كثيرة ، ولكن من بين كل الأنواع التي كانت برية ، لم يتم تدجين سوى الثور والحمار والماعز والأغنام في فترة مبكرة وجعلها مفيدة للإنسان . وأضيف إلى هذه الحيوانات الخنزير المستأنس ، الذي يبدو أنه ظل في حالة شبه برية. وفي فترة لاحقة تم استخدام الخيل والجمال ..

ولكن إذا كانت الحيوانات المستأنسة قليلة نسبياً كما ورد في الألواح المترجمة ، فإن الحيوانات البرية كانت ذات أعداد غير عادية وتفوق التصوّر . وكان الأسد على رأس كل هذه الحيوانات في تقدير الآشوريين والبابليين . وهو شرساً مثل الأسد الذي يحمل اسمه في أفريقيا. فهو في حجمه كان مخيفاً وكانت سومر موطناً لآلاف الأسود المدرّبة والنقية جينياً والتي تم سلب القسم الأكبر منها على يد الغزاة ، وكان اسمه الآشوري يعني في الأصل ضخماً ولا يعتبر الأوروبيون الأسد الحديث في نفس المناطق مخيفاً أو لا يُعتبر الأسود الموجودة في أوربا سوى كلاباً صغيرة أمام أسود الرافدين ، لأن الأسد في بابل أو آشور لا يهاجم الرجال أبداً إلا عندما يتم جره إلى وضع لا توجد فيه أي فرصة للهروب على الإطلاق ، حيث يقاتل بشدة . ومع ذلك ، فإن السكان يخافون منه ، ولا يخوضون معركة ضده أبداً ، وهو ما يمكن رؤيته في عملية ذبح الأغنام . وهناك نوعان من الأسود ، أحدهما بدون عرف والآخر بعرف من الشعر الأسود الكثيف المتشابك . وهذا النوع الأخير هو الذي يثير الخوف في صدور السكان . وكان الملوك

الآشوريين والبابليين يصطادون الأسود في مطاردة ، وكانوا يتباهون كثيراً بعدد الأسود التي يقتلونها . لقد كانت مطاردة الأسد في الواقع الرياضة الملكية ، وتشغل حيزاً كبيراً من الرسوم التوضيحية الضخمة العديدة للصيد في العصور المبكرة جداً كان الفيل يتجول كيفما يشاء في بلاد الفرات الأوسط ، ولكنه اختفى بالتأكيد قبل القرن الثالث عشر ، ولم يعد منذ ذلك الحين سوى موضوع للفضول ، عندما تلقاه الملوك كهدية في الحروب البعيدة . ومثل الفيل ، اختفت حيوانات أخرى للصيد أو الفرائس في وقت مبكر ، أو توقفت عن كونها موضوعات ذات أهمية بسبب ندرتها . ومن بين هذه الحيوانات الجرار ، والنمر ، والوشق ، والقط البري ، والضبع ، والقنفذ ، والقندس ، والوعل . وخلال جزء كبير على الأقل من التاريخ ، كان الحمار البري والحمار الوحشي يتجولان في قطعان صغيرة في معظم أنحاء البلاد وخاصة بين نهر البليخ ودجلة . وقد احتفى الشرق منذ فترة طويلة بجمال وسرعة الحمار البري ، وأعجب به الآشوريون ومثلوه في آثارهم . ويبدو أنهم حاولوا ترويضها لاستخدامها في جر العربات ، وكانت المحاولات الحديثة لجعلها صالحة للاستخدام ناجحة بنفس القدر. وكثيراً ما يصطاد السكان الأصليون المهور ويربونها على الحليب في الخيمة. وتصبح هذه المهور مطيعة وحنونة ، ولكنها تكون رقيقة في الأسر ولا تصلح للعمل اليدوي . ويظهر نوعان من الغزلان في تمثيل ضخم ، أحدهما يمثل الغزال الرمادي ، الذي لا يزال موجوداً في العراق ، والآخر يمثل الغزال الأسمر ، الذي لا يُعرف عنه شيء الآن على الإطلاق . وكثيراً ما يُعرض الأرنب أيضاً كهدف للمطاردة ، لقد تعرضت بلاد الرافدين الى إفراغ كامل من أغلب حيواناتها في العصر العثماني حيث تناوب البريطانيون والأتراك على نقل أغلب الأسود والنمور والواميس والأبقار والأغنام ومختلف الحيوانات الى بلادهم كغنائم ..

في حين كانت كل من بابل وآشور غنية للغاية بالنباتات والحيوانات ، وخاصة الأولى ، وغنيتان للغاية في الثروة المعدنية . فكانت هناك وفرة من المعادن والحجر . وكان لهذا تأثير انعكاسي مهم على حضارة البلاد . وبما أن الحجر متاحاً في متناول اليد تم تشييد أغلب المدن الكبرى بالحجارة الضخمة وخاصة البريليوم ، فقد بحث عنه البناة الأوائل الذين كانوا يريدونه للاستخدام أو الزينة من مسافات بعيدة مثل جبال آشور وأرمينيا ولبنان . وكانت المهارة المطلوبة لهذا في التغلب على الصعوبات الهندسية تدفع إلى الأمام تطور الناس في المساعي الميكانيكية ، وبالتالي كان لها تأثير على الحضارة إيجابي للغاية حتى ان كل الغزوات لم تتمكن من تدمير المعالم الحجرية العملاقة كالثور المجنح ومئات التماثيل التي نقلت لأوربا. ولكن حتى في وقت مبكر يعود إلى عام 3000 قبل الميلاد كان الحجر يُجلب من لبنان وأمانوس . وكان يُنقل عبر نهر الفرات ، بعد رحلة برية طويلة إلى مياهه العليا . وكان هذا سببًا لدراسة المشاكل في النقل النهري وفي بناء الطوافات الصالحة للملاحة . إن مثل هذه المشاكل لا يمكن حلها من قبل السكان الأصليين في نفس المنطقة في الوقت الحاضر ، ولكن تم تنفيذها بنجاح على نطاق واسع في العصور المبكرة ، كما تشهد على

ذلك المباني العظيمة والنقوش التي تصفها . ولكن على الرغم من أن البابليين حصلوا على الحجارة بهذه الطريقة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من تأمين ما يكفي لإيواء السكان بالكامل وكذلك المساكن الملكية ومنازل الآلهة . تم حل الحاجة إلى مادة بناء دائمة وأقل تكلفة بطريقة أخرى . كان تحت أقدامهم إمداد لا ينضب من أفضل أنواع أخرى من الحجارة أقل جودة فالبابليون كانوا خبراء في كل أنواع الحجارة وإمتلكوا علوماً جيولوجية لم تصل اليها حتى اليوم حضارتنا الحالية . كان من السهل إسكان الناس وبناء آلاف الوحدات السكنية لكن مراعاة تأثير الشكل الهندسي على الطاقة الروحية كان يجعل عملية البناء تتأخر ، أما القرى النائية فقد كانت تستخدم الطوب الأحمر الذي يقلدهُ الأوربيون اليوم في التحضير . حيث كان يتم تجفيف بعض هذه الطوب في الشمس ، ثم اعتبر كافياً لملء الجدران الداخلية . تم خبز بعضها الآخر في الأفران ، وتم طلاء الجدران بها . ربما يتفوق البابليون قط في جودة المواد المستخدمة على جيرانهم ، وفي كمال الشكل والملمس والصلابة ، وفي الحجم الكبير لطوبهم الذي يشبه الاسمنت في العصر الحديث ، كانت نفس المادة تستخدم في صناعة الكتب أو الألواح التي توضع في المتاحف أو التذكارات لكن الحكومية كانت تستخدم المعادن النفيسة . كانت تصنع بعناية أكبر ، وكانت غير قابلة للتلف تقريباً . إن العالم القديم لم يكن يعرف شيئاً يفوقه أو ربما لا يكافئه .

لقد كان ورق البردي في مصر القديمة هشاً للغاية ويسهل تدميره إما بالنار أو بالماء حتى أنه لا يقارن بالطوب الذي قاوم كليهما تقريباً بنفس القدر من الجودة . لقد حافظت الألواح الطينية على مدى القرون على أدب واسع النطاق ، معظمه سليم ، في حين هلكت أجزاء لا حصر لها من أدب المصريين الأكثر ثقافة ..

كانت آشور متفوقة بشكل لا يُقارن على بابل في الثروة المعدنية . ولقد كانت الأحجار ذات الجودة الممتازة ، والتي كانت في كثير من الأنواع في جبالها ، مثل الحجر الجيري ، والحجر المتكتل ، والحجر الرملي ، موجودة في كل مكان بما في ذلكحجارة البريليوم التي كانت متوفرة في محيط لالش ، في حين كان من السهل الحصول على أحجار أخرى من أرمينيا ولبنان . وتنتشر على ضفاف نهر دجلة الشرقية أحجار المرمر الناعمة الجميلة ، والتي كانت تُقطع بسهولة إلى ألواح وكانت الدولة الآشورية البلد الأول عالمياً في إنتاج المرمر والغرانيت والحجارة الصلدة وكانت هذه المادة الجميلة تستخدم على نطاق واسع في تكسية الجدران في القصور الآشورية ، وكانت أسطحها الخارجية تُنحت بشكل غني بالنقوش البارزة . وكان التقدم الذي أحرزته هذه الصناعة في فن النحت جديراً بالملاحظة ، ويُعَد من أعظم الانتصارات التي حققها هذا الشعب المحارب في فنون السلام . وكانت جبال آشور ، التي يسهل الوصول إليها عن طريق الأنهار أو المجاري المائية فوق المدن الكبرى ، تزودنا بالعديد من الأشكال الجميلة من الرخام ؛ بينما كانت جبال ماسيوس تقدم نوعية جيدة من البازلت الداكن اللون ذي الدقة والصلابة الكبيرتين . ولم تكن هذه

الأحجار تستخدم في بناء جدران المباني . لقد احتفظ المستعمرون الآشوريون بتقليد بلاد بابل التي أثرت فيهم ، فبنوا بيوتهم ومعابدهم وقصورهم من الحجارة النقية ، واستمرت العصور اللاحقة في اتباع مثالهم . ومثل بابل ، كانت آشور تمتلك حفراً واسعة النطاق للأسفلت ، تقع في كركوك ، في المنطقة الواقعة بين الزاب الصغير وأدهم ، بينما يوجد مصدر آخر في مجرى سيل شور دره ، بالقرب من نمرود . كما يمكن الحصول على الملح في المنطقة السابقة ..

وبين الفترة الممتدة من عام 1655 وحتى عام 1898 نقلت بريطانيا عن طريق العثمانيون ملايين الأطنان من الحجارة والرخام والمرمر الآشوري الى المملكة المتحدة وبقيت عملية النقل مستمرة حتى ثلاثينيات القرن الماضي في العهد الملكي العراقي ، ولم تتمكن أي حكومة من مطالبة البريطانيون بوقف شحن الحجارة والرخام والغرانيت والمرمر ..

كانت الأراضي التي كانت غنية بالنباتات والحيوانات ومزودة بما يكفي من المعادن للاستخدام العادي للإنسان تحافظ على عدد كبير من السكان ، الذين استقروا في المدن ، حيث بدأت الحياة السياسية الحقيقية للأرض . ويمكننا هنا تحديد المدن التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ اللاحق ، مع ما يكفي من اللون والوصف لجعلها حقيقية في قصة حياتها السياسية . في أقصى الجنوب تقع مدينة أريدو الدينية ، التي لعبت دورًا صغيراً فقط في تاريخ بابل بالكامل ، ما لم تكن لها أهمية في فترة أقدم من تلك المعروفة لنا . يُعرف الموقع الآن باسم أبو شهرين ، ولم تتم دراسته بشكل كافٍ بعد بسبب إخفاء الآثار فيها بطرق فلكية وطلاسم تجعل من يقترب منها يُنهي حياته وإكتشف البريطانيون هذا الأمر بشكل متأخر بعد موت العديد من الباحثين عن الآثار . يبدو أن بقايا المدينة ، بقدر ما تم التنقيب عنها ، تحتوي على معبد كبير لإيزيدا ، ربما كان موطناً للإله إيا. أنكي كما تذكر الألواح ، والذي نال هنا تبجيلاً خاصاً ، إلى الغرب من أريدو كانت تقع مدينة أور العظيمة ، التي احتلت منذ أقدم العصور وحتى بداية هيمنة بابل موقعاً من النفوذ المتميز في البلاد ، وحتى بعد ذلك ظلت المدينة الأكثر أهمية في الجنوب . كان الإله الرئيسي للمدينة هو سين (شيسين) ، إله القمر، الذي كان يُعبد هنا تحت اسم نانّار كما تقول الألواح لكن الحقيقة أن ننار إبن أنليل كان المشرف على المعبد وطقوسه . وكان إله القمر يمارس دائماً تأثيراً عميقاً على عقول الناس من خلال العلوم التي توصل اليها البابليون وإكتشفوا تأثير كل من القمر وعطارد ودخولهم البيوت البرجية للأفراد لإحداث التغييرات في حياتهم ، ولهذا السبب تم تزيين أور في وقت مبكر بمعبد كبير لعبادة سين (شيسين) ، والذي تم ترميمه كثيراً على مر القرون حتى أيام نبونيد . لم يتم استكشاف أنقاض المدينة إلا قليلاً ، ومن المؤكد أنها ستوفر كنزاً ثميناً ذات يوم لأنها مثل أريدو أخفت أغلب كنوزها بطرق فلكية لا يمكن فتحها إلاّ في تاريخ معيّن يتناسب وحركة كل

من القمر والشمس وعطار ، يطلق على التل الآن اسم إلمغير ، مكان الأسفلت ، لأن السكان استخدموه لقرون كمكان لتأمين الأسفلت ، الذي حفروه من بين لبنات المباني البابلية ، أور العظيمة كانت مركزاً للزقورات الايزيدية التي كانت تعلو كل زقورة سبعة قباب مخروطية إستناداً للنقوش التي إستخرجت من بابل ومن لالش ..

في مدينة سنكره الحديثة ، على الضفة اليسرى لقناة شط النيل، كانت تقع المدينة الرئيسية التالية ، لارسا كانت هذه المدينة أيضاً واحدة من أقدم مدن البلاد . كان إله الشمس (شيشم) يشغل المنصب الرئيسي في لارسا ، وفيها بنى الملوك الأوائل أور جور ودنجي معبداً تكريماً له . وجد هذا المعبد مرممين في حمورابي وبورنابورياش ونبوخذ نصر ونبونيدوس ، وبالتالي ظل مكاناً محترماً حتى نهاية التاريخ البابلي . لعبت المدينة دوراً سياسياً مهماً في وقت مبكر ، واحتفظت بمكانتها على رأس دولة صغيرة حتى عهد حمورابي . كانت آخر مدينة تستسلم له وتستسلم للقوة المنتصرة لبابل وتذكر النقوش البابلية في المتحف الملكي البريطاني أن أغلب سكان لارسا كانوا نحاتين على مستوى عالمي وإرسلوا الى جبال الإغريق بالقرب من جبال آدي المقدّس (جبل آدوس اليوم) هناك لإستخراج المرمر والغرنيت وإرسالها الى بال وتغربهم هناك دفعهم لبناء مستوطنة صغيرة كانت تجمع عوائلهم وأطلقوا على المكان نفس إسم مدينتهم (لارسا الموجودة اليوم في اليونان الحديث) . إلى الشمال من لارسا ، ربما عند تل عيد ، كانت تقع مدينة جيرسو ، التي ورد ذكرها في وقت مبكر يعود إلى عهد دونجي ، وكانت المدينة الرئيسية لملك صغير واحد على الأقل (أوركاجينا) في الفترة المبكرة . ومع ذلك، كان نفوذها ضئيلاً بالمقارنة بتلك الموجودة في الجنوب أو عند مقارنتها بمدينة أوروك ، التي لا تبعد عنها سوى مسافة قصيرة . كانت أوروك مدينة حدودية بين شمال وجنوب بابل ، وظلت لفترة طويلة مركزاً لمملكة مستقلة صغيرة . كانت مكان عبادة الإلهة عنانا عند السومريين ، والتي عرفها السكان الساميون باسم إلهتهم عشتار. وقد بنى أور جور ودونجي المعبد المخصص للإلهة والذي يُدعى إينانا (بيت السماء) ، وقد رُمم في كثير من الأحيان . ويشكل المعبد الآن أنقاض إلبواريجي ، في حين تُسمى الكتلة العامة من الأنقاض الوركاء ، والتي لم يتم حفرها للأسف . كانت المدينة مستقلة في فترة مبكرة ، وترتبط بالتقاليد الآرامية الشمسانية بشكل عميق وبأقدم مراكز البلاد ، وتذهب السجلات البابلية إلى حد كبير لإثبات صحة هذا . ومع ذلك، كانت أكثر من مجرد مركز للسلطة . كانت مقراً للتعلم ولا بد أنها كانت تحتوي على مكتبة في فترة مبكرة جداً . تحمل العديد من الكتب في مكتبة آشوربانابال ، وخاصة الترانيم الدينية ، علامات تشير إلى أنها نُسخت من أصول في أوروك ، يضيف سترابو إلى هذه الحقيقة البيان الذي مفاده أنه في أوركو كانت هناك مدرسة للخالدين ، أي في استخدامه لكلمة (علماء الفلك) وهذا يشير إلى أن الثقافة كانت لا تزال مقيمة في هذه المدينة على أعلى مستوى روحاني وفكري ، على الرغم من اختفائها من مراكز أخرى أقدم إن التاريخ السياسي والأدبي والديني

للمدينة يجعلها ذات أهمية كبيرة لدرجة أنه من المؤسف بشكل خاص أنها لم يتم التنقيب عنها بشكل صحيح وأن أغلب علماء الآثار تجنبوا ذكر ديانتها الشمسانية الايزيدية ..

وعلى ضفاف قناة شط الحي التي توحد بين نهري دجلة والفرات ، توجد تلة تيلوه ، التي خرجت منها كميات هائلة من الألواح المنقوشة من كل نوع والتي تحدثت عن الطقوس الدينية في المدينة التي كانت تستقبل كهنة لالش ثلاثة مرات في السنة للمشاركة في طقوس ينبغي على الكهنة في لالش فقط تأديتها في المدن السومرية . ومن المرجح أن هذه التلة تشير إلى موقع مدينة لجش القديمة ، التي كان لها تاريخ طويل كدولة منفصلة ، وإن كانت قد شهدت العديد من التقلبات في القوة . وكانت المدينة التالية في تقدمنا نحو الشمال هي إيسن ، والتي لا نعرف عنها إلا القليل للأسف . وقد ارتبط اسمها بلقب الملوك الذين جعلوا من نيبور ، جارتها القريبة ، المدينة الرئيسية في البلاد ، ولكن تاريخها قد ابتلعه التاريخ الأوسع للأماكن المحيطة بها ، ولم يتم التعرف على أنقاضها على وجه اليقين ، من ناحية أخرى ، تُعَد نيبور الآن أشهر مدينة في بابل بأكملها . وقد تم هنا اكتشاف أعظم الآثار التي تم اكتشافها حتى الآن تحت تربة الأرض بأكملها بواسطة بعثة جامعة بنسلفانيا . كانت نيبور أقدم مركز لعبادة الإله آدي ، وربما تكون أقدم مدينة في بابل بأكملها والتي يوجد لها أي سجل معروف . وكما كانت أور مدينة إله القمر ، وسيبارا مدينة إله الشمس ، كذلك كانت نيبور موطن آدي ، وكما كانت هذه المدن الثلاثة أعظم آلهة بابل ، فقد تفوقت مدنهم على جميع المدن الأخرى في التاريخ السياسي المبكر ، حتى تم خلعهم بالقوة ، وبعد ذلك استمروا في كونهم الأماكن الرئيسية للتبجيل في الإمبراطورية بأكملها. كانت نيبور غنية بالمباني المخصصة للدين الإيزيدي والإقامة الملكية ، وقد أسفر تل الأنقاض العظيم ، نيفر أو نفار ، عن كمية هائلة من الكنوز القديمة ..

ولكن على الرغم من عظمة كل هذه المدن في العمر ، ورغم استمرارها في الثراء في الجمعيات الدينية ، فقد تفوقت عليها جميعاً مدينة بابل في النفوذ . لقد نسيها البشر حين استقر عليها الغبار والرمال ، ولكن مجد بابل واسمها بقيا . حتى أن اسم المدينة ظل حياً في كومة الأنقاض بابل . تقع أهم أنقاض بابل بالقرب من قرية الحلة الحديثة وتغطي مساحة كبيرة من البلاد لدرجة أنه حتى وقت قريب لم يتم العثور على رجال لديهم الجرأة الكافية لمحاولة استكشاف التل بأكمله . لم تكن المدينة تدعي أنها قديمة جدًا ، وربما لم تكن قديمة جداً عندما جعلها حمورابي المدينة الرئيسية على كل الأرض وأزاح مراكز السلطة الأقدم . كان المجد الديني للمدينة خيالياً أيضاً بمعنى ما . كان إلهها الرئيسي مردوخ ، وكان يتم دفع العبادة المناسبة له لأجيال . لكن مكانة مردوخ في البانتيون لم تكن كبيرة بما يكفي لإضفاء الأسبقية الدينية على المدينة ، لذلك تم التعرف عليه بالإله العظيم آدي ، وتحت هذا الاسم كان

يُعبد في بابل . أقيم له معبد عظيم على شكل هرمي يرتفع إلى سبعة طوابق ، ويعرف باسم إي-ساجيلا . ولقد تنافس الملوك فيما بينهم على جعل هذا المزار هو الأكبر والأجمل في الإمبراطورية ، وكان لزاماً على جميع الحكام أن (يأخذوا بيد آدي (بركات آدي) قبل أن تكتسب سلطتهم شرعية) . وهكذا أصبحت المدينة تمتلك القوة السياسية ، والهيمنة على قلوب وضمائر الرجال ، والثروة التي لا يمكن الوصول إليها . وفي أيام نبونيد انضمت إلى بابل مدينة أخرى ، بورسيبا ، والتي ربما كانت قديمة قدم العاصمة نفسها . وفيها كان يوجد معبد إيزيدا ، الذي أصبح الآن بيرس نمرود ، والذي كُرِّس لنابو ، والذي أغدقه الملوك على إيزاجيلا من العمل والثروة . كما ارتبطت المدينتان أيضاً في احتفالاتهما الدينية ، ففي اليوم الأول من نيسان الشرقي (مارس/أبريل) ، بداية العام الجديد ، غادر الإله نبو معبده في موكب مهيب لزيارة والده مردوخ في بابل . كان هذا العيد ذا أهمية كبيرة لدرجة أن الملك كان مطالباً بالمشاركة فيه ، بغض النظر عن مكان وجوده في ذلك الوقت ، سواء كان ذلك للعمل أو للمتعة ، تحت طائلة فقدان لقب ملك بابل في العام التالي . ومن السهل أن نرى أن هذا أعطى قوة هائلة للكهنة ، لأنهم وحدهم من يمثلون هذه الآلهة العظيمة في عيون كل الناس ..

على بعد خمس ساعات (حوالي خمسة عشر ميلاً) شمال شرق بابل كانت تقع مدينة كوثى ، وهي الآن تلة وقرية تسمى تل إبراهيم ، وكانت ذات يوم المدينة الرائدة في شمال بابل قبل ظهور مدينة بابل . وكان الإله الرئيسي للمدينة هو نيرغال ، وكان معبده يسمى إيشيدلام ، وكان الملوك المارة يحرصون على أداء التكريمات وتقديم التضحيات عنده . ومن كوثى انتقل تأثير عميق إلى تاريخ العالم بفعل أحد الملوك الآشوريين . وكانت مدينة كيش القريبة منها وثيقة الصلة بكوثى ، إلى حد ما مثل علاقة بورسيبا ببابل ..

Sources

Les Religions de Babylonie et d'Assyrie. By E. Dhorme. Paris, 1945.

BabylonienundAssyrien. Vol. II. By B. Meissner. Heidelberg, 1925.

Babylonian Magic and Sorcery. By L. W. King. Luzac, 1896.

Semitic Magic. By R. Campbell Thompson. Luzac, 1908.

The Babylonian Akitu Festival. By S. A. Pallis. Copenhagen, 1926.

The Code of Hammurabi. By R. F. Harper. Chicago, 1904.

The Assyrian Laws. By G. R. Driver and Sir J. C. Miles. Oxford, 1935.

Das weltliche Recht im Alten Testament. A. Jirku. Gutersloh, 1927.

Rituels Accadiens. By F. Thureau-Dangin. Paris, 1921.

Legends of Babylon and Egypt. By L. W. King. Schweich Lectures, 1916.

Ideas of Divine Rule in the Ancient East. By C. J. Gadd. Schweich Lectures, 1945.

Babylonian Menologies and the Semitic Calendars. By S. Langdon. Schweich Lectures, 1933.

The Origins of Early Semitic Ritual. By S. H. Hooke. Schweich Lectures, 1935.

Myth and Ritual. Ed. S. H. Hooke. Oxford, 1933.

Sumerian Mythology. By S. N. Kramer. Philadelphia, 1944.

State Letters of Assyria. By R. H. Pfeiffer. New Haven, 1935.

Die assyrische,," .," Maqlu. By G. Meier. Berlin, 1937.

Cylinder Seals. By H. Frankfort. Macmillan, 1939.

The Intellectual Adventure of Ancient Man. Ed. H. Frankfort. Chicago, 1946.

Kingship and the Gods. By H. Frankfort. Chicago, 1948.

Akkadische Götterepitheta. By K. Tallqvist. Leipzig, 1938.

Die physiognomischen Omina der Babylonier. By F. R. Kraus. Leipzig, 1935.

La Magie Assyrienne. By C. Fossey. Paris, 1902.

Aus dem Tagewerk eines assyrischen Zauberpriesters. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

Das assyrische Ritual By K. F. Miiller. Leipzig, 1937.

328 Assyrische-Bdbylonische Briefe kultischen Inhalts. By E. Behrens. Leipzig, 1906.

The Legend of Etana and the Eagle. By S. Langdon. Paris, 1932.

Chronicles concerning Early Babylonian Kings. By L. W. King. Luzac, 1907.

Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament. Ed. J. B. Pritchard. Princeton, 1950.

The Devils and Evil Spirits of Babylonia. By R. Campbell Thompson. Luzac.

Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

THE CIVILIZATION OF BABYLONIA AND ASSYRIA MORRIS JASTROW, JR. LECTURES DELIVERED CHDEBTHC BICHARD B. WESTBROOK LECTURESHIP FOUNDATION ASSYRIA ITS PRINCES, PRIESTS, AND PEOPLEA. H. SAYCE, M.A. DEPUTY PROFESSOR OF COMPARATIVE PHILOLOGY, OXFORD, HON. LL.D. DUBLIN, ETC. AI-THOR OF FRESH LIGHT FROM THE ANCIENT MONUMENTS, AN INTRODUCTION TO EZRA, NEHEMIAH, AND ESTHER, LONDON: THE RELIGIOUS TRACT SOCIETY, 56, PATERNOSTER Row, 65, ST. PAUL S CHURCHYARD, AND 164, PICCADILLY. 1885

Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East. By Ivan Engnell. Uppsala, 1945.

The Early History of Assyria. By Sidney Smith. Chatto and Windus, 1928.

A History of Sumer and Akkad. By L. W. King. Chatto and Windus, 1923.

A History of Babylon. By L. W. King. Chatto and Windus, 1915.

Die Religion Babyloniens und Assyriens. By M. Jastrow. Giessen, 1912.

Babylonian-Assyrian Birth-Omens. By M. Jastrow. Giessen, 1914.

A HISTORY OF ART CHALDy^A AND ASSYRIA. Xonbon: chapman and hall, Limited. ftfe yorh : A. C. ARMSTRONG AND SON. 1854.
THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIAMORRIS JASTROW, JR., PH.D. (LEIPZIG) PROFESSOR OF SEMITIC LANGUAGES IN THE UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA, BOSTON, U.S.A. GINN & COMPANY, PUBLISHERS 1898 MYTHS &? LEGENDS OF BABYLONIA &f ASSYRIA , LEWIS SPENCE F.R.A.I. AUTHOR OF " THE MYTHS OF MEXICO AND PERU LIZATION OF ANCIENT MEXICO " " THE POPOL VUH "the myths OF THE NORTH AMERICAN INDIANS" " MYTHS AND LEGENDS OF ANCIENT EGYPT " ETC. WITH EIGHT PLATES IN COLOUR BY EVELYN PAUL AND THIRTY-TWO OTHER ILLUSTRATIONS THE SEVEN GREAT MONARCHIES OF THE ANCIENT EASTERN WORLD; OR, THE HISTORY, GEOGRAPHY, AND ANTIQUITIES OF CHALDAEA, ASSYRIA 329 BABYLON, MEDIA, PERSIA, PARTHIA, AND SASSANIAN, OR NEW PERSIAN EMPIRE. A HISTORY OF SCIENCE,HENRY SMITH WELLIAMS; EDWARD WELLIAMS
A History of Babylonia and Assyria Volume I Robert William Rogers Published 1900 A.D. A History of Babylonia and Assyria Volume II Robert William Rogers Published 1900 A.D. EVERYDAY LIFE IN BABYLONIA AND ASSYRIA H. W. F. SAGGS Drawings by Helen Nixon Fairfield Published 1965 A.D. Assyrian International News Agency People Of Ancient Assyria Jorgen Laessoe Translated from the Danish by F. S. Leigh-Browne Published 1963 A.D.
Assyrian International News Agency Assyrische Historiographie –Eine Quellenstudie Studien an der Universität von Missouri Reihe Sozialwissenschaften, Band III, Nummer 1.1916
Assyrische Historiographie THE EPIC OF GILGAMESH, N. K. Sanders Assyrian International News Agency Books Online www.aina.org Spelling and error correction by John Paulose
THE STOBY OF AHIKAEFROM THE SYEIAC, AEABIC, AEMENIAN, ETHIOPIC, GEEEK AND SLAVONICYEESIONS BY F. C. CONYBEARE, J. RENDEL HARRIS, AND AGNES SMITH LEWIS. LONDON: C. J. CLAY AND SONS, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS WAREHOUSE, AVE MARIA LANE. GLASGOW: 263, ARGYLB STKBET. 1898